روائع
الخطب المنبرية

اسم الكتاب: روائع الخطب المنبرية= وميض من الخطب - الجزء الثاني
تأليف فضيلة الشيخ: أبي الحسن علي بن محمد المطري
رقم الإيداع: ٢٠٢٤/١٠٨٧٩.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٣٤٧ .
القياس: ٢٤X١٧.
تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف: الأستاذ / هاني صالح

محفوظة جميع الحقوق

٢٠٢٤

الإدارة
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦
المبيعات
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفى - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة زمار
جوال : ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

روائع الخطب المنبرية

الجزء الثاني

تأليف الشيخ

أبي الحسن علي بن محمد المصري

تحقيق وترتيب

أبو المبارك

دارس بن حسن بن علي الوادعي

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ الإخلاص منجاة

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين:

أمرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعبادة والتوحيد فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ آمراً إيانا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة٢١ـ ٢٢].

فالله أمرنا بالعبادة والتوحيد وبين لنا الغاية من خلقتنا على وجه الأرض فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦ـ ٥٨].

خلقك الله للعبادة وجعلك خليفة في الأرض يخلف بعضكم بعضاً في هذا الأمر﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ ﴾ [النساء:١٣١].

فلماذا خلقنا ؟ للعبادة والتوحيد هذه هي الغاية من خلق الله للإنس والجن فما خلقنا الله لنأكل أو نشرب أو نلبس أو نعيش فحسب هذه منن يمتن الله بها علينا لتكون سبباً في إيصال هذه الغاية التي أرادها الله عَزَّوَجَلَّ من بني آدم.

العبادة معناها: التذلل والخضوع لمن يكون هذا ؟ لله.

والعبادة بالمعني الشرعي معناها : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذه العبادة ليس مردها إلى الأهواء والأمزجة والإستحسانات ليعبد كل واحدٍ ربه على ما يريد كلا إنها منضبطة بضابط الوحي السماوي.

فأما الأمم الغابرة فهم منضبطون بشرع أنبيائهم حتى بعثة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فما كان من قبل البعثة من دين عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام مقبولاً يدان به الله في الأرض فبعد بعثة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نسخ الإسلام كل تلك الديانات فلا دين صحيح يعبد به الله غير الإسلام، الشرع الذي جاء به محمدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فوجب على كل يهودي أو مسيحي نصراني أن يعلم أن دينه باطل بعد أن بعث محمدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران٨٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران١٩].

وجاء في صحيح مسلم أن نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار}[1] وجاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ عن جابر بن عبد الله : أن عمر بن الخطاب أتى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه على النبي

(١) رواه مسلم(١٥٣) وأحمد(٨١٨٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث جاء عن ابن عباس عند الحاكم (٣٣٠٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. وعن أبي موسى عند أبي داود الطيالسي(٥٠٩) وجاء عند وعن غيرهم.
فائدة: قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: والحديث صريح في أن من سمع بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- و ما أرسل به ، بلغه ذلك على الوجه الذي أنزله الله عليه ، ثم لم يؤمن به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن مصيره إلى النار، لا فرق في ذلك بين يهودي أو نصراني أو مجوسي أو لا ديني . واعتقادي أن كثيرا من الكفار لو أتيح لهم الاطلاع على الأصول و العقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام ، لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجا ، كما وقع ذلك في أول الأمر ، فليت أن بعض الدول الإسلامية ترسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام ، ممن هو على علم به على حقيقته و على معرفة بما ألصق به من الخرافات و البدع والافتراءات ، ليحسن عرضه على المدعوين إليه ، و ذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب و السُّنَّة الصحيحة ، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبية الرائجة ، و هذا شيء عزيز يكاد يكون مفقودا ، فالقضية تتطلب استعدادات هامة ،فلعلهم يفعلون . الصحيحة(١/ ١٥٦ حديث رقم(١٥٧).

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فغضب فقال: { أمتهوكون فيها يا بن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان حيا ما وسعه إلَّا أن يتبعني }[1].

ونقول لمزاعم المسيحيين أن المسيح بشر بمحمدٍ عليه الصلاة والسلام كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ }[الصف٦].

هذا ما نطق به قرآننا وإذا تأملت في أناجيل النصارى أناجيلهم الموجودة الآن إنجيل يوحنا ومتى ومرقص ولوقا والكتاب المقدس كلها تنص على ذلك ونزيدهم من الشعر بيتاً كما يقال: أنه في آخر الزمان ينزل عيسى بن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يحكم إلَّا بدين محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء في صحيح البخاري أن نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد }[2]. هذه من الأنباء المتفق عليها عند سائر الملل والنحل من أمة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهذه العبادة ليس مردها الأهواء والإستحسانات والأقيسة وإنما منضبطة بضابط الوحي المنزل.

وأما من كانوا من أتباع محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلقد شرط الله عليهم في هذه العبادة أن تكون عبادة صالحة وإلا كانت مردودة حالهم كحال الكفار ﴿ وَٱلَّذِينَ

(١) حسن: رواه احمد(١٥١٩٥) والبزار كما في «كشف الأستار(١٢٤) وابن أبي شيبة (٢٦٤٢١) والبيهقي في الشعب (١٧٦) وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٨٩) والمشكاة (١٧٧) والظلال (٥٠).

(٢) متفق عليه:البخاري(٢١٠٩، ٢٣٤٤، ٣٢٦٤)ومسلم(١٥٥)عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[النور٣٩].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الزمر ٦٥]. فيشترط في العبادة أن تكون عبادة صالحة قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الكهف١٠٧].

فتأملوا يا رعاكم الله آمنوا وعملوا الصالحات.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف١١٠].

فلا بد أن يكون العمل عنوانه الصلاح وهذا الصلاح يتمثل بالإخلاص لله والإتباع لسنة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإلا كان عملاً باطلاً مردوداً غير مقبول ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان٢٣]. فلا بد في الإخلاص من شرطين لا بد للعمل الصالح من شرطين أما الشرط الأول فهو الإخلاص وهو ميزان باطني وأما الشرط الثاني فهو الإتباع لسنة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

يقول الفضيل بن عياض[1] في تفسير قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾[الملك٢].

(١) الفضيل بن عياض(١٠٥ - ١٨٧ هـ = ٧٢٣ - ٨٠٣ م) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها. من كلامه: [من عرف الناس استراح] انظر: الأعلام للزركلي(٥/ ١٥٣).

قال: يقول : أحسن عملاً فما قال : أكثر عملاً ثم قال : أخلصه وأصوبه فقيل له : كيف ؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإن كان صواباً من غير إخلاص لم يقبل[١].

فلا بد من هذين الميزانين إخلاص لله واتباع لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فالإخلاص هو تخليص العمل من كل رياء وسمعة، الإخلاص هو تصفية العمل.

وقالوا في تفسير الإخلاص:هو إفراد الله بالقصد ، وقالوا في تفسير الإخلاص: هو أن لا يطلع على العمل ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيزينه وقالوا في تفسير الإخلاص : هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فمن أخلص تخلص وما تعثر مخلص أبداً.

قال أبو سليمان الداراني[٢]:إذا أخلص العبد انقطعت عنه الوساوس والرؤيا[٣].

الإخلاص يا معاشر المسلمين أمر الله به فقال : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ ﴾[الأنعام١٦٢].

(١) انظر: تفسير البغوي(١/ ١٧٥) وحلية الأولياء(٨/ ٩٥).

(٢) أبو سليمان الداراني(٠٠٠ – ٢١٥ هـ = ٠٠٠ – ٨٣٠ م) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان: زاهد مشهور، من أهل داريا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده. كان من كبار المتصوفين. له أخبار في الزهد. من كلامه: [خير السخاء ما وافق الحاجة].
انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٢٩٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية(١٠/ ٢٨٠) وقوله الرؤيا: يعني الاحتلام الذي منه الجنابة.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[الحج٣٧].

فالمخلص هو من قصد بعمله وجه الله فالإخلاص يكثر العمل وإن كان قليلاً يضاعف الله الأجور للمخلصين وتكتب لهم الحسنات وهم معذورون لا يزاولونه لكن أعمالهم التي عملوها لربهم مع نواياهم الطيبة الصالحة جعلت أقلام الكتابة تكتب لهم الحسنات ففي غزوة تبوك يمر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بوادٍ من الوديان فقال : { إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلَّا كانوا معكم حبسهم العذر}وفي رواية: {إلا شركوكم الأجر}(١).

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذرٍ وعن قدرٍ فمن أقام على عذرٍ فقد راحا(٢)

وجاء في صحيح البخاري أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا}(٣) فعلى حسب نيتك وفي حديثٍ يعتبر أصلاً من أصول الإسلام { إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى(٤) فرب رجلين يتفقان في عمل في ابتدائه وانتهائه في حركاته وسكونه خذ على ذلك مثالاً هم في الصلاة أي صلاة من الصلوات الخمس أو صلاة الجمعة جنباً إلى

(١) رواه البخاري (٢٦٨٤، ٤١٦١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومسلم (١٩١١) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٧) عند سورة النساء:آية (٩٥-٩٦)، ونفح الطيب (٤/ ٣٣١). إلاَّ أنه قال: يا راحلين إلى المختار من مضر .....

(٣) رواه البخاري(٢٨٣٤) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) متفق على صحته: أخرجه البخاري(١، ٥٤، ٢٣٩٢، ٣٦٨٥، ٤٧٨٣، ٦٣١١، ٦٥٥٣) ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنما الأعمال بالنية رقم(١٩٠٧) وأحمد (١٦٨) وأبو داود(٢٢٠١) والترمذي (١٦٤٧) والنسائي(٧٥) وابن ماجة(٤٢٢٧) وابن حبان(٣٨٨) وابن المبارك في الزهد(٨٨) وغيرهم.

جنب ولكن الفوارق في قبول العمل وكتابة الحسنات بون شاسع عظيم فالأول قد نوى بهذا العمل وجه الله والثاني ربما نوى به الرياء والسمعة.

ثــوب الــريــاء يشف عــما تحته فــإذا اشتملت بــه فإنك عــاري

وتأمل في قول الحبيب محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى }.

وجاء في الصحيحين أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ { إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلَّا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك }[1] وجاء في مسند أحمد من حديث أنس أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : {ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله و النصح لأئمة المسلمين و لزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحوط من وراءهم }[2].

{ثلاث لا يغل عليهن } بمعنى لا يستقر في القلب المتصف بهذه الصفات شيء من الحقد. فالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ شأنه رفيع يا عباد الله ومن عامل الله بإخلاص وجد من الثمار الطيبة أولاً يكون عمله مقبولاً ، ثانياً : يندحر الشيطان الرجيم فلا يستطيع القرب من أهل الإخلاص كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حاكياً عن الشيطان أنه قال :﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص:٨٢ـ٨٣] .

وتأمل في يوسف ما استطاع الشيطان أن يخترق قلبه لأنه كان من عباد الله المخلصين ومن ثمار الإخلاص النجاة من المكروه واستجابة الدعاء فمن عامل

(١) متفق عليه: البخاري(٥٦، ومواضع كثيرة في صحيحة) ومسلم(١٦٢٨) عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) صحيح: رواه أحمد(١٦٧٨٤) وابن ماجة(٣٠٥٦) والحاكم(٢٩٤) عن جبير بن مطعم ورواه أحمد (١٣٣٧٤) عن أنس ورواه ابن ماجة(٢٣٠) عن زيد بن ثابت ورواه الترمذي(٢٦٥٨) عن ابن مسعود رضي الله عن الجميع وصححه الألباني في صحيح الجامع(٦٧٦٦) والصحيحة (٤٠٤) .

الله بإخلاص استجيبت دعوته وأنقذه الله من كربات الدنيا والآخرة جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسولنا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر لنا قصة ثلاثة نفر هؤلاء الثلاثة آواهم المبيت إلى غار فدخلوه هروباً من الليل أو من المطر فتدحرجت صخرة فسدت عليهم باب الغار فما استطاعوا الخروج من ذلك المكان فقال كل واحدٍ منهم ليدعو كل واحدٍ منا بصالح عمل من عمل صالحاً منا فهذا هو وقته الآن لندعو الله بصالح أعمالنا فقام الأول ورفع أكف الدعاء إلى الله وتوسل ببره وبرضا الله ورضا الوالدين توجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قائلاً: {اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ـ بمعنى أنه إذا حلب الشاة أو البقرة أو الناقة لا يقدم الأبناء ولا الزوجة ولا الرقيق على الأب والأم هذا عمل صالح عظيم ـ فنأى بي طلب الشجر يوماً ـ يعني ذهب يرعى مكاناً بعيد ـ فأتيتهما وقد ناما فحلبت لهما غبوقهما فانتظرت استيقاظهما والصبية يتضاغون من الجوع تحت قدمي اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة شيئا }.

ثم قام الثاني وتوسل بعمل صالحٍ قدمه وهو العفة عفته عن الزنا والحرام فقال : { اللهم إنه كانت لي ابنة عم وكنت أحبها أشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فأبت ثم ألمت بها سنة فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تمكنني من نفسها فوافقت فلما أن قعدت منها مقعد الرجل من زوجته قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلَّا بحقه قال : فانصرفت عنها وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة شيئا يسيرا }.

ثم قام الثالث وتوسل بعمل صالحٍ وهو حفظه للمال حفظه للأمانة وحفظه لأجور المستأجرين من الشغالين والعمال الضعفاء اشتغل عنده عمال فأعطاهم

أجورهم إلَّا واحد من العمال أبى أن يأخذ أمواله فتأملوا إليه وهو يستنزل النصر من الله ويطلب إزالة الكرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال : {اللهم إنه كان لي أجراء فاستأجرتهم وأعطيت كل واحد أجره إلَّا واحداً من هؤلاء ترك ماله وذهب ثم نميت له ماله حتى صار له واد من الإبل وواد من الغنم وواد من البقر وواد من الرقيق فجاءني فقال : يا عبد الله أد إلي حقي فقلت : كل ما ترى هو لك قال : أتسخر بي ؟ فقلت: لا والله لا أسخر بك فاستاقه كله فقال : اللهم أن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون } [١].

هذا من بركة الإخلاص، عاملوا الله بإخلاص فقبل الله دعاءهم ولقد رتب الله للمخلصين في العبادة جنة عرضها السماوات والأرض وكفى بها فخراً وشرفاً .

فحيا عـلى جـنـاتِ عـدنٍ فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي الـعـدوِّ فهل ترى نعـود إلى أوطاننـا ونسلم[٢]

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حاكياً عن طائفة من الصالحين عن ثلة من المخلصين الأتقياء البررة كما في سورة الدهر يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[الإنسان: ٨ ـ ١٢].

الإخلاص يا معاشر المسلمين لو وجد في بيوتنا لصلحت ، إذا عاملت

(١) القصة في: البخاري(٢١٠٢، ٢١٥٢، ٢٢٠٨، ٣٢٧٨، ٥٦٢٩) ومسلم(٢٧٤٣) بألفاظ عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) انظر: حادي الأرواح ص(٧) وطريق الهجرتين ص(٩٢) ضمن قصيدة طويلة لابن القيم في وصف الجنة.

المرأة ربها بإخلاص وعامل الرجل ربه بإخلاص وهكذا إن وجد الإخلاص في الدوائر الحكومية أن يكون الموظف مخلصاً في أعماله يحركه الإخلاص يريد من هذا العمل رضا الله فلا يحركه الدينار لا تحركه الرشوة ولا المصلحة ولا المجاملة ولا الطابع الحزبي هو موظف مستأجر للدولة يتقاضى راتب آخر الشهر إنما وضعته الدولة ليقضي حاجات المواطنين في أي معقل من معاقل الدولة في الأمن في المرور في الكهرباء في التلفون في البلدية في أي مكان هو موظف فمن جاءه للمراجعة في عمل قام في خدمته وفي قضاء حوائجه وكأنه من أخلص أصحابه ولكن بالعكس ضاع الإخلاص من حياتنا ومن مجتمعاتنا فقرب المعروف وقرب أصحاب الريال والسلطان والجاه وأهين ذلك الذي ليس معه ريال ولا شيء من الوجاهة فبأي ذنب حصل هذا إنه التفريط يا معاشر المسلمين فصلاح الأمم بإخلاص أبنائها فلا بد أن نكون مخلصين لديننا وهكذا أوفياء مع وطننا أوفياء مع كل شيء فيه نفعنا في الدنيا والآخرة تكون في ذلك مخلصاً على وفاءٍ وعند مبدئك لا يتغير ولا يتحطم بشيء من التوافه هذا مبدأ رباني أمر الله به وأوصى به سيد الأولين والآخرين وعكس الإخلاص الرياء والنفاق تسمعون نبذة مختصرة إن شاء الله.

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بسنة سيد الأولين والآخرين.

هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

معاشر المؤمنين:

إذا ضاع الإخلاص من حياتنا حلّ مكانه الكذب والرياء والنفاق وإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أنزل سورة في القرآن باسم سورة المنافقون وسورة أخرى سورة التوبة وتسمى سورة الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وهتكت أستارهم فبداية النفاق رياء وكذب وباستطاعة المسلم أن يصلح نفسه وأن يصلح أعماله.

يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] : أنت يا ابن آدم خلقت من تراب ثم تعيش في الدنيا فوق تراب فإذا ما متّ نزلت وحدك في تراب فلما تعلقت بمن كان معك على تراب وصار إلى تراب ونسيت رب الأرباب فما الذي ينفعك عبد الله لا نفع لك إلَّا من الله ولا ضر إلَّا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة٥١].

روى الإمام ابن ماجة في سننه من حديث ثوبان مولى رسول الله قال : سمعت الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: {لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا. فيجعلها الله عَزَّوَجَلَّ هباء منثورا. قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لانعلم . قال:

(١) ابن رجب(٧٣٦ - ٧٩٥ هـ = ١٣٣٥ - ١٣٩٣ م) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٢٩٥).

أما إنهم منكم ومن جلدتكم . ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله أنتهكوها }[١] فهذا إذا كان أمام الناس كان على استقامة وصلاح واستغفار فإذا ما خلا عن رقابة البشر هناك بارز الله بالعظائم حاله حال الجبان .

وإذا ما الجبان خلا بأرضٍ طلب الطعان وحده والنزالا

فالمؤمن لا بد أن يجعل نصب عينيه الله مخافة الله رقابة الله

إذا صح منك الودّ يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب

فمثال المخلص مثال رجل أراد السفر فتزود بلذائذ الطعام والشراب ولذيذ الفاكهة فلما أدركه الجوع والعطش نزل تحت شجرة ثم قال لغلمانه : هاتوا المتاع فأنزلوا المتاع فوجدوا من لذيذ الطعام والفاكهة والشراب وأما المنافق أو المرائي أوالكذاب حاله كحال رجل أراد السفر فحمل تراباً على متن سيارته أو دابة من الدواب فلما أدركه الجوع والعطش قال لفتيانه : أنزلوا المتاع فأنزلوا له تراباً والتراب موجودٌ تحت قدميه هو جالس على تراب فما نفعه عمله أبداً فلذلك ضرب الله مثلاً لحال المنافق والمرائي قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾[البقرة : ٢٦٦].

---

(١)صحيح:رواه ابن ماجة (٤٢٤٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٢٨، ٧١٧٤) والصحيحة (٥٠٥).

فيضرب الله مثلاً في هذه الآية : مثال رجل كان عنده مزرعة غنّاء فيها من جميع أنواع الفاكهة والخضروات والحبوب وكان هذا الرجل بهذه المزرعة في خير وسعة ثم لم يكن من الإنجاب إلَّا عند كبر سنه فلما كبر سنه وكان له من الولد إذا بهذه المزرعة تصاب بإعصار سماوي فأحرقت المزرعة عن آخرها فكيف يكون حال هذا الرجل وهو في سن كبير لا يستطيع أن يضرب في الأرض ليكسب المال لأولاده ، هكذا حال المنافقين والمرائين تتركهم أعمالهم وهم أحوج ما يكونون إليها .

فيا أمة الإسلام ويا أمة العقيدة والتوحيد:

من أراد العز والتمكين في دنياه وأخراه فليقبل على كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليكثر من تلاوته فإن فيه الخير كله ، وليتعلم شيئاً من سُنَّة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإن فيها الهدى والنور قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { نضر الله امرئً سمع مقالتي فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع }(١).

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ اقرءوا القرآن ؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه }(٢).

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم هداةً مهتدين اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم انصر إخواننا على أرض فلسطين اللهم كن لهم نصيراً ومعيناً اللهم عليك باليهود والمنافقين اللهم عليك بهم يا رب العالمين أرنا فيهم يوماً أسوداً كيوم قارون وهامان وفرعون إنك على كل شيء قدير .

---

(١)صحيح:رواه أحمد(٤١٥٧) والترمذي(٢٦٥٧) وابن ماجة(٢٣٢)عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ورواه أحمد(٢١٦٣٠) وأبو داود(٣٦٦٠) والترمذي(٢٦٥٦) وابن ماجة(٢٣٠) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحديث جاء عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في السنن وغيرها. وصححه الألباني في : صحيح الجامع(٦٧٦٣، ٦٧٦٤، ٦٧٦٥، ٦٧٦٦) والصحيحة(٤٠٤) وغيرهما.

(٢) رواه مسلم(٨٠٤/ ٢٥٢) وأحمد(٢٢٢٠٠، ومواضع) عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عباد الله :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل ٩٠].

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون وأقم الصلاة .

٢ علم الغيب

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

لقد حرص النبي محمدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حرصاً عظيماً على أصحابه وعلى هذه الأمة بتعليمهم العقيدة الصحيحة المنبثقة من كتاب الله ومن هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام فمكث في مكة ثلاث عشر عاماً يؤصل هذا الأصل العظيم أصل العقيدة والتوحيد ، فالعقيدة مأخوذة من العقد وهو الربط بقوة وإحكام وأما في الميزان الشرعي فالعقيدة هو الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده وتعني العقيدة الإسلامية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ما ثبت من الأمور العلمية والعملية ثبوتاً قطعياً على ما ورد في كتاب ربنا وهدي نبينا عليه الصلاة والسلام وكان هذا الأمر له أهمية بالغة لأنه يعتبر الفقه الأكبر عقيدتك في ربك وخالقك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وذلك أنهم كانوا قبل البعثة أعني المشركين يعيشون في ضلالات وجهالات يعيشون في قلق واضطراب في كل المستويات كما عناه المولى بقوله :﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[آل عمران ١٦٤، الجمعة ٢].

ضلال في البيوع والأنكحة وضلال في الأخلاق والقيم وضلال في العبادة والعقائد فكان الرجل العظيم الجسيم إن نزل وادياً قال : أعوذ بعظيم هذا الوادي يعني : يستعيذ بالجن من الجن فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾[الجن ٦].

فكانوا يعيشون في عذاب مهين وفي ضلال مبين فبعث الله محمداً سيد الأولين والآخرين فعالج هذه القضية علاجاً تاماً نافعاً فأصل أصول هذه العقيدة بمكة ولقد كان القرآن كله يعالج هذه إلَّا أن القرآن في العهد المكي كان أكثر تشييداً لهذا الصرح العظيم وهكذا من فارق أمر العقيدة ولم يفوض

ما عناه الله وأمر به لا شك أنه في ضلال كما حصل للفلاسفة وأهل الكلام حينما حصل عندهم اضطراب وتردي فقال قائلهم[١] :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلَّا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

فقال له صاحب عقيدة سليمة [٢]: يا أستاذ :

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن والاه من كل عالم

فما خاب من يهدي بهدي محمدٍ ولست تراه قارعاً سن نادم

هذا الحرص يتبين بجلاء من عدة قضايا ووقائع من ذلك ما جاء في جامع الترمذي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال لي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { يا غلام إني أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلَّا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلَّا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف }[٣].

وفي رواية متصلة بهذه قال له : { إحفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم

(١) القائل هو الشهرستاني: انظر الأبيات في الملل والنحل(١/ ١٦١).
(٢) الراد عليه: هو ابن الأمير الصنعاني كما في حاشية الروض الباسم لابن الوزير(٢/ ١١) وحاشية درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د : محمد رشاد سالم (١ / ١٥٩).
(٣) صحيح: رواه أحمد(٢٦٦٩) والترمذي(٢٥١٦) والحاكم(٦٣٠٣) وأبو يعلى(٢٥٥٦) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٧٩٥٧) والشيخ مقبل الوادعي: في الصحيح المسند (٦٩٩).

يكن ليصيبك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً }[1].

وثبتت وقائع كثيرة لولا الإطالة لبيناها فهذا أمر من الأهمية بمكان أن يكون العبد عالماً بما يختص بالرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومن هذه العقيدة معرفة علم الغيب فهو اختصاص الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى كما قال المولى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الجن٢٦].

فمن الذي استقل بهذا الأمر إنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما في آيات كثيرة من القرآن ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[هود ١٢٣، النحل٧٧].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل٦٥] .

وحصر الله مفاتيح الغيب على نفسه فقال: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام٥٩].

وبيَّن هذه المفاتيح بينها بياناً شافياً كافياً في آية أخرى وعلى لسان محمدٍ عليه الصلاة والسلام جاء في الصحيحين عن ابن عمر قال : سمعت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلَّا الله تعالى : لا يعلم أحد ما يكون في غد إلَّا الله تعالى و لا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلَّا الله

(١) صحيح لغيره: رواه الحاكم(٦٣٠٤) والطبراني في الكبير(١١٥٦٠) والبيهقي في الشعب(١٠٧٤) وعبد بن حميد في مسنده(٦٣٦) وانظر:الظلال(٣١٨).
فائدة: قال ابن رجب: وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين حتى قال بعض العلماء تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه. انظر: جامع العلوم(ص/ ١٨٥).

تعالى و لا يعلم متى تقوم الساعة إلَّا الله تعالى و لا تدري نفس بأي أرض تموت إلَّا الله تعالى ولا يدري أحد متى يجيء المطر إلَّا الله تعالى } ثم قرأ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان٣٤] (١) .

فمفاتح الغيب من اختصاص الله رب العالمين وأما البشر أو غير البشر فرسم الله عَزَّوَجَلَّ لهم نواميس في هذا الكون لا يعلمونها وإنما يأتونها حسب ما رسمه الله عَزَّوَجَلَّ .

مشيناها خطاً كتبت علينا ومن كتبت عليه خطاً مشاها

وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأته منا أتاها

ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها (٢)

ولو أخذنا سرداً سريعاً لو تأملنا إلى عالم الملائكة وهم أهل القرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنهم هناك في الملأ الأعلى يسبحون ويقدسون ويقومون بعبادات عظيمة ومنهم حملة العرش.

الملائكة لا يعلمون الغيب أبداً إلَّا ما أعلمهم الله عَزَّوَجَلَّ به واسمع إلى دليل من القرآن يا صاحب القرآن قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ

(١) رواه البخاري(٩٩٢، ومواضع).
(٢) هذه الأبيات في: المستطرف(٢/ ٥٥٣) وتفسير روح البيان(٧/ ٧٨) وفيض القدير(١/ ٥٣٤) والتذكرة للقرطبي (١/ ٩٣) .

لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾[البقرة:٣١ـ ٣٢].

فهؤلاء الملائكة ينفون عن أنفسهم علم الغيب فهم لا يعلمون ذلك وإنما ما يطلعهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه من المغيبات وهم يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون(١).

ولو تأملت إلى أجسام قوية خلقهم الله وجعل لهم تلك الأجسام قادرين على الإختراق وحمل الأثقال لكن لهم قوى محدودة لا يستطيعون تجاوزها إنهم الجن الذين امتثلوا لسليمان أن ينقلوا إليه عرش بلقيس من سبأ من بلاد اليمن إلى أرض الشام قبل أن يقوم من مقامه(٢) ثم كان ما كان ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ ﴾[النمل٤٢]. وهكذا جيئ بعرش بلقيس من اليمن إلى بلاد الشام.

هؤلاء الجن سخرهم الله لسليمان بن داوود فلقد أعطى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سليمان ملكاً عظيماً كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [النمل:١٧ـ ١٨].

---

(١) كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[النحل: ٤٩ـ ٥٠].

(٢) كما قال تعالى حاكيا عن سليمان أنه قال:﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[النمل: ٣٨ـ ٤٠].
قال القرطبي: «أكثر المفسرين:على أن الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن بريخا وقيل: هو سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بقرينة قوله: هذا من فضل ربي، قال ابن عطية وقالت فرقة وهو سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. والمخاطبة في هذا التأويل للعفريب لما قال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وكأن سليمان استبطأ ذلك فقال له على وجه التحقير أنا آتيك به ... الخ. قيل: يا حي يا قيوم: هو الاسم الأعظم. الجامع لأحكام القرآن(١٣/ ٢٠٤ـ ٢٠٥) بتصرف.

فكان له الجن كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ص٣٧]. يقومون بأعمال عظيمة وكانت الرياح تنقله ومواكبه من مصر إلى مصر ومن بلد إلى أخرى هؤلاء الجن وقعت لهم قصة عجيبة مع سليمان سطرها القرآن الكريم أمرهم سليمان بأعمال فامتثلوا أمر سليمان وكان الله قد سلطه عليهم بالقهر والأمر فلا يستطيعون الخروج عن سلطانه أبداً يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ ١٤]. كان سليمان واقف على كرسيه بيده عصاه والجن مقهورين مذللين له عاملين ليلاً ونهاراً بكل خوف من سليمان فالله يقبض روح هذا النبي واستمر زمناً طويلاً قيل ألف عام وهو ميت على كرسيه والجن لا يعلمون من ذلك شيئاً فلما جاءت الأرضة وأكلت أطراف العصا فضعف العصا من أن يتحمل جسد سليمان فخر على الأرض ميتاً: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ يعني عصاته ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ١٤]. فالجن لا يعلمون الغيب.

الرسل أكثر من مائة وأربعة وعشرين ألف نبياً رسولاً من أولهم إلى آخرهم لا يعلمون الغيب قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾[المائدة ١٠٩]، وأول الأنبياء نوح وهو لا يعلم الغيب أبداً كما حكى الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[هود ٣١].

وهذا العبد المغفور ما تقدم له من ذنبه وما تأخر سيد الثقلين خليل رب العالمين محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أيضاً لا يعلم الغيب فمن ذا الذي قد استقل

بعلم الغيب إنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يستطيع أحدٌ من البشر أو من غير البشر أن يثبت الغيب بعد لحظات أو ساعاتٍ أو يوماً أو أيام يثبته لبعض البشر إذا كان سيد الأولين والآخرين لا يعلم فغيره من باب أولى وأحرى اسمع إلى القرآن وهو يقرر هذه العقيدة يأمر الله محمداً أن يقول للناس: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[الأعراف ١٨٨].

هل تريدون حوادث واقعية تدلل على ذلك إليكم بعض القضايا سحر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ستة أشهر بكاملها وهذا ثابت بالنقل الصحيح في صحيح البخاري سحر ستة أشهر سحره لبيد بن الأعصم حليف اليهود أخذ من رسول الله شعيرات ثم عقدها بمشط وأنزلها في بئرٍ يقال لها : بئر ذروان في المدينة واستمر رسول الله معلولاً ستة أشهر وكان لا يدري ولو كان يدري لما استمر مريضاً طيلة هذه المدة فأرسل الله إليه ملكين فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال : ما له قال : مطبوب قال : فمن الذي طبه قال: لُبيد بن الأعصم اليهودي حليف اليهود قال : بماذا ؟ قال : بمشط ومشاطة في بئرٍ يقال لها بئر ذروان فاستيقظ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من النوم يقول : يا عائشة أما ما بي من المرض فقد بينه الله لي ثم يذهب -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع بعض أصحابه و يأمرهم بتنظيف هذه البئر وبنزح ما فيها من المياه فوجدوا السحر هناك وماؤها كأنه نقاعة الحناء فبرئ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من مرضه[1].

ورجع -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قافلاً من بعض الغزوات وإذا بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يسقط عقد من الذهب من عنقها ثم أقام الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه

(١) القصة في: البخاري(٣٠٠٤، ٣٠٩٥ ، ٥٤٣٠ ، ٥٤٣٢ ، ٥٤٣٣ ، ٥٧١٦ ، ٦٠٢٨) ومسلم (٥٨٣٢) من حديث عائشة رضي الله عها.

طيلة الليل منتظرين حتى تجد عائشة زوجة رسول الله عقدها الذي ظل عنها ولما كان صلاة الفجر لم يجدوا الماء فيأتي أبو بكر إلى عائشة فيتكلم عليها بكلام شديد قالت : وكان يطعنني بأصبعه في خاصرتي لولا أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مضطجع على حجري لتحركت قال لها : حبست الناس من غير ماء ثم أنزل الله آية التيمم فيأتي أسيد بن حضير ويقول: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، ولما انتهوا من صلاة الصبح بالتيمم أقاموا البعير الذي كان أمام عائشة ووجدوا العقد تحت هذا البعير[1] فلو كان رسول الله يعلم الغيب لدلهم عليه من أول وهلةٍ.

وهكذا أيضاً جاء في صحيح البخاري أن يهودية من يهود خيبر سألت : أي شيء من اللحم يعجب رسول الله قالوا لها : يعجبه الذراع فطبخت له شاة ثم كثرت السموم على الذراع وجعلت في بقية الشاة سماً أيضاً لكنها أكثرته في الذراع فيأتي الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويأكل وهو لا يدري فأكل نهستين أو ثلاثاً ثم قال الذراع : يا رسول الله لا تأكلني إني مسموم ، وكانت هذه الأكلة قد أثرت عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل كان موته من جرائها فاستدعى تلك اليهودية قال لها : هل وضعت سماً على الذراع ؟ قالت : نعم فقال لها : ما حملك على ذلك قالت : إن عرفت أن فيه سماً عرفت أنك نبي وإن كنت تكذب استرحنا منك وأرحنا الناس فلم يعاتبها -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذه كانت أخلاقه وسجاياه والشاهد من ذلك لولا أن الله أنطق الذراع لما علم بذلك -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-[2].

---

(١) القصة أيضا في: البخاري(٣٢٧، ٣٢٩، ٣٤٦٩، ٣٥٦٢، ٤٣٠٧، ٤٣٣١، ٤٣٣٢، ٤٨٦٩، ٤٩٥٢، ٥٥٤٣، ٦٤٥٢، ٦٤٥٣) ومسلم(٨٤٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) القصة رواها البخاري(٢٤٧٤) ومسلم(٢١٩٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مختصرة ورواها أبو داود (٤٥١٢) والحاكم(٤٩٦٧) والطبراني في: الكبير(١٢٠٢) والبيهقي في الكبرى(١٥٧٨٩) وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.والقصة جاءت عن عدد من الصحابة منهم جابر وكعب بن مالك وابن عباس وأبو سعيد وعائشة وأم سلمة رضوان الله عليهم.وانظر: المشكاة (٥٩٣١).

وهكذا بعد رجوعه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من غزوة بني المصطلق أشاع المنافقون وأرجفوا بحادثة الإفك أعلنوا وأشاعوا أن عائشة زنت والذي زنا بها صحابي جليل بزعمهم هو صفوان بن المعطل من أصحاب الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الأوفياء فما استطاع رسول الله أن يكذب الخبر اللهم إلَّا أنه قال : { أهلي ولا أعلم عن أهلي إلَّا خيراً } ونسيت أمراً مهماً حينما خرجوا من الموضع الذي نزلوا فيه ذهب البعير الذي تمتطيه أم المؤمنين عائشة لو كان رسول الله يعلم الغيب لقال : هذا البعير ليس فيه أحدٌ من النساء لكنه لا يعلم ثم تستمر حادثة الإفك ثلاثين يوماً ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واقف على أعصابه حتى نزلت براءتها من السماء في عشر آيات من سورة النور فهناك أخذ بعض الذين خاضوا في هذه الفتنة وجلدوا من ثمانين جلدة تطهيراً لأنهم قذفوا عروس رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(١).

فهذه كلها أدلة تقتضي أن سيد الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين لا يعلم الغيب {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً}[الجن٢٦].

فهو لا يعلم الغيب وغيره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من باب أولى أصحابه لا يعلمون الغيب التابعون لهم بإحسان لا يعلمون الغيب من الذي يعلم الغيب إذاً؟ إنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فاسمع إلى ربك وهو يقرر هذه القضية قائلاً : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [هود ١٢٣، النحل ٧٧].

وهنا كما يقول علماء النحو واللغة : أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والإختصاص فقدم حروف الجر لتكون خبراً مقدماً ثم جاء باللفظة التي تلي

---

(١) حادثة الفلك: رواها البخاري(٢٤٥٣، ٢٤٩٤ ، ٢٥١٨ ، ٢٥٤٢ ، ٢٧٢٣ ، ٣٢٠٨ ، ٣٨٠١، ٣٩١٠ ، ٣٩١٢ ، ٤٤١٣ ، ٤٤١٤ ، ٤٤٧٢ - ٤٤٧٤ ، ٤٤٧٩ ، ٦٢٨٥ ، ٦٣٠١ ، ٦٩٣٥ ، ٦٩٣٦ ، ٧٠٦١ ، ٧١٠٦) ومسلم(٢٧٧٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

غيب مبتدأ مؤخر ليدل على الحصر.

حصر رب العالمين الغيب على نفسه فهو الذي يعلم الغيب ومن ادعى أنه يعلم الغيب دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو بين أمرين اثنين تسمعون بعض التفصيل في الخطبة الثانية إن شاء الله .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بآياته والذكر الحكيم وانفعنا بسنة سيد الأولين والآخرين هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

معاشر المؤمنين : من زعم أن أحداً يعلم الغيب سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو إما أن يكون كذاباً دجال ولا يستطيع أن يقيم الدليل وإما أن يكون جاهلاً فيعلّم وقد نقلنا ما فيه الكفاية من العلم عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فالأول : من قال إن غير الله يعلم الغيب نحن لا ننكر ذلك لكنه بنسبة واحد في المائة عن طريق الجن والشياطين : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢٢١ـ٢٢٣] .

فهؤلاء الجن يرتفع بعضهم فوق بعض فيسترقون بعض العبارات من السماء فلهم في الأرض قرناء يتعاملون فيما بينهم فيقولون كلمة صادقة لكنهم يكذبون معها تسعة وتسعين كذبة هذا ما أفصح به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن كثيراً من المسلمين ربما يصدق أو إن حصل له أمرٌ اتفاقاً ظن أن ذلك يعلم الغيب أو من علم الغيب المطلق وإنما هو كما أسلفت بنسبة واحد في المائة كما أثبت ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[1] فلو طالعت

(١) روى البخاري(٤٤٢٤، ٤٥٢٢، ٧٠٤٣) عن أبي هريرة أن نبي الله -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: {إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : للذي قال الحق وهو العلي الكبير فسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضه فوق بعض «ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه « فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن . فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فكذب معها مائة كذبة فيقال:

في بعض الصحف والمجلات تجد فيها زوايا ما يتعلق بالحظوظ والأبراج برج الدلو والميزان والثور والعقرب والدبران هذا العلم علم التنجيم وهو ضرب من ضروب السحر علم الشعوذة والكهانة إنها علومٌ خرافية انطلى باطلها على كثير من الجهال أما العلماء فهم في معزل وفي عصمةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكنه انطلى على كثير من المسلمين حينما تركوا العلم الصحيح فلم يلتفتوا إليه وإن تعجب فعجباً لتلك النشرة السنوية التي وصلت عددها الثامن بعد المائة وهي نشرة نتيجة فلكي بيت الفقيه يصدرها ذلكم الرجل محمد بن أحمد مهدي أمين سنوياً ففيها من الكذب والهراء والضحك والخرافة ما يعلمه من كان على علم ودليل واضح من أمر الله وأمر رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكم أخبر بمغيبات فكانت خلافً ما يقرره وكم أخبر هؤلاء الكهنة والمشعوذون والمنجمون بأمور ثم كان على خلاف ذلك سعادة وزير ونحس أمير وموت رئيس وزلازل وغلاء وخيرات وبركات ثم لا يكون من ذلك شيء أبداً فمن أين هذا العلم ؟ هو عبارة عن استمداد من النجوم كما في حديث ابن عباس في سنن أبي داود : { من اقتبس علماً من النجوم اقتبس علماً من السحر زاد ما زاد }[1].

وفي حديث آخر يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { من أتى عرافا فسأله عن شيء

أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا:كذا وكذا ؟فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء} .
وفي روى البخاري(٥٤٢٩، ٥٨٥٩، ٧١٢٢) ومسلم(٢٢٢٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: { سأل رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ناس عن الكهان فقال: ليس بشيء. فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحيانا بشيء فيكون حقا فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة } .
وفي البخاري(٣٠٣٨، ٣١١٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أنها سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: { إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم } .

(١) صحيح: رواه أحمد(٢٠٠٠) وأبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجة (٣٧٢٦) وغيرهم وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٦٠٧٤) والصحيحة(٧٩٣).

لم تقبل له صلاة أربعين ليلة}[١]. و{ من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد }[٢].

فالواجب على المسلم أن يحذر من هذه النتيجة وهكذا من الطلاسم والأبراج في كثير من الصحف والمجلات وإن خاض فيها عن طريق التسلي والتشهي لم تقبل له صلاة أربعين يوماً وإن كان على وجه التصديق والإعتقاد يكون كافراً بما أنزل على محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأن هذا من علوم الغيب ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[البقرة ١٠٢].

---

(١) رواه مسلم(٢٢٣٠) عن صفية عن بعض أزواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(٢) صحيح: رواه أحمد(٩٥٣٢) والحاكم(١٥) والبيهقي في الكبرى(١٦٢٧٣) وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٥٩٣٩) وصحيح الترغيب (٣٠٤٧).

فائدة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف. وفي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم:

القول الأول: أن العراف هو الكاهن، فمهما مترادفان، فلا فرق بينهما.

القول الثاني: أن العراف هو الذي يستدل على معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها، فهو أعم من الكاهن، لأنه يشمل الكاهن وغيره، فهما من باب العام والخاص.

القول الثالث: أن العراف يخبر عن أمور بمقدمات يستدل عليها، والكاهن هو الذي يخبر عما في الضمير، أو عن المغيبات في المستقبل. فالعراف أعم، أو أن العراف يختص بالماضي، والكاهن بالمستقبل، فهما متباينان.

والظاهر أنهما متباينان، فالكاهن من يخبر عن المغيبات في المستقبل والعراف من يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. القول المفيد على كتاب التوحيد(١/ ٤١٢).

هذا ضربٌ من ضروب السحر والشعوذة وصار للسحر والشعوذة مدارس وجامعات وشهادات وصار لها قنوات أيضاً وهكذا في الأفلام الكرتونية التي تعرض على الأطفال بمرأى ومسمع من كثير من المسلمين يخربون عقائد المسلمين فكن على ثقة أيها الأخ بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة٥١].

يتصل متصلٌ من بعض الدول بأحد الأثرياء ويقول : اسمك فلان ويأتيه باسمه وبأمور خاصّة فيه ثم طلب منه تحويل ألفي دولار فوافق وإلا أرسل له بعض الجن. إلى هذا المستوى بلغ الخوف بالمسلمين وكان الواجب على المسلم أن يكون متوكلاً على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فنحن نجزم وبقوة نقولها وبتحدّ أيضاً أن هذه النشرة وما سواها من التكهنات هي ضرب من السحر والكهانة والتنجيم والشعوذة يرضى من يرضى ويسخط من يسخط نقول ذلك حسبة لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

وإليك هذا النموذج عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] حينما خرج لمناجزة الخوارج أراد أن يسافر إلى الخوارج لقتالهم فقال له بعض المشعوذين : يا أمير المؤمنين لا تخرج فإن القمر في الدبران أو قال القمر في العقرب وهو نوع من أنواع التنجيم علامة فقال له أمير المؤمنين : بل والله

(١) علي بن أبي طالب(٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١ م) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاما بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة(١٧) رمضان المشهورة، واختلف في مكان قبره.
انظر: الأعلام للزركلي(٤/ ٢٩٥) بتصرف.

سنخرج توكلاً على الله وثقة بالله وتكذيباً لك ثم خرج عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفتح الله على يديه ونصره الله على أعدائه[١].

وهذا المعتصم بن هارون الرشيد[٢] استنجدت به امرأة مسلمة من عمورية قائلة وامعتصماه فحرك تسعين ألفاً من المسلمين لنجدة تلك المرأة فقال له جمع تصور جمع من المنجمين قالوا له : أيها الأمير لا يحسن بك الخروج وإن خرجت لن تنصر أبداً لا يمكن أن تنصر إلَّا إذا نضج التين والعنب تأمل إلى هؤلاء السذج لا يكون النصر إلَّا إذا نضج التين والعنب فأخرج المعتصم سيفه قال : بل والله سينصرنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فجاء إليه أبو تمام[٣] فأرسل إليه قصيدة رائعة ذائعة منها هذه المقطوعة قائلاً ليرد على ذلك المنجم :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

---

(١) انظر القصة في: زوائد الهيثمي على مسند الحارث(٥٦٤) وكنز العمال(٢٩٤٣٩) وتاريخ الطبري (٦/ ٤٧) والكامل لابن الأثير(٣/ ٣٤٣) والعظمة لأبي الشيخ(٤/ ١٢٣١).

(٢) المعتصم العباسي(١٧٩ - ٢٢٧ هـ = ٧٩٥ - ٨٤١ م) محمد بن هارون الرشيد بن المهدى ابن المنصور، أبو إسحاق، المعتصم بالله العباسي: خليفة من أعاظم خلفاء هذه الدولة. بويع بالخلافة سنة(٢١٨ هـ) يوم وفاة أخيه المأمون، وبعهد منه، وكان بطرسوس. وعاد إلى بغداد بعدسبعة أسابيع في السُّنَّة نفسها. وكان قوي الساعد، يكسر زند الرجل بين أصبعيه، ولا تعمل في جسمه الأسنان. وكره التعليم في صغره، فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميا. وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية، في خبر مشهور. وهو باني مدينة سامرا (سَنة ٢٢٢) حين ضاقت بغداد بجنده. وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى، من الخلفاء، فقيل (المعتصم بالله) وكان لين العريكة رضي الخلق، اتسع ملكه جدا. وكان له سبعون ألف مملوك. خلافته ٨ سنين و ٨ أشهر، وخلف ٨ بنين و ٨ بنات، وعمره ٤٨ سنة. توفى بسامرا. انظر: الأعلام للزركلي(٧/ ١٢٧).

(٣) أبو تمام(١٨٨ - ٢٣١ هـ= ٨٠٤ - ٨٤٦ م)حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب . أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. كان أسمر طويلا. فصيحا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. في شعره قوة وجزالة. واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري. وأخبار أبي تمام ص(٢٧٣) ووفيات الأعيان(٢/ ١١) والأعلام للزركلي(٢/ ١٦٥).

أيـن الروايـة بل أيـن النجـوم ومـا صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
وخوفوا الناس مـن وهيـاء مظلمة إذا بدا الكوكـب الغـربـي ذو الذنـب
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت أعمـارهم قبـل نضـج التيـن والعنب

ثم خرج المعتصم وحصل النصر المؤزر واندحر أولئك المنجمون إخوان الكهنة والشياطين[1] .

فيا أمة محمد ويا أمة العقيدة والتوحيد :

ممن تخافون ؟ أتخافون من الجن ؟ ومن العفاريت والمنجمين ؟ إنه لا يليق بكم وأنتم تحملون كتاب الله وسُنَّة رسول الله وتعاليم الإسلام فأنت إذا قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خنست الشياطين كلها وإذا أذنت الله أكبر هناك يندحر كل شيطان ومبطل فكن على هذه العقيدة فلو جاءك من جاءك من الناس يقول : هو مرسل من ابن علوان أو من صفي الدين أو عندك ثعبان في الحمام أو بين الطحين فإياك أن تصدق ذلك فقل له : دع ثعباني لي واتكل على الله من عند بابي وإن استطعت أن تنصحه فانصحه فلا ينبغي أن يكون المسلم مهزوزاً في عقيدته إياك أن تتشاءم بل عليك أن تقدم في أمر يحبه الله ورسوله أمر مباح من زواج أو تجارة أو عمل فإياك أن تتشاءم فبعض الناس ربما يتشاءم بشهر صفر مثلاً أو بيوم الأربعاء أو إن رأى رجلاً أصلع أو أعرج أو أعور رجع وما يخرج في ذلك اليوم توكل على الله .

---

(١) أنظر القصة في: شرح ديوان أبي تمام» للخطيب التبريزي(١/ ٤٤) والبداية والنهاية(١٠/ ٢٨٦-٢٨٨) أحداث سنة (٢٢٣) وتاريخ الأمم والملوك للطبري(١٠/ ٣٣٢) وتأريخ الخلفاء للسيوطي ص(٢٩١) وموسوعة التاريخ الإسلامي (٣/ ٢٦٢-٢٦٦).

توكل على الرحمن في الأمـر كله فما خـاب حقاً من عليه توكلا
كن متوكلاً على الباري سبحانه ولا يثنيك شيء من ذلـك أبـداً
إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فـإن فـسـاد الـــرأي أن تـــترددا

وتأمل في هذين الأميرين علي بن أبي طالب والمعتصم بن هارون الرشيد كيف كان عندهم من الجرأة على التكذيب تكذيب هؤلاء المنجمين ثم بعد ذلك الإقدام على أمر أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به هكذا فعلى المؤمن أن يكون معتقداً أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن :﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة٥١].

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٣ أهمية الصلاة ـ وبعض آداب الجمعة

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

من أعظم ما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به بعد التوحيد إقامة الصلاة في أوقاتها وجعل ذلك ركناً من أركان الإسلام مردفاً بعد الشهادتين مباشرة وكانت الصلاة عمود هذا الدين كما قال ذلك سيد الأولين والآخرين لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما قال له : { أولا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قال : بلى قال : رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله }(١)

وإن تحدث الخطيب عن الصلاة فأمامه المصلون الذين حضروا للصلاة قد يقول قائل : كان حرياً بهذه النصيحة لغير الذين في المسجد الباعة الذين في الأسواق والمقاهي والمطاعم والبوفيات والبقالات والذين هم في الشوارع والطرقات .

نقول معاشر المسلمين : لا يلزم من النصح إذا نصح الناصح أنه يقصد أن أولئك لا يقومون بذلك الأمر فإنما أراد الله باجتماع الناس يوم الجمعة من أجل الخير واتعاظ القلوب كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجمعة٩] ثم نحن معاشر المصلين نطالب أنفسنا أيضاً بالصلاة فكم من مصلّ لم يفقه صلاته وكم من صاحب صلاة لا ترتفع صلاته حذو أذنيه كم من صاحب صلاة عنده من الغش والإحتقار وسوء الخلق والكبر ومقارفة بعض المنكرات من إطلاق البصر وإطلاق الألفاظ

(١) صحيح: رواه أحمد(١٥٩٢٤، ومواضع) والترمذي(٢٦١٦) والنسائي في الكبرى(١١٣٩٤) وابن ماجة (٣٩٧٣) والحاكم(٣٥٤٨) والطيالسي(٥٦٠) والبيهقي في الشعب(٢٨٠٦) وصححه الألباني بمجموع طرقه في: الصحيحة(١١٢٢) وانظر: صحيح الجامع(٥١٣٦).

البذيئة كم من صاحب صلاة وهو عنده من الموبقات على أن الصلاة الحقيقية تنهى عن الفحشاء والمنكر[١] إذن لا بد من التذكير بأهمية الصلاة يا أهل الصلاة .

الصلاة يا عباد الله من أعظم ما أمر الله به وأمر به رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة ٢٣٨] ومعنى قوله: ﴿ قَٰنِتِينَ ﴾: أي خاشعين وكان الخشوع من أهم أركان الصلاة فربما انصرف العبد من الصلاة وقد كتب له نصفها أو سدسها أو خمسها إلى أن وصل إلى عشرها[٢] فربّ مصلّ يصلي لا أجرة له على الصلاة وذلك أنه يصلي صلاة ما أداها كما أمر الله ولا كما أمره رسول الله فقد جاء في صحيح البخاري أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : { صلوا كما رأيتموني أصلي }[٣].

ولقد نقلت صفة صلاة رسول الله من التكبير إلى التسليم فيما يتعلق بأمر الأركان والواجبات والشروط والمستحبات وما ورد في فضل ذلك من إقامة الصلاة.

ولأهمية هذا الأمر أمر الله به وعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه لا صلاح للناس إلَّا بأن

(١) كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت٤٥].

(٢) لحديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {إن الرجل لينصرف وما كتب له إلَّا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها} صحيح: رواه أحمد (١٨٨٩٩، ١٨٩١٤) وأبو داود (٧٩٦) والنسائي في الكبرى(٦١١، ٦١٢) وابن حبان (١٨٨٩) وأبو يعلى(١٦١٥) والبزار(١٤٢٠) والبيهقي في الشعب(٣١٢٠) والكبرى(٣٣٤٢) وصححه الألباني في: صلاة التراويح(٦) وحسنه في صحيح الجامع(١٦٢٦).

(٣) الحديث في الصحيحين: ولكن هذا اللفظة في البخاري(٦٠٥، ٥٦٦٢، ٦٨١٩) والدارمي (١٢٥٣) وصحيح ابن حبان(١٦٨٥) وصحيح ابن خزيمة(٣٩٧) والدارقطني(١) والبيهقي في الكبرى(٤٧٥) عن مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليست عند مسلم.

يكونوا من أهل المساجد فأمر الله ببناء المساجد وحث على ذلك وأمر عباده بالصلاة فلا فلاح ولا سعادة للناس إلَّا بإقامة شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

والـديـن جـاء لـسـعـادة البشر ولانتفاء الـشر عنهم والـضرر

فصاحب الصلاة هو في عصمة وفي فرح وسرور إنه يعيش راحة نفسية والله بخلاف الذين ليسوا من أهل الصلاة فهم في قلق وفي اضطراب وفي همّ وغمّ كيف لا ؟، وقد قال عليه الصلاة والسلام : { وجُعلت قُرة عيني في الصلاة[1] وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها }[2] وتقول عائشة : {كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا حزبه أمر صلى }[3] .

أي إذا جاءته أحزان إذا جاءته هموم دنيوية أمر بلالاً بأن يقيم الصلاة أن يؤذن بالصلاة فراحته عليه الصلاة والسلام إنما تكون في الصلاة فلو سألنا أنفسنا يا عباد الله : ما الذي يريحنا ؟ فأغلب المسلمين آخر شيء يفكر به الصلاة هناك أمور يلجأ إليها غير الصلاة وغير اللجوء إلى رب الأرض والسماء ربما لجأ إلى أمور محرمة إلى معاقرة الملاهي من الحرام ثم آخر ما يكون يفكر به الصلاة .

وقل لبلال العزم إن كنت صادقاً أرحنا بها إن كنت حقاً مصلياً

---

(١) صحيح: رواه أحمد(١٢٣١٥، ١٢٣١٦، ١٤٠٦٩) والنسائي(٣٩٣٩، ٣٩٤٠) والحاكم(٢٦٧٦) والطبراني في الأوسط(٥٧٧٢)والبيهقي في الكبرى(١٣٢٣٢) عن أنس ، وصححه الألباني: صحيح الجامع(٣١٢٤) وانظر: الصحيحة(٣٢٩١).

(٢) صحيح: رواه أحمد(٢٣١٣٧) وأبو داود(٤٩٨٥، ٤٩٨٦) والطبراني في الكبير(٦٢١٤) وصححه الألباني في:صحيح الجامع(٧٨٩٢) عن رجل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) حسن:رواه أحمد(٢٣٣٤٧) وأبو داود(١٣١٩)والبيهقي في الشعب(٣١٨١، ٣١٨٢) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في:صحيح الجامع(٤٧٠٣) وصحيح أبي داود(١١٧١)

هذه الصلاة فرضت على كل الأمم وأثنى الله على كثير من النبيين حينما حافظوا عليها وأمروا ذريتهم بها فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾[مريم: ٥٤ـ ٥٥].

وهكذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خليل الرحمن يقول: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾[إبراهيم ٤٠].

وهكذا أثنى الله على أهل الإيمان حينما قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان ٧٤].

وأثنى على عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث قال على لسانه: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[مريم ٣١] ويأمر الله نبيه بذلك يقول: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[طه ١٣٢].

لقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر بالصلاة وأمره الله بأن يؤديها وهو في خضم المعركة إذا كان في قلب ساحات الوغى يأمره الله أن يقيم الصلاة .

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم والحرب تسقي الأرض جاماً أحمرا

جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا في مطلع الروح الأمين فكبرا

والمسلمون في ساحات القتال يحاصرون أعداء الله من أعظم ما يقومون به

تأدية الصلاة فما حال الكثير من المسلمين اليوم والواحد منهم يتعلل بقضية الرزق التي كفلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوقات الصلاة ما عدا صلاة الفجر هم في نوم إلَّا من رحم الله وإلا فالظهر والعصر والمغرب والعشاء ترى الناس في دكاكينهم وكأن الأمر لا يعنيهم أعوذ بالله إلى أي حالة تردى أمر المسلمين فما بال اليهود يغلقون أعمالهم يوم السبت ويسبتون في بيوتهم يدعون كل الأعمال وما للمسلمين ولا حول ولا قوة إلَّا بالله ، يا أيها العبد المسلم اعلم يا رعاك الله أن رزقك مكفول ومحفوظ ومعدود ولن يصلك إلَّا ما أراده الله فلن تستطيع أن ترزق نفسك فإن أديت ما أمرك الله به بارك الله لك في هذا الرزق وإن لم تفعل جاءك الرزق بعينه ولكن لا بركة في ذلك ورأيت معيشة ضنكا يوم أن تفارق الصلاة أو أن تؤخرها عن وقتها أو أن تصلي في بيتك أو دكانك والمسلمون يؤدونها في المساجد .

معاشر المسلمين :

لا بد أن تتمعر وجوهنا ولا بد أن نستنكر ما نشاهده أمامنا من إغفال الكثير من المسلمين هذا الأمر الناس يصلون في المساجد وهم في سوق القات مثلاً أو في المطاعم أليسوا هؤلاء من المسلمين كان حريًّا بهم أن يغلقوا الأبواب وأن يذهبوا إلى الصلاة وكان واجباً على ولاة الأمر أن يأمروا بذلك فإن الله كلف المسؤولين والحكام بهذا الأمر فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي الذين جعلناهم رؤساء أو حكام أو قضاة أو مدراء أو محافظي ألوية أو لهم سلطة على الناس﴿ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج ٤١].

فمن أراد أن يسعد في الدنيا وأن يسعد في الآخرة فعليه أن يؤدي هذا الأمر فقد كان الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب إلى عماله يكتب إلى

المسؤولين الذين تحت دولة عمر ، وعمر هو أمير المؤمنين آنذاك يرسل برسائل يقول فيها : إن أهم أعمالي التي تقومون بها تأدية الصلاة ألا لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

فإذا عرف العبد باب المسجد وكان من أهل الصلاة جاء الخير كله ورأى الفلاح بأجمعه وإن ترك العبد الطريق إلى المسجد فأي خير يرجى من هذا إن من المسلمين من يتعلل تعليلات باردة يقول : هو لا يصلي لكنه لا يكذب أو ليس له حاجة إلى النساء أو أنه قلبه نظيف إن هذه تعليلات عليلة لا محل لها من الإعراب ، فأيّ زكاة وأيّ طهارة وأي جمال بعد ترك الصلاة ، إذا كان ترك الصلاة يعتبر كفراً بإجماع أصحاب محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-[1].

فماذا يرجى من رجل يقول : هو لا يكذب أو أن قلبه نظيف وهو ليس من أهل الصلاة بل نقول له : أنت عدوّ الله ويخشى أن تكون من المنافقين وأنت ساقط العدالة لا تقبل شهادتك ولا تؤمن على مال المسلمين ولا تزوج من المسلمات لأنك في عداد الكافرين ، إن هذه المعلومات يجب أن نعلمها يا عباد الله ، لأن دعاة التغريب الذين هم من أبنائنا وإخواننا يصرفون المسلمين عن مثل هذه المعلومات ويصورون الأمر أنه لا شيء فيه وأن أمر الصلاة أمر شخصي أمر راجع إلى الشخصية فالإنسان مخير حرّ في تصرفاته.

ليس كذلك والله ليس للعبد الإختيار فالله أمر بالصلاة فوجب على المسلمين أن يأتمروا ومن قال مثل هذه التعليلات نقول له : يشك في إسلامك فإن أمر

(١) قال عبد الله بن شقيق قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : { كان أصحاب محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة } صحيح موقوف: رواه الترمذي(٢٦٢٢) دون ذكر أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو عند الحاكم(١٢) بذكر أبي هريرة فيه، وصححه الألباني في: المشكاة (٥٧٩) وصحيح الترغيب (٥٦٥).

الصلاة تواتر عن المسلمين جيلاً بعد جيل وأنها فريضة ربانية ، كل الشرائع فرضت في الأرض ما عدا أمر الصلاة ففرضت ليلة الإسراء والمعراج[١] لما فيها من الأهمية ، فوجب علينا معاشر المسلمين أن نتبصر في أمورنا وأن ننصح بذلك أزواجنا وأبناءنا وجيراننا وإخواننا المسلمين الذين يفرطون في هذا الباب وإن كان لك صديق أو شريك مفرط في أمر الصلاة فاحذره كل الحذر فإذا كان قد خان الله في أمانته وفي شرعته فمن باب أولى أن يخونك أنت وإياك أن تصدق ذلك الكلام المعسول الذي يردده الكثير من الناس : هو لا يصلي ولكن قلبه نظيف ، هذه عبارة لا يجوز لمسلم أن يذكرها على لسانه وهكذا المرأة إن كانت لا تصلي وقد نصحت فلا خير فيها فهي امرأة سوء لا يجوز العشرة معها وهكذا الزوج إن كان لا يصلي وقد نصح من قبل المرأة وجب على المرأة أن تفارقه لأنه رجل سوء ولا خير في هذا الرجل ما دام أنه لا يصلي ثم بعد ذلك ننظر إلى النقص الحاصل عند الكثير من المسلمين الذين هم من أهل الصلاة لكنهم مفرطون ، مفرطون في تأديتها هؤلاء فيهم خير لكن نقص إيمانهم فنقول : لا بد أن يكمل إيمانهم وذلك بالعمل الصالح فمن كان قريباً من العمل الصالح ازداد إيمانه فمن قرأ القرآن ومن جاء إلى المسجد ولو بعض الفروض رأيت الحسنة تصحب أختها وتنادي أختها وإذا بدأ بمغادرة المسجد شيئاً يسيراً بدأت السيئات كما قال عروة بن الزبير[٢] : إذا رأيت للرجل حسنة

---

(١) انظر: قصة الإسراء والمعراج وفرضية الصلاة في: البخاري(٣٤٢) ومسلم(١٦٣) عن انس عن أبي ذر وفي البخاري(٣٠٣٥) ومسلم (١٦٤) عن أنس عن مالك بن صعصعة والقصة في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

(٢) عروة بن الزبير(٢٢ - ٩٣ هـ = ٦٤٣ - ٧١٢ م) عروة بن الزبير بن العوام الاسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها. وهو أخو عبد الله بن الزبير لابيه وأمه. و « بئر عروة « بالمدينة « منسوبة إليه .انظر: الأعلام للزركلي(٤/ ٢٢٦).

فاعلم أن لها أخوات وإذا رأيت له سيئة فاعلم أن لها أخوات ، وقال بعض الصالحين : إذا عمل الرجل الحسنة قالت الأخرى : وأنا وإذا عمل السيئة قالت الأخرى : وأنا فمن عمل الصالحات بدأت الأعمال الأخرى تراوده وتجاذبه وهكذا من عمل السيئات والعياذ بالله بدأ السوء يتطرق إليه ويظفر به الشيطان الرجيم فتأدية الصلاة والمحافظة عليها يحتاج إلى إرغام للشيطان وإرغام للنفس وإرغام للهوى وإرغاماً للدنيا التي أنهكت الكثير من الناس في أمر محسوم كما قال الناظم :

كم دقت ورقت واسترقت فضول الرزق أعناق الرجال

فأمر الأرزاق يجب على العبد أن لا يخاف وأن يعلم أن أمر الرزق شيء مقدر.

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلَّا خالي البالي

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

فكيف تخاف الرزق كيف تخاف من أمر الرزق وقد كتبت أيامك ، كتب العمر كتب الأجل الأيام كتبت الأرزاق كتبت الآجال ، الشقاوة والسعادة فماذا تريد ماذا تريد عبد الله ؟ لقد خلقك الله للدين لا لأن تكون من أهل الدنيا وليس بحرام أن تأخذ من الدنيا الحلال فالله يقول: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف٣٢].

لكن الدنيا تذم يوم أن تكون هي المقصد وأمر الدين يكون أمراً استثنائياً

أمراً إضافياً الواجب أن يكون الدين هو الأساس وما سوى ذلك أمراً إضافياً استثنائياً

الدِّيْن رأس المال فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل٩٧] .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، هذا ما قلته لكم ، وأستغفر الله لي ولكم ، إنه هو الغفور الرحيم ، فاستغفروه يغفر لكم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين ورضي الله عن أصحاب محمدٍ أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:

معاشر المؤمنين: إن مما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به إقامة صلاة الجمعة وتأديتها على الوجه الذي يريده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالله أمر بتأدية الصلاة أعني صلاة الجمعة وجاءت الأحاديث توضح عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عمم ورسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فصل فهذا اليوم هو يوم الجمعة من أفضل أيام الأسبوع كما قال عليه الصلاة والسلام: { خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلَّا في يوم الجمعة }[1].

فهذا اليوم يوم مبارك ويوم فاضل كان علامة بارزة ومنحة سامية من الله جَلَّ وَعَلَا لأمة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يجتمعون في هذا اليوم ماذا يريد المسلمون من اجتماعهم في هذا اليوم يا أيها الإخوة الفضلاء لو عرفنا السر في ذلك لرغبنا فيما عند الله إن سرّ هذا اللقاء والإجتماع من أجل سماع الوعظ من أجل سماع التوجيهات من أجل مفاقدة المرضى ومن أجل النظر في أحوال أهل الإسلام حينما يجتمعون تحت سقف واحد ويسمعون كلاماً يوجههم إلى مرضاة الله والدار الآخرة، لكن هذه المعلومة فقدت عند الكثير من المسلمين فلو طالعت في سيرة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لوجدت أنه أمر بالمبادرة وحث على ذلك وقبل ذلك أمر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالإغتسال فقال كما في الحديث الصحيح: { الغُسل

(١) رواه مسلم(٨٥٤) وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يوم الجمعة واجب على كل محتلم }[١].

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل }[٢].

وهكذا أيضاً يستحب أن يمس من الطيب والدهن وأن يمتشط وأن يلبس أحسن ما يجد وأن لا يفرق بين اثنين ويقول في حديث آخر : من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة ثم راح [في الساعة الأولى]ـ والمراد بالساعة الأولى يعني الساعة السابعة صباحاً ـ فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام طوت الملائكة الصحف وحضروا يستمعون الذكر[٣].

هذه الترتيبات في الأجور على حسب الأولويات ماذا قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { فإذا خرج الإمام} ـ أي خرج الخطيب فيستحب للخطيب أو للإمام أن يكون آخر خروجاً أو من آخر الوقت خروجاً كما استنبط كثير من الفقهاء ذلك هذا إذا كان الخطيب بجانب المسجد أما إذا كان بعيداً فيستحب لأن يبكر حتى يكون من المبادرين لاستباق الخيرات لأنه ربما يحال بينه وبين الوصول إلى المسجد فيقول-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر }.

فالملائكة يسجلون الأول فالأول من أجل الأجور من أجل ترتيب من

---

(١)(متفق عليه: البخاري(٨٢٠، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٥٥، ٢٥٢٢) ومسلم(٨٤٦) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) (متفق عليه: البخاري(٨٣٧، ٨٥٤، ٨٧٧) ومسلم(٨٤٤) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) متفق عليه: البخاري(٨٤١، ٨٨٧، ٣٠٣٩) ومسلم(٨٥٠) وما بين القوسين عند مالك في الموطأ(٢٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يدخل وإعطائه الثواب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ [١] فتأملوا يا رعاكم الله من آداب الجمعة التبكير لصلاة الجمعة ، الكثير من المسلمين لا يهمه أمر الخطبة وإنما تهمه الصلاة فيأتي من آخر الناس وربما كان قريباً من المسجد لكنه قد اعتاد على ذلك فهذا فيه نقص في الاستقامة نقص في الإلتزام عدم المبالاة بالدين إلَّا أن يكون معذوراً بنوم أو بسفر أو بمرض أو بشغل لا يستطيع أن ينفك عنه كأن يكون مع أهله في المستشفى أو في العيادة أو أمر لا سمح الله أما إن كان صحيحاً معافى فيستحب له التبكير .

يوم الجمعة له آداب لا بد أن يكون في جدولك الرسمي أرأيتم الذي يذهب إلى العمل ويتقاضى في الشهر ثلاثين إلى أربعين ألفاً لا بد أن يأتي في الساعة الثامنة صباحاً وينطلق الساعة ثنتين تماماً لا يتأخر هو يتقدم لكنه لا يتأخر هو يتقدم ربما يأتي الساعة الثامنة إلَّا ربع على أساس يكون موظفاً مثالياً ونحن نؤيده على ذلك لأن الفوضوية في العمل وفي الإدارة أيضاً ليس من الإسلام فلا بد من الاتزان في كل شيء لكن لماذا كنا منتظمين في أمر الدنيا لسنا منتظمين في أمر الآخرة ، هذا أمر من الأهمية بمكان إذن لا بد من التبكير ولا بد من قراءة سورة الكهف لما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين } [٢].

---

(١) أبي هريرة الذي رواه البخاري(٨٨٧، ٣٠٣٩) ومسلم(٨٥٠/ ٢٤) أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر} .

(٢) صحيح: رواه الحاكم(٣٣٩٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه والبيهقي في الكبرى(٥٧٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٦٤٧٠) وصحيح الترغيب(٧٣٦) عن ابي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وعند الدارمي(٣٤٠٧) والبيهقي في الشعب(٢٤٤٤) موقوفا ورواه البيهقي في الشعب(٣٠٣٩) مرفوعا عن أبي سعيد { من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق} وصححه الالباني في: صحيح الجامع(٦٤٧١) وصحيح الترغيب تحت حديث (٧٣٦).

وهكذا أيضاً من سننه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الإكثار من النوافل قبل صعود الخطيب إلى المنبر فقد ثبت في ذلك سنة عنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-[١] فتأتي في ساعة مبكرة تصلي ما كتب الله لك ثماناً أو عشر ركعات ليس في ذلك أمر محدد ثم تكثر من الصلاة على رسول الله فقد أمر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحث على الإكثار من الصلاة يوم الجمعة فقد جاء في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : { إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة . فيه خلق آدم . وفيه النفخة . وفيه الصعقة . فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي . فقال رجل يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت ؟ فقال (إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء }[٢]

فهو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قبره كما كان على قيد الحياة لم تأكل الأرض شيئاً منه ولا شعرة واحدة استناداً إلى الحديث الصحيح الذي تحدث به من لا ينطق عن الهوى فمن صلى على الرسول يوم الجمعة أو غيرها عرضت الصلاة على رسول الله ليكون المقابل أن يصلي عليك الله عشر مرات استناداً إلى حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم: { من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا }[٣].

وهكذا أمر السلام فما من مسلم يسلم على رسول الله إلَّا ردّ الله عليه الروح حتى يرد عَلَيْهِ السَّلَامُ فإذا قلت : اللهم صلّ وسلم على محمدٍ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يعيد

---

(١) روى البخاري(٨٤٣، ٨٦٨) وغيره عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلَّا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى }.

(٢) صحيح: رواه أحمد(١٦٢٠٧) وأبو داود(١٠٤٧، ١٥٣١) والنسائي(١٣٧٤) وابن ماجة (١٦٣٦) وغيرهم عن أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٢٢١٢) والمشكاة (١٣٦١) والصحيحة(١٥٢٧).

(٣) رواه مسلم(٣٨٤) وأحمد(٦٥٦٨) وأبو داود(٥٢٣) والترمذي(٣٦١٤) والنسائي(٦٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو ورواه أيضا مسلم برقم(٤٠٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

روح النبي إلى النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- فيقول : وعليك السلام[١]. رسول الله يردّ عليك السلام ويدعو لك بالسلامة من كل آفة فهذا أمر يا معاشر المسلمين يجب علينا أن نهتم به وأن نقدسه في قلوبنا كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج٣٢].

إن الكثير من المسلمين أمر الدين والحديث أمر هو لا شك أنه يحبه لأنه من أهل الإسلام لكن لا مبالاة لكن لو يسأله آخر مائة ريال أو أقل أو أكثر ويحق له أن يحرص فقد أمر الله بكتابة الدين وكانت أطول آية من القرآن الكريم آية الدين كما في آخر سورة البقرة لكن لماذا تعظيم الدنيا في قلوبنا أعظم من الدين

أبـنـي إن مـن الـرجـال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر

فـطـن بـكـل مصيبة في ماله ... وإن يصـاب بـديـنه لـم يـشعـر

فأين الاهتمام بدين الله وأين تعلم أمر الصلاة وفقهها نفقه هذه الصلاة نقرأ مثلاً رياض الصالحين وفقه السُّنَّة ومن كتب في هذا الباب وهناك أيضاً أطباء نفسانيين كتبوا فيما يتعلق بأمر الصلاة فالصلاة تعالج كثيراً من الأمراض النفسية الهموم والغموم وهكذا ضخ الدماء إلى القلب فهذه الصلاة لم يكن الأمر بها من فراغ وإنما لما كان فيها الخير للبدن وللقلب الخير الدنيوي والأخروي أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها ولا يأمر الله إلَّا بخير . أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى وأن يغفر لنا ولوالدينا اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته ، اللهم اعطنا ولا تحرمنا وكن معنا ولا تكن علينا اللهم انصر عبادك المؤمنين يا رب العالمين .

(١) لحديث أبي هريرة عند أحمد(١٠٨٢٧) وأبي داود (٢٠٤١) وحسنه الألباني في: صحيح الجامع (٥٦٧٩): أن رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: { ما من أحد يسلم علي إلَّا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام }.

٤ واستعينوا بالصبر والصلاة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوكل عليه ونعمل لرضاه .

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود يا غاية المنى ... فكل الذي فوق التراب تراب

في السماء ملكك وفي الأرض سلطانك وفي الجنة رحمتك وفي النار سطوتك وعذابك أنت على كل شيء قدير ، وأنت رب الطيبين وأنت إله الأولين والآخرين ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين ، أنار الله به عقول البشرية ، وزلزل به كيان الوثنية كانت أمته خير الأمم ، وكان هو بأبي وأمي خير الأنبياء والمرسلين .

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا ... من العناية ركناً غير منهدم

لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

أوصيكم ونفسي بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبالإستقامة على الأمر والنهي ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

هذا نداء من رب العزة والجلال لكم يا معاشر المؤمنين يناديكم بألطف النداءات وأحسنها إنه يشرفكم بهذا النداء ثم بعد ذلك يوجه إليكم من خلال هذا النداء يوجه لكم أمرين اثنين ثم يختم ذلك بخبر فهو أصدق القائلين﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[النساء١٢٢].

يقول المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة١٥٣].

فهل سمعتم يا رعاكم الله بمثل هذا الخطاب المبارك إنه خطاب من رب الأرض والسماء هذا الخطاب للمؤمنين المتابعين لمنهج محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم يناديهم بهذا النداء المبارك وهو يعلم بما يصلحهم وبما يكون لهم خير في الدنيا والآخرة فيناديهم بهذا النداء ثم يأمرهم بالاستعانة بأن يكون لهم عون على الطاعة وعون على نوائب الدهر عون على كل أمر من أمور الدنيا والآخرة فيقول: ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ وكذلك أيضاً ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ ثم ختم ذلك بهذا الخبر قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فلم يقل : مع المصلين على أنه معهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكن الصبر يشمل ذلك كله فنحن نحتاج إلى الصبر في عباداتنا وفي معاملاتنا نحتاج إلى الصبر في حياتنا كلها نحتاج إلى الصبر في صلاتنا في كل ما يتعلق بأمر من أمور الدنيا والآخرة الصبر معاشر المؤمنين معناه حبس النفس على ما تكره فالنفس تنفر هذه النفس اللوامة والنفس الأمارة أما النفس المطمئنة التي قد رضيت بالله رباً اتخذت لها منهجاً واضحاً ورضخت لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهي قد تخلقت بالصبر وصار الصبر سجية لها فإذا كنت تعيش في دنياك وأنت فاقد لهذه الشعيرة وهذه الشعبة العظيمة شعبة الصبر لا شك أنك تمر بمخاطر عظام فكان لزاماً على المؤمن أن يطالع في صفحات القرآن الكريم وأن يتمثل خُطا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو الذي أمره ربه بقوله: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾[المدثر٧]. فكان خير الصابرين وخير القانتين وخير الخاشعين وخير المصلين فهو أتقى العالمين لربه وهو أعلم الناس بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

معاشر المؤمنين :

هذه الآية المباركة يأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يستعين المؤمن في هذه الدنيا والآخرة يستعين على نوائب الحياة يستعين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من خلال الصلاة ومن خلال الصبر أيضاً فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، لقد رحل بعض المسافرين

إلى بعض دول الغرب حيث انخلعوا عن تعاليم الإسلام بل حتى وقعوا في كل ما يسوء للإنسانية والبشرية في الحياة وانخلعوا تماماً عن الحياة وعن ما يجب عليه الإنسان من الحياة فضلاً أن يكون مؤمناً بربه فرأى الفتن من حوله يمنة ويسرة وأن اقتراف الحرام من السهل بمكان فخشي هذا المؤمن على نفسه فأراد لنفسه الدواء فتذكر هذه الآية المباركة تذكر هذه الآية الكريمة :﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[العنكبوت٤٥] فلزم الصلاة لزم الخمسة الفروض وداوم على النوافل بعد الفرائض وكان حقاً مصلياً فحينها استقام له قلبه وخشعت جوارحه لله ورجع بخير دون أن يتلطخ بشهوة حرام.

أيا مسلماً باع الهوى والملاهيا وأصبح للذكر المقدس تالياً

فقدظفرتورب العرش بالفوز والعلا وأحسنت إحساناً وحزت الأمانيا

توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً به ترقى أبواب الجنان الثمانيا

وقل لبلال العزم إن كنت صادقاً أرحنا بها إن كنت حقاً مصلياً

فهذا الرجل القدير دله إيمانه و دله يقينه وأعانه الله على أن ترك الحرام من خلال هذه الشعيرة العظيمة لأن هذه الشعيرة كفيلة بصلاح الإنسان فوالله لا يرتاح قلبه ولا يهدأ ضميره ولن تكون له عاقبة حميدة إلَّا برضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

معاشر المؤمنين :

إن دخل العبد إلى هذه الدنيا فإنه يحتاج والله إلى الصبر فمن خلال الطاعة لا يمكن أن يثبت على طاعة إلَّا أن يتحلى بالصبر فإن الصبر يحبس هذه النفس على أن تداوم على الطاعات فهو صبر على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يصبر على

الطاعة فمن صبر على الطاعة وجد الخير ورأى النور فإن {الصلاة نور والصبر ضياء }[1] يستضيء به الإنسان في هذه الدنيا وهكذا أيضاً صبر عن المعصية فإن العبد لا يستطيع أن يترك الحرام إلَّا يوم أن يكون صابراً قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[الإنسان١٢]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر١٠]. وتأملوا في صبر الكريم بن الكريم يوسف عليه الصلاة والسلام حينما دعته امرأة العزيز فكان نعم العبد الصابر المحتسب إنه لم يتدنى لأن يكون من أهل الشهوات الذين أحرقوا أنفسهم في خضمها وانقادوا لنفوسهم فكانوا مفضوحين لكنه اعتصم بالله رب العالمين وهكذا معاشر المؤمنين فيما يتعلق بالمصائب والنكبات ومن ذا الذي يخلو من أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإذا لم يكن لك صبر يعينك على الطاعة ويعينك على ترك المعصية ويعينك أيضاً على الإستسلام للقضاء والقدر لن تتهنأ والله بعيش أبداً .

اصبـــر لـكـل مصيبة وتجلد واعـلـم بـأن المـرء غيـر مخلد

فـــإذا أتـتـك مصيبة تـبـلى بها فـاذكـر مصابك بالنبي محمد

فالمصائب النازلة من قبل رب الأرض والسماء وجب على المسلم وجوباً أن يتأمل أنها أمر الله فالله هو الذي أنزلها وربما كانت خيراً للعبد لكن الناس يستعجلون ، هذه امرأة من أمة محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تأملوا قصتها معاشر المؤمنين تأتي إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهي أمة سوداء لا تكاد تعرف بين الناس لكنها صارت تاريخاً عظيماً يقرأ إلى يوم الدين تأتي هذه المرأة الصالحة

(١) رواه مسلم (٢٢٣) وأحمد(٢٢٩٥٣) والترمذي(٣٥١٧) والنسائي(٢٤٣٧) وابن ماجة(٢٨٠) وغيرهم عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلى رسول الله وتقول : يا رسول الله إني أصرع بمعنى أن هناك من الجان من يصرعها فأرادت من الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يدعو لها أن يدعو الله لها ودعاء الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مقبول فبمجرد الدعاء يكون الجواب من رب الأرض والسماء ويكون الشفاء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فعرض عليها الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمراً يختبر بذلك إيمانها فقال لها : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله لك ، إنها بالخيار هذه المرأة بالخيار إما أن تصبر لتستلم من الصادق الأمين هذه الضمانة العظيمة وهذا الوعد الذي لا يخلف إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله لك فشفاك قال : بل أصبر يا رسول الله ولكن ادعو الله أن لا أتكشف إنها كانت على حياء ودين لا تريد أن يتبين مفاتنها وأن تظهر عورتها للناس قال : أدعو الله لك فكانت تصرع يقول ابن عباس لتلميذه عكرمة البربري : ألا أريك امرأة من أهل الجنة قال : بلى قال : تلك المرأة السوداء هذه قصتها[1].

إن من المسلمين اليوم من إذا أصيب بمرض فربما تسخط على الله وعلى أقدار الله أو أصيب بولده أو بزوجته أو بماله إنه لا يدري أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له حِكَم عظيمة وله مقاصد شريفة لكن الناس لا يعلمون أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهذا اختيار واصطفاء إنه اختيار واصطفاء رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مات أولاده وماتت بناته وماتت من أزواجه وهو على قيد الحياة ، فكان يصبر ويسلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وهذا أحد التابعين العظام أحد العلماء الأفذاذ أصيب برجله فكان فيها سرطان وقرر الأطباء قطعها هذا هو العالم الجليل عروة بن الزبير ابن أسماء أبوه حواري رسول الله وأمه أسماء ذات النطاقين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن آل أبي بكر

(١) انظر: قصتها في: البخاري(٥٣٢٨) ومسلم(٢٥٧٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعن الصحابة أجمعين هذا الرجل العظيم كان من العلماء الكبار أصيب بآفة في رجله وهذه هي حال الحياة وحالة الدنيا فلا يسلم أحد من سوئها لأنها لا تسوى عند الله شيئاً فهذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما هي دار ممر .

حكم المنية في البرية ساري ما هذه الدنيا بدار قرار

طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذار والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار [1]

إنك تطالب مستحيل من أراد أن يهدأ وأن لا يفجعه مصارع الدهر والزمان فقد طالب مستحيل فلا بد أن تبتلى بموت أو بمرض أو بصرع أو بفقر أو بأي آفة من الأمور التي أرادها الله فلا بد أن يكون الرضا وأن يكون التسليم وأن يكون الإذعان فإن الذي أراد ذلك هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا العالم الكبير قرر الأطباء بتر قدمه قرروا بتر هذه القدم حتى لا يصاب بقية البدن بهذه الآفة وقالوا له : نضع لك بنجاً يعني مخدراً لهذه القدم وكانوا في القديم ليس عندهم ما يسمى بالتخدير الموضعي وإنما هو شيء يشربه عن طريق المعدة فيضيع عقله كله ولا يشعر ولا يحس بشيء بعد استعماله فما رضي بذلك لكنه صبر واحتسب فلما قطعت رجله أصيب بإغفاءة وبإغماء شديد فما استيقظ إلَّا وقد بترت هذه القدم وفي نفس اليوم يموت أحد أولاده فقال هذا العبد الصالح :

(١) هذه الأبيات للشاعر/ علي بن محمد التهامي[شاعر وقته، له ديوان صغير وكان دينا، ورعا عن الهجاء. ولد باليمن، وقدم الشام والعراق والجبل، وامتدح ابن عباد، وصار معتزليا، ثم ولي خطابة الرملة، وزعم أنه علوي. وذهب إلى مصر بخبر لحسان بن مفرج، فقتل سرا سنة ست عشرة وأربع مئة/ انظر السير(١٧/ ٣٨١ ترجمة: ٢٤٢)] يرثي بها ولدا مات صغير وهي قصيدة جيدة تزيد عن ثمانين بيتا. منها الأبيات السابقة.
انظر/ ديوانه ووفيات الأعيان(٣/ ٣٧٩ رقم ٤٧١) وتأريخ دمشق(٤٣/ ٢٢٣) وذيل تأريخ بغداد (٤/ ٣٧ رقم٨٤١).

اللهم إن كنت قد أخذت قدماً فقد أبقيت لي أخرى وإن كنت قد أخذت عني ولداً فقد أبقيت لي آخرين فقال حساده : لم يبتل ابن الزبير بما ابتلي به إلَّا بذنب عظيم اقترفه فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله ما مديت كفي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا دلني سمعي ولا بصري لها ولا قادني فكري إليها ولا عقلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الله إلَّا قد أصابت فتىً قبلي (١)

وهكذا شأن الناس يتدخلون في نوايا الناس دون أن يكون على علم وإنما على ظنون وتخمين فكان صابراً محتسباً. وهكذا شأن النبي أيوب عليه الصلاة والسلام يبتلى ثمانية عشر عاماً حتى تركه القريب والبعيد ما عدا زوجته التي ما زالت متمسكة بالعهد والمعروف فكانت هي التي تقوم بخدمته وبعد ذلك يكون البرؤ ويكون الإصطفاء والإختيار وكانت التزكية ووسام الشرف من الله :﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾[ص٤٤] .

فيا معاشر المؤمنين : على مدار اليوم والليلة نحتاج إلى الصبر فتحتاج إلى الصبر وأنت في مسجدك وأنت في طريقك وأنت في بيتك مع زوجتك وأولادك تحتاجه مع أبيك وأمك تحتاجه مع قريبك تحتاجه مع عمالك تحتاجه في كل لحظة وآن تحتاج إلى الصبر.

هذا رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- بعد انتهائه من فتح مكة توجه إلى الطائف ليناجز هنالك الأحزاب الذين تألبوا له في معركة تدعى حنين وكانت الهزيمة

(١) هذه الأبيات لمعن بن أوس وقد تمثل بها عروة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ. انظر: تأريخ دمشق(٥٩/ ٤٢٩) وحلية الأولياء(٢/ ١٧٨) والبداية والنهاية(٩/ ١٢١) وصبح الأعشى في صناعة الإنشا(٢/ ٢٠٦).

قبل ذلك على المسلمين ثم شاء الله الإنتصار عليهم ووزعت الغنائم وقسمت الغنائم والذي قسمها هو رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا بأحد هؤلاء يقول : هذه القسمة ما أريد بها وجه الله وفي رواية أنه قال : يا محمد اعدل إنه يخاطب بهذا الخطاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسول العالمين وحجة الله على الأولين والآخرين إنه أمين وحي السماء يخاطبه بهذا الخطاب ويطالبه بالعدل فتمعر وجه رسول الله حتى كان وجهه كالرق الأحمر مما سمع من مقالة السوء فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { لقد شقيت من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر }(١).

وفي حادثة أخرى .يقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبين كث اللحية محلوق فيقول اتق الله يا محمد فيقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { من يطع الله إذا عصيت؟ ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء. فقال خالد بن الوليد : دعني أضرب عنقه يا رسول الله فمنعه فلما ولى قال: { إن من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود}(٢).

هولاء هم الخوارج يتظاهرون بالصلاة والصوم وبالدين وفي قلوبهم الويل على المسلمين كان استعداؤهم أولاً على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم على المسلمين من بعده.

---

(١) انظر: في هذه القصة: البخاري(٢٩٦٩، ٢٩٨١، ٣٢٢٤، ٤٠٨٠، ٤٠٨١ ، ٥٧١٢، ٥٧٤٩، ٥٩٣٣، ٥٩٧٧) ومسلم(١٠٦٢، ١٠٦٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وجاءت القصة من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري(٣٤١٤، ٤٧٧١ ، ٥٨١١، ٦٥٣٢، ٦٥٣٤) ومسلم(١٠٦٤).

(٢) متفق عليه: البخاري(٣١٦٦، ٤٠٩٤، ٤٣٩٠، ٦٩٩٥، ٧١٢٣) ومسلم(١٠٦٤) والحديث جاء بألفاظ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أعلمتم معاشر المؤمنين هذا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو ينال في عرضه وفي أمانته ولما كان في المدينة شهر واحد يوقِفُه على أعصابه من قبل المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه الذين اتهموا عائشة بالزنا ثم نزلت براءة من السماء في تبرئة عائشة في مطلع سورة النور ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾[النور١١] هذا عبد الله بن أبي ينال من عرض رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن فراش رسول الله فتحلى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالصبر، فلما فُقد الصبر من حياتنا حصل ما لا تحمد عقباه سرق الفقير واعتدى على أموال الغني وكان حرياً بالفقير أن يصبر وهكذا أيضاً صار طغيان عند القوي فاعتدى على الضعيف وكان حرياً بأن يصبر وهكذا الغني صار عنده مال فصار يخبط به خبط عشواء وكان حرياً به أن يصبر كان حرياً به أن يصبر فإن الصبر عنوان الفلاح في الدنيا والآخرة وهكذا حصل من القتل على أتفه الأسباب وكان خليقاً بالمسلمين أن يصبر بعضهم عن بعض وأن يعفو بعضهم عن بعض فضاعت هذه الركيزة من حياتنا فدقت الأمراض أمراض السكر والسرطان والضغط دقت أناساً كثيرين ورسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يأتي إليه رجل فيقول : يا رسول الله عظني انصحني وجهني فيقول له: { لا تغضب. فردد مرارا. قال: لا تغضب }(١).

وقديماً قالوا : الحلم سيد الأخلاق ومن أين يكون الحلم إذا لم يتحلى المؤمن بالصبر فالمؤمن يتحلى بالصبر ولقد ذكر رجل في تاريخ الإسلام ودخل تاريخ الإسلام من أوسع أبوابه إنه الأحنف بن قيس الذي ضرب بحلمه في الجاهلية

(١) رواه البخاري(٥٧٦٥) وأحمد(٨٧٢٩، ومواضع) والترمذي(٢٠٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه أحمد(٢٠٣٧٢) والحكم(٦٥٧٨) عن جارية بن قدامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وابن عمر وسفيان بن عبد الله وأبي الدرداء وأنس بن مالك وأبي سعيد ومعاوية بن حيدة ورجل من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. انظر: الأضواء (١٣٠ـ ١٣٣).

والإسلام حتى قال القائل :

إقــدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس [١]

هذا الرجل العظيم كان مضرب مثل في الحلم قتل بعض جيرانه وكان القاتل لذلك ولده فكان في مجلسه قال : اذهبوا إلى أوليائه فإن عفوا وإلا فاعطوهم الدية فقال بعض الحاضرين : إنك لحليم يعني صابر محتسب إنك رجل صاحب حلم فقال له : نعم إلَّا في ثلاث فأنا لا أكون حليماً قال : وما هي ؟ قال : البنت إذا شبت فلا بد أن تزوجها إن خطبت وضيفي إذا طرق بابي أستعجل لفتحه وإذا مات الميت فليس هناك داعي لتأخيره بل لا بد من دفنه، هذا الرجل قيل له مرة : إنك تصبر في كل شيء وتحلم في كل شيء ونحن لا نستطيع أن نقوم بما تقوم به أنت فقال لهم : أني أجد مثل ما تجدون لكني أحمل نفسي على الصبر فلا بد من المجاهدة يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا

---

(١) هذا بيت قاله أبو تمام الطائي في أحمد بن المعتصم ـ وقيل ابن المأمون ـ في قصيدته السينية والتي مطلعها:

ما في وقوفك ساعةً من بأس ... نقضي حقوق الأربع الأدراس

فلما انتهى إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقال له الوزير: تشبّه أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟ فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلاً شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنِّبراس

وعمرو: هو ابن معد يكرب يوصف بالشجاعة والإقدام .وحاتم هو الطائي ويوصف بالجود والسماحة والكرم والاحنف بن قيس يوصف بالحلم والأناة وإياس: هو إياس بن معاوية، كان قاضيا بالبصرة، يوصف بالذكاء، وكان من قوم يظنون الشئ، فيكون كما يظنون، حتى شهر أمرهم في ذلك.

وهذا البيت في « ديوانه (٢ / ٢٤٩، ٢٥٠) من قصيدة عدة أبياتها أربع وثلاثون بيتا.

انظر:البداية والنهاية (١٠/ ٣٠٠) ووفيات الاعيان(٢/ ١٥) والبيان والتبيين للجاحظ (ص٥٩٧) والمثل السائر لابن الأثير(٢/ ٣٤٤) وترجمة أبي تمام مع الثلاثة الأبيات في سير الأعلام(١١/ ٦٣ رقم ٢٦) .

لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت٦٩].

هناك من الناس من لربما صار عنتراً في بيته ربما ضرب زوجته ربما ضرب أولاده بل هناك من قتل زوجته قتلها في يوم عيد يوم أن جاءت توقظه لصلاة العيد فقام مغضباً فضربها ضرباً مبرحاً وهناك من قتل ابنه كما نشر في بعض الصحف وهو على السرير بال الصغير على أبيه فرماه من على السرير حتى وقع الصغير على أم رأسه فمات وهكذا قصص كثيرة وما أكثر القتل والقتال ، في بعض الأحيان تأتي سيارتان في طريق ضيق فيقول الأول للثاني : ارجع إلى الوراء فلا يرضى يقول له : لكن ارجع أنت فهذا يأخذه القمر فلا ينكسر هذا ولا ينكسر الآخر فبعد أن يضعوا مقاتيل أو أن يتضاربوا أو أن يحصل من التحدي ربما ينزغ الشيطان فبعد ذلك يذعنون للأمر الواقع وكان الأولى أن يكون أحدهم عاقلاً إن كان الأول مجنوناً فلا بد أن يكون الآخر عاقلاً ليس هناك من هزيمة أن رجعت إلى الخلف إنك إن رجعت إلى الوراء لست أنت بفسل ولا يقال عنك جبان بل أنت أشجع الشجعان يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب}[1].

فلا بد أن تملك نفسك عند الغضب في كل شيء فإن الغضب جمرة من النار تفور في قلب صاحبها توقعه في أمور لا تحمد عقباها قال بعض الصحابة : {فكرت فيما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا الغضب قد جمع الشر كله}[2].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا ما قتله لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

---

(١) متفق عليه: البخاري(٥٧٦٣) ومسلم(٢٦٠٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) صحيح: رواه أحمد(٢٣٢١٩) وصححه الألباني: صحيح الترغيب(٢٧٤٦).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

معاشر المؤمنين :

أما تتمة هذه الآية من سورة البقرة وهي رقم ثلاثة وخمسين بعد المائة من سورة البقرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة١٥٣].

يؤكد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بهذا التأكيد المبارك أنه مع الصابرين فمع تفيد المعية ومعنى المعية أي أن عناية الله وحفظ الله ولطف الله وتأييد الله وأمر الله وإعانة الله تكون للصابرين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة١٥٣].

فالمعية على قسمين : معية عامة ومعية خاصة أما المعية العامة فمعية الله مع الناس كلهم :﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[المجادلة٧].

فالله مع البشر في كل وقت وحين في كل لحظة وساعة لو كانوا في البر أو في البحر أو في الجو فهو معهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ : ﴿ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ ﴾[البقرة١٤٨].

فهو مع المؤمن والكافر لكن ليست إعانة وليست نصراً ولا تأييداً ولا ثباتاً بل إحاطة وعلم وإدراك من أجل المحاسبة من أجل المراقبة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم :﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة٦]. لكن هناك معية خاصة هذه للمؤمنين للمحسنين للصابرين للمحتسبين للخاشعين للذين ساروا على أمر الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل١٢٨].

وهنا يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة١٥٣]. تأييداً ونصرة وثباتاً ورزقاً ومعروفاً وهكذا فسرها بكل جميل وانزع عنهم كل قبيح فهو معهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كان بعض الصالحين يكتب رسالة إلى بعض إخوانه يقول له:

أما بعد فإن كان الله معك فممن تخاف وإن كان الله عليك فمن ترجو فإن كان الله في صفك فهو الذي نصر موسى على فرعون وكانت الدنيا مع فرعون كلها وهو الذي أخرج يونس بن متى من البحر بل كان في بطن الحوت وهو الذي أنقذ الخليل من النار والإحراق ونجى إسماعيل من الذبح وهو الذي رفع المسيح بعد أن أراد اليهود قتله أراد اليهود قتل عيسى بن مريم لكن الله رفعه إليه:﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء١٥٨] رفعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إليه رفعه إلى السماء وهو الذي نجّا محمداً -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من بطش قريش وقد أرادوا الفتك به لكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معه كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾[التوبة٤٠]. ويقول النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأبي بكر وهو في

الغار: {يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما }[1] ، فأنت يا عبد الله إن كنت صابراً، فاعلم أن الله في صفك .

فيا أيها الوالد القدير عليك أن تصبر على أولادك ويا أيها الابن القدير اصبر على أبيك وأمك وأنت أيها الزوج أيضاً لا بد من صبر على نوائب وعلى مشاكل الحياة الزوجية وأنتِ أيتها الزوجة أيضاً فلا بد من صبر فلا تقوم الحياة إلَّا بصبر وهكذا المسلمون كلهم في كل لحظة وآن يحتاجون إلى هذا الأمر لأن تكون حياتهم مؤسسة على صبر ومؤسسة على حلم ومؤسسة على دين وأي رجل فارق الصبر أو أنه لم يرعوي به ولم يلجأ إليه فإنما قد ضر نفسه وألقى بنفسه إلى الهاوية .

فيا معاشر المؤمنين :

طالعوا في صفحات التاريخ وتأملوا سيرة الحبيب محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإنه بحر خضم من الفضائل :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجـود ساحله

اللهم اجعلنا من عبادك الصابرين اللهم ارزقنا الصبر على نوائب الدهر يا رب العالمين اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته اللهم خذ بأيدينا إلى كل خير وجنبنا كل ضير اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من

(١) متفق عليه: البخاري(٣٤٥٣، ٣٧٠٧، ٤٣٨٦) ومسلم(٢٣٨١) .

ظلمنا وانصرنا على من عادانا اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا غاية رغبتنا ولا تسلط علينا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا اللهم احفظنا فوق الأرض وارحمنا تحت الأرض ويوم العرض عليك يا رب العالمين اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وأقم الصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾[النساء١٠٣].

٥ وجوب إخراج الزكاة

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

اعلموا رحمكم الله أن دينكم دين الإسلام مبني على أسس وأركان فمتى انخرم ركن من هذه الأركان كان مؤثراً على بقية الجوانب الأخرى جاء في الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : { بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان }(١).

فها أنتم في ركن من أركان الإسلام الخمسة شهر رمضان فقد كرمكم الله وشرفكم أن كنتم من صوامه وقوامه وهذه إشارات إلى ركن من تلك الأركان من باب الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين كما قال رب العالمين في كتابه : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الذاريات٥٥]. فيا أهل الإيمان تنتفعون بإذن الله ربكم بالذكرى ينفعكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك فهي إشارات إلى الركن الثالث من أركان الإسلام وهو إيتاء الزكاة أو أداء الزكاة فقد تظافرت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على وجوب إخراجها كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[البقرة:٤٣، ٨٣، ١١٠ والنساء: ٧٧ والنور:٥٦ والمزمل:٢٠]، في آيات كثيرة من القرآن يقرن الله عَزَّوَجَلَّ بينهما

---

(١) متفق عليه: البخاري(٨، ٤٢٤٣) ومسلم:(١٦) .
فائدة: ورد الحديث من حديث عبد الله بن عمر وجرير بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر: الإرواء(٣/ ٢٤٨) .
قال النووي: هذا الحديث أصل عظيم فى معرفة الدين وعليه اعتماده وقد جمع أركانه والله أعلم. شرح مسلم(١/ ١٧٩) ، وقال ابن رجب: والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس فهي كالأركان والدعائم لبنيانه...
والمقصود تمثيل الإسلام بالبنيان ودعائم البنيان هذه الخمس فلا يثبت البنيان بدونها وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا ينقص بنقص ذلك بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بفقدها جميعا بغير إشكال. جامع العلوم(ص/ ٤٣).

بين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[الحج٤١]. وغيرها كثير.

هذه الفريضة العظيمة أيضاً أرسى قوائمها وقواعدها محمد عليه الصلاة والسلام فلقد أرسل معاذاً إلى اليمن قال له : { إنك تأتي قوماً من أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلَّا الله وفي رواية : أن يوحدوا الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة من أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم}[1]. فهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ولقد كان الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في زمانه يرسل الجباة والسعاة لجمع الزكاة فهي حق من حقوق المال حق شرعي أوجبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولما توفي النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ارتد بعض الأعراب وقالوا لأبي بكر ومن معه من الأصحاب : نقوم بكل الشرائع ما عدا الزكاة نصلي ونصوم ونحج ونعمل ونعمل ظانين أن أبا بكر إنما يريد الإستحواذ على أموالهم حتى قال قائلهم :

رضينا رسول الله إذ كان بيننا فما لنا لا نرضى بحكم أبي بكر

أيملكها بكر إذا مات بعده فتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- لقاتلتهم عليه فشرح الله صدر أبي بكر للقتال ثم كان إجماعاً من الصحابة رضوان الله عليهم في

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٣١، ١٣٨٩، ١٤٢٥، ٢٣١٦، ٤٠٩٠، ٦٩٣٧) ومسلم(١٩) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

مقاتلة أهل الردة[١].

وما من شيء فرضه الله إلَّا وفيه حكمة فأي أمر أمر الله به فمن ورائه حكم من الخير وأيما شيء حذر الله منه فمن ورائه حكم من الشر فأوامر الله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كلها خير ونواهي الله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كلها شر ما يعبر عنه العلماء بقاعدة التلازم لأن الله عظيم وحكيم وخبير ولطيف وهو رحمن الدنيا والآخرة.

والدين جاء لسعادة البشر ولانتفاء الشر عنهم والضرر

فلماذا كانت الزكاة ؟ هل حق ما يقوله اليهود : أن الله فقير وهم أغنياء ؟ قاتلهم الله ﴿ **لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ** ﴾[آل عمران١٨١]. هذه مقالة اليهود لا يا عباد الله هو الغني وله ملك السماوات والأرض وما بينهما وما خول الله الأغنياء إنما هو غنى من غناه وملك من ملكه وحقاً من حقوقه فكان الله قادراً أن يجعل الناس كلهم على حد سواء يجعلهم أغنياء أو أن يجعلهم فقراء جميعاً محاويج على أنهم فعلاً فقراء إلى الله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر١٥].

ولكن نتحدث عن المصطلح المعروف وعن الرتب والطبقية الحاصلة في الناس فهذا فضل من الله هذا فضل من الله أن جعل هذا غني وهذا فقير ابتلاء واختبار لقد ابتلى الله أهل الغنى بالغنى وابتلى أهل الفقر بالفقر ليستبين شكر الأغنياء وصبر الفقراء هل الأغنياء سيشكرون وهل الفقراء سيصبرون على أن

(١) انظر: البخاري(١٣٣٥، ١٣٨٨، ٢٧٨٦، ٦٥٢٦، ٦٨٥٥) ومسلم(٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي قتال أهل الردة: انظر: البداية والنهاية(٦/ ٣١١) وغيرها من كتي التأريخ.

الغالب أن البعض ينتقد على هذا والله يقول: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الزخرف ٣٢]. الله لطيف وخبير لكن بعض الناس غير مقتنع بهذا .

صغير يطلب الكبرا وشيخاً ود لو صغرا
وخالٍ يشتهي عملاً وذو عمل به ضجرا
ورب المال في تعب وفي تعب من افتقرا
أهم حاروا مع الأقدار أم هم حيروا القدرا

هذه أقدار رب العالمين فوجب على الغني أن يشكر وعلى الفقير أن يصبر إنه ابتلاء واختبار: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[الفرقان ٢٠]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِالْحَسَنَٰتِ وَالسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[الأعراف ١٦٨]. إنه ابتلاء لذوي الأموال وابتلاء لذوي الفاقة والحاجة لكن هناك حكم يرتبها رب العالمين من وراء ذلك أيضاً على أن ما ذكر حكمة عظيمة ليتبين شكر الشاكر وصبر الصابر فتأمل معي رعاك الله قول المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[التوبة ١٠٣]. فلقد جاء ابن أبي أوفى إلى رسول الله بماله الذي عينه للزكاة فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {اللهم صل على آل أبي أوفى }[1]. ويأتي أبو بكر بماله كله فيقول : { ما أبقيت

(١) متفق عليه: البخاري (١٤٢٦، ٣٩٣٣ ، ٥٩٧٣ ، ٥٩٩٨) ومسلم(١٠٧٨) عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

لأهلك ؟ « قال أبقيت لهم الله ورسوله. ما ويأتي عمر بشطر ماله قال : { ما أبقيت لأهلك؟ قلت مثله }(١). وينادي رسول الله : { من يجهز جيش العسرة وله الجنة ؟ فيجهزه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ }(٢). حتى قال رسول الله: { ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم شيئاً }(٣) هؤلاء ضحوا بما عندهم وليس غريباً فقد ضحوا بنفوسهم .

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

فتأمل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾[التوبة١٠٣].أي: زكاة ﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة١٠٣]. فالزكاة طهرة للمال وطهرة لصاحب المال وزكاة للمال أي نماء للمال وزكاة لصاحب المال زكاة لنفسه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى:١٤ـ ١٥] وكما في الحديث يقول عليه الصلاة والسلام : { اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها }(٤) فإخراج الزكاة معناه نماء للمال ليس نقصاً والله، فما نقص مال من صدقة أخبر بهذا نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلَّا عزا وما تواضع أحد لله إلَّا رفعه الله }(٥).

ومن شح بالمال سلطت عليه الآفات وابتلي صاحبه بالشح والبخل لأنه لا

(١)حسن:رواه أبو داود(١٦٧٨) والترمذي(٣٦٧٥) والدارمي (١٦٦٠) والحاكم (١٥١٠) والبزار (١٥٩ ، ٢٧٠) وغيرهم. وصححه الألباني في:المشكاة(٦٠٢١) والظلال (١٢٤٠).

(٢) رواه البخاري(٢٦٢٦) وغيره عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حسن: رواه أحمد(٢٠٦٤٩) والترمذي(٣٧٠١) والحاكم(٤٥٥٣) وصححه ووافقه الذهبي وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٥٩) عن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الألباني في: المشكاة(٦٠٦٤) وصحيح الترمذي(٢٩٢٠) .

(٤) رواه مسلم(٢٧٢٢) وغيره عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) رواه مسلم(٢٥٨٨) وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تزكية له ولا تطهير له إنما التطهير من الآفات الخبيثة للنفس والمال يكون من جراء إخراج الزكاة بدلالة هذه الآية لذلك كان اليهود والرأسمالية من أعظم الناس شحاً وبخلاً وجبناً وهلعاً وتعلقاً بالدنيا لأنهم شحوا بالمال ومنعوا إخراجه أما النفوس الطيبة فقد أخرجوا ما أمرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، هذا رجل كان يقسط الخارج من الأرض ثلاثة أقساط فقسطاً ينفقه على أهله وأولاده والثاني يعيده إلى الأرض والثالث يعطيه الفقراء والمساكين فقد جاء في صحيح الإمام مسلم: { أن رجلا كان يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ما اسمك ؟ قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ فقال إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال أما إذ قلت هذا}[1] فكان من خيرة خلق الله يوم أن أخرج ما أعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

وهكذا في عرصات القيامة يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس}[2]. يعني يوم القيامة .

وفي حديث آخر يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { ما منكم أحد إلَّا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى إلَّا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلَّا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلَّا النار

(١) رواه مسلم(٢٩٨٤) وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) صحيح: رواه أحمد(١٧٣٧١) وابن خزيمة(٢٤٣١) وابن حبان (٣٣١٠) والحاكم (١٥١٧) وغيرهم عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٤٥١٠) وصحيح الترغيب (٨٧٢) .

تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة }[١]

وجاء في حديث آخر يقول نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم : { من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلَّا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل}[٢] فهذا كله ترغيب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأهل المال والثراء ومن ابتلاهم الله عَزَّوَجَلَّ بالمال أن يتأملوا في حالة الفقير والمسكين ليعطوهم من فضل الله وأن لا يكون هناك إزعاج على إخراجه ولا منّ على أدائه وإنما إخراج من رجل طيبة بذلك نفسه يتمنى أن يتقبلها ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة٥].

فإذا أخرج صاحب المال ماله زكاة فقبل أن يخرج ذلك يسأل من ربه القبول وعليه أن يعلم أن هناك أنصبة ومعايير لإخراج الزكاة وهناك أقسام لأناس مستحقينها فلا ينبغي أن تعطى للأقوياء أو الأثرياء وإنما تعطى للمساكين والفقراء والأرامل والأيتام الذين استوصى بهم ربنا فقال: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾[التوبة٦٠]. هذه مصارف الزكاة فلا ينبغي أن تصرف لغير ذلك ولا ينبغي أن يكون في ذلك حيل فبعضهم يعيدها على أسرته مانعاً غيرهم من الزكاة ربما أعادها لزوجته مثلاً على أنه مكلف بالإنفاق عليها أو على أبيه وهو مكلف على الإنفاق عليه لكن لو أعادها على بعض الأقربين

(١) متفق عليه: البخاري(١٣٤٧، ١٣٥١، ٣٣٩٩، ٣٤٠٠، ٦١٧٤، ٦١٩٥، ٧٠٠٥، ٧٠٧٤) ومسلم (١٠١٦). عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) متفق عليه: البخاري(١٣٤٤، ٦٩٩٣) ومسلم(١٠١٤)عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ممن لا تلزمه نفقتهم على أنه لا يضيع حقوق الفقراء الآخرين فيعطيه ما تيسر من ذلك ، ثم يصرف الآخر منها على من يراهم أهلاً لأخذها ، كذلك لا ينبغي أن يكون إخراج الزكاة إنما هو استحياء من الصديق أو من العامل في ميدان العمل أو من مخاطبة الناس له ، فعليه أن يعلم أنها فريضة ، وأنه حق افترضه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وأنه آثم إذا لم يخرج ، فقد قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم حاكياً عن فريق أوتوا كتبهم بشمالهم : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾[الحاقة:٢٥ـ ٣٤].

أي لا يحث على ذلك ولا يهتم به على أنه صاحب مال فلما لم يهتم بالمسكين والفقير.﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[الحاقة:٣٣ ـ ٣٦]. والمراد بالغسلين غسالة أهل النار ما يكون من زهمهم وعرقهم ونتنهم ، فيكون طعاماً وشراباً لهذا الذي منع الزكاة ومن أعطاه الله مالاً ولم يؤد زكاته كان هذا المال شجاعاً قوياً ينطحه يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[التوبة:٣٤ـ ٣٥].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: { من آتاه الله مالا فلم يؤدي زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه

يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك }[1].

هذه آثار صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمن أعطاه الله من الخير وجب أن يخرج منه وقد تساهل الناس في كثير من الأمور التي تقتنى كالبقر والإبل والغنم ولكنه دين يجب بيانه فنصاب البقر ثلاثون ونصاب الإبل خمس وفيها شاة ونصاب الغنم أربعون وفيها شاة ثم إلى مائة وعشرين شاتان ثم بعد ذلك في كل مائة شاة على حسب ما هو مقرر في كتب الفقه لكن أغلب المسلمين اليوم في ثروة النقدين وفي ثروة العملة الورقية وعروض التجارة أما ما يتعلق بالذهب والفضة سواء كان ملبوساً أو كان عرضة للبيع والشراء والإدخار كان مكنوزاً أو كان سلعة للبيع والشراء أو كان ملبوساً فيجب إخراج الزكاة منه بدلالة هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة:٣٤]. فنصاب الذهب عشرون مثقال هذا ما ورد في كتب الفقه ثم اجتهد علماؤنا في هذا الزمان فجعلوه بمعايير وأوزان عصرية فقالوا : خمسة وثمانون جراماً فمن ملك أو ملكت من النساء خمسة وثمانين جراماً من الذهب وجب عليه إخراج الزكاة وكيف يتم إخراجها تضرب بحسابها بسعر اليوم ثم يخرج ربع العشر والمراد بربع العشر على كل ألف خمسة وعشرين ريالاً فعلى المائة الألف ألفين وخمسمائة وهكذا ما يتعلق بنصاب الفضة إلَّا أن نصابها مائتا درهم كما في كتب الفقه الكبرى أما علماؤنا في هذا العصر فقالوا : خمسمائة وخمسة وتسعين جراماً أما ما يتعلق بالأموال النقدية فيشترط فيها ما يشترط في الذهب أن يحول عليها الحول وأن تبلغ النصاب ونصاب العملة الورقية

(١) رواه البخاري(١٣٣٨، ٤٢٨٩، ٤٣٨٢، ٦٥٥٧) وروى مسلم بعضه (٩٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبرقم(٩٨٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وفي الباب عن ابن عمر وابن مسعود وأبي ذر وثوبان وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

هو نصاب الفضة فمن بلغ معه من العملة النقدية سبعة عشر ألفاً وحال عليها الحول وجب عليه أن يخرج زكاتها إذا بلغ معه سبعة عشر ألفاً[١] فما فوق يجب عليه أن يخرج الزكاة هذا إذا كان في بيته ، إذا كان في خزانته أما إذا كانت الأموال في بنوك ربوية فالواجب عليه أولاً إخراجها وعدم أخذ تلك الزيادة فإنها من الربا ثم يجعلها في مصرف لا يتعامل في الربا إن وجد وإلا كان إيداعاً في بعض البنوك التي ظهرت بطابع إسلامي دون أن يأخذ فائدة منها لأنها فوائد ربوية مهما قيل في حقها وتعلمون قول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٧٨ـ ٢٧٩].

وأما ما يتعلق بالخارج من الأرض ففيه نصف العشر إن كان بالمضخات وفيه العشر إن كان من ماء السماء، لكن غالبية الناس اليوم لا يمتلكون من القوت المدخر أعني البر والشعير والذرا والدخن وإنما استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير استبدلوه بزراعة القات فهل على القات من زكاة ؟ زكاة القات قلعه واستبداله بالطيب الذي ينفع لكن إن وجد مال وحال عليه الحول وإن كنا نقول في ذلك شبهة فعليه أن يخرج الزكاة أيضاً على حسب التفصيل السابق .

أما العروض التجارية والمراد بكلمة عروض ما تعرض من السلع للبيع ولا تستقر فأي شيء عرض للبيع وحال عليه الحول وبلغ النصاب نصاب النقدين سبعة عشر ألفاً وجب إخراج الزكاة كمحلات قطع الغيار البقالات

(١) هذا يختلف باختلاف الجرام من الفضة فإن قيمته تزيد وتنقص لاضطراب الأسعار ولمعرفة مقدار هذا النصاب: يضرب سعر الجرام الحالي بنصاب الفضة فالناتج: هو نصاب العروض التجارية. مثلا: لو كان الجرام بـ(٥٠) ريال فإنه يضرب بنصاب الفضة وهو (٥٩٥) جرام، فيكون(٥٠ × ٥٩٥= ٢٩٧٥٠) وهكذا بارتفاع وانخفاض قيمة الجرام الفضي.

المواد الغذائية الأدوية محلات السيارات التي للبيع كذلك أيضاً العقارات إن كان عنده عقارات للبيع أما ما يتعلق بالآلات فليس عليها من زكاة كأن يكون عنده سيارة يتواصل بها أو عنده ثلاجة في محله أو ميزان وهكذا إن كان عنده حراثة يحرث بها الأرض فليس على ذلك زكاة وإنما على المال المكتسب من هذه الآلات إن بلغ النصاب وحال عليه الحول فلا يجوز لأحد أن يتساهل في حق الفقير والمسكين فإذا جاء الحول حال الحول على المال استأجر أو تفرغ هو بنفسه للحصر والجرد بحيث لا يبقي شيئاً إلَّا حصره وسجله ثم بعد ذلك يخرج الزكاة طيبة بذلك نفسه وليبشر بالغنى وليبشر بالعزة والرفعة فإن الله يعلم ذلك والفقراء والمساكين يدعون له وكفى بذلك حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {صنائع المعروف تقي مصارع السوء }[1] وكم من رجل بخل بالمال فسلطت آفات إما إغراق أو إحراق كما قد شاهدنا كثيراً من المحلات كان سبب ذلك شرت كهربائي لكنه والله عقاب سماوي أحرقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فتأملوا يا رعاكم الله قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[القلم: ١٧ـ ٢٤].

اللهم بارك ولكم في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

---

(١) صحيح: رواه الحاكم(٤٢٩) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه الطبراني في الكبير(٨٠١٤) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي الأوسط(٦٠٨٦) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والبيهقي في الشعب(٣٤٤٢) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: صحيح الجامع(٣٧٦٠، ٣٧٩٥، ٣٧٩٦ ، ٣٧٩٧، ٤٠٥٢، ٤٢٢٦) وصحيح الترغيب(٨٨٩، ٨٩٠) والصحيحة تحت حديث رقم(١٩٠٨).

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

معاشر المؤمنين :

تقدم لكم في الخطبة ما سمعتموه وعلمتموه وهو ما يتعلق بأمر الزكاة وهذا أمر معروف وإنما كما أسلفت في بداية الكلام ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الذاريات٥٥].

معاشر الإخوة : ها نحن قد قطعنا أكثر من النصف من شهر رمضان فنذكركم أيها الإخوة بأنكم في شهر عظيم وفي موسم مبارك جدير بكل واحد منا أن يراجع حسابه واعلموا أن من لم يكفه رمضان لمحاسبة نفسه والإقلاع عن الذنب فإنه مطرود عن رحمة ومضيع لما سواه من الشهور ، وقد كررت عليكم حديث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حينما قال : { أتاني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال : من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل آمين فقلت : آمين قال : من أدرك والديه أو أحدهما فمات ولم يغفر له فأبعده الله قل آمين فقلت : آمين ومن أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله قل آمين فقلت }[1].

فجبريل يدعو ومحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يؤمن فالله الله في أنفسنا جميعاً أن نحاسبها قبل أن نحاسب رمضان موسم لذلك والله فأبواب الجنة مفتحة

(١) صحيح: رواه الطبراني في: الكبير(٢٠٢٢) جابر بن سمرة وبرقم (١١١١٥) عن ابن عباس رضي الله وأخرجه ابن حبان(٤٠٩) عن مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . والحديث صححه الألباني في: صحيح الجامع(٧٥) وصحيح الترغيب(٩٩٦، ١٦٧٨)

وأبواب النار مغلقة والشياطين صفدت ونادى منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر فرصة بين أيدينا فلنتخذ قراراً شجاعاً وأنتم مقبلون على العشر الأواخر من رمضان فكان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يجتهد فيها في العبادة فمن فرط في بداية الشهر فليغتنم ما بقي من الشهر قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : {كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله}[1].

قـوم إذا شمروا شـدوا مآزرهم عن النساء وإن باتت بأطهار

والمراد بشد المأزر كثرة العبادة في شهر رمضان فلنتساءل مع أنفسنا هل أثر فينا شهر رمضان ؟ كم ختمنا من القرآن الكريم ؟ ما الذي استفدناه من شهرنا وحبيبنا؟ ما الذي استفدناه في صيامنا وقيامنا ؟ ما الذي استفدناه من حبس أنفسنا عن الطعام والشراب ؟ الجوع إن كان الجوع فقد قال بعض الصالحين: أهون الصيام أي أسهل الصيام أن يترك العبد طعامه وشرابه ، لا يا عباد الله وإنما مراجعة الحساب .

مـــن يـــرد ملـــك الجنـــان فـلـيـــدع أمـــر الـتـــواني
ولـيـقـم فـــي ظلمـة الليـل إلـــى نـــور الـقـــرءان
ولـيـصـل صـــومـــاً بـصـوم إن هـــذا الـعـيـش فـاني
إنـــما الـعـيـش جـــوار الله فـــي دار الأمـــانـــي

(١) متفق عليه: البخاري(١٩٢٠) ومسلم(١١٧٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وهذه العشر فيها ليلة خير من ألف شهر ومن السنن المنسية الاعتكاف في العشر الأواخر فقد كان النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- يعتكف العشر الأواخر من رمضان ويعتكف أصحابه معه وكذا تعتكف نساؤه أيضاً وفاته مرة الإعتكاف في رمضان فاعتكف من شهر شوال[١].

والمراد بالإعتكاف : لزوم المسجد للقراءة والذكر الإنقطاع في المسجد للقراءة والذكر ومراجعة الحساب مع الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ .

قال الإمام الزهري رَحِمَهُٱللَّهُ: [عجباً من الناس كيف تركوا الاعتكاف؟! ورسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- كان يفعل الشيء ويتركه، وما ترك الاعتكاف حتى قبض][٢] .

معاشر المسلمين : لو تأملنا في أحوالنا إنها أمور والله يندى لها الجبين فبداية الشهر شغلنا بالطعام وإدخاله إلى بيوتنا وفي آخر الشهر الكثير من المسلمين من ينشغل وكأنه عاري من الثياب تماماً وربما انشغل هو وأسرته كلهم باحثين عن الملابس ولا نحرم شيئاً على الناس أباحه الله ولكن القصد القصد فهذا موسم معروف عند التجار شهر رمضان وأيام العيدين مواسم يتحرك فيها الناس للشراء لكن نقول : علينا بالقصد وأن لا نضيع أنفسنا لا نضيع أنفسنا فإن هذه الدنيا إما أن تتركنا أو نتركها نحن

أحـــلام نـــوم أو كـظـل زائـل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يختم لنا شهرنا بالحسنى ، أسأل الله أن يبارك لنا ولكم

---

(١) انظر في هذا: كتاب الإعتكاف من صحيح البخاري(٢/ ٧١١) وصحيح مسلم(٢/ ٨٢٩).
(٢) انظر: المبسوط (٣/ ١١٤)، عمدة القاري (١٢/ ١٤٠).

في رمضان وأن يرزقنا فيه تصحيح النية ، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته ، اللهم ارحمنا يا أرحم الراحمين ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا واصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا واصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين ، اللهم انصر عبادك المستضعفين في كل أرض يذكر فيها اسمك يا رب العالمين ، اللهم عليك بأعدائنا من اليهود والنصارى والشيوعيين ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك يا رب العالمين .

عباد الله:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل ٩٠] .

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون وأقم الصلاة .

٦ حقيقة الصيام وفضائله

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

ها نحن في شهر الصيام والقيام في شهر القرآن والعتق من النيران في أوائل هذا الشهر المبارك الذي فرض الله صيامه على المسلمين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[البقرة:١٨٣ـ ١٨٥].

ففرض الله صوم شهر رمضان على كل مسلم عاقل بالغ صحيح مقيم وعذر الله في ذلك المرضى ومن كان قد بلغ به المرض في جسده فلم يستطع الصيام أو كان شيخاً هرماً فكان لهم في ذلك تكفيرٌ مقابل الصوم كما في قوله : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[البقرة١٨٤].

وهكذا شأن الحبلى والمرضع إن خافت على نفسها أو طفلها والحامل على جنينها أباح الله لها الفطر؛فهذا من رحمة الله بهذه الأمة وهو من اليسر ومن رفع الحرج الذي عناه الله بقوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج ٧٨].

فمنزلة الصوم هو الركن الرابع من أركان الإسلام هذا الصوم هو من دين المسلمين ومن أفطر يوماً من رمضان عامداً متعمداً فقد أتى كبيرة من

كبائر الذنوب والآثام ذهب كثير من الفقهاء إلى أنه لو صام الدهر كاملاً ما قضى ذلك اليوم الذي استحل به حرمة هذا الشهر المبارك هذا الشهر هو شهر الصيام فرض الله صيامه على المسلمين فتأملوا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كيف استقبلوا هذا الشهر المبارك بعناية فائقة وهكذا كان المسلمون جيلاً بعد جيل من عصر الصحابة إلى يومنا هذا يعيشون هذا الشهر المبارك شهر الصيام والقيام وشهر المغفرة يعيشونه صائمين قائمين راجين العفو والثواب والغفران من رب الأرض والسماوات هذا الشهر أنزل الله فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من سماء الدنيا ثم نزل القرآن منجماً حسب الوقائع والأحداث وهكذا نزل القرآن على قلب محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بواسطة جبريل أمين وحي السماء في شهر رمضان ودلالة القرآن شاهدة على ذلك :﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة:١٨٥] فهو شهر الصيام وشهر القرآن وشهر المغفرة كما في الحديث : { من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه }[١] وهو شهر القيام : صلاة التراويح تكون في شهر رمضان وعلى ذلك قول المصطفى-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه }[٢].

هذا الشهر الكريم في أول ليلة من لياليه تفتح أبواب الجنة كلها فلم يغلق منها باب وتغلق أبواب النيران السبعة فلم يفتح منها باب وتصفد فيه الشياطين مردة الجن كما في الحديث الصحيح قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :{ إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح

(١) متفق عليه: البخاري(٣٨، ١٨٠٢، ١٩١٠) ومسلم(٧٦٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) متفق عليه: البخاري(٣٧، ١٩٠٤، ١٩٠٥) ومسلم(٧٥٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة}[١].

هذا شهر مقدس الطاعة فيه يتضاعف أجرها لذا كان العلماء فيما مضى يحرصون على الخير يحرصون على مدارسة القرآن فلقد كان الحافظ الكبير محمد بن شهاب الزهري[٢] الحافظ الذي قال فيه ابن حجر العسقلاني[٣] : ثقةٌ ثبت متفق على جلالته وإتقانه[٤] ، هذا العالم الكبير كان إذا دخل شهر رمضان طوى كتب الرواية ووضعها جانباً وأقبل على قراءة القرآن ومثله مالك بن

(١) صحيح: رواه الترمذي(٦٨٢) وابن ماجة(١٦٤٢) وابن خزيمة(١٨٨٣) وابن حبان(٣٤٣٥) والحاكم(١٥٣٢)والبيهقي في: الشعب(٣٥٩٨)والكبرى(٨٢٨٤)عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وصححه الألباني في: المشكاة(١٩٦٠) وصحيح ابن ماجة(١٣٣١) وانظر: صحيح الجامع(٧٥٩). والحديث متفق عليه: البخاري(١٨٠٠، ٣١٠٣) ومسلم(١٠٧٩) بلفظ { إذا جاء رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين ـ وفي رواية ـ وصفدت الشياطين} .

(٢) الزهري(٥٨ - ١٢٤ هـ = ٦٧٨ - ٧٤٢ م) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بنى زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتى حديث، نصفها مسند. وعن أبى الزناد: كنا نطوف مع الزهري ومعه الالواح والصحف ويكتب كل ما يسمع. نزل الشام واستقر بها. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحدا أعلم بالسُّنَّة الماضية منه. قال ابن الجزرى: مات بشغب، آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين.
انظر:الأعلام للزركلي(٧/ ٩٧).

(٣) ابن حجر العسقلاني(٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للاخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الاكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة.. انظر:الأعلام للزركلي(١/ ١٧٨).

(٤) في تقريب التهذيب ص(٥٠٦) قال: الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه.

أنس[١] وسفيان الثوري[٢] وكل هؤلاء مقتدين بمحمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكلهم من رسول الله مقتبسٌ ذلك الهدي المبارك كلهم أخذوا ذلك عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : {كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أجود بالخير من الريح المرسلة}[٣].

شهر رمضان شهر الصبر ففيه ترويض للنفوس على الصبر ، والصبر ومنزلة الصابرين عظيمة عند رب العالمين يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر١٠].

فمن أراد ترويض نفسه في هذا الباب وفي هذه القضية الكبرى قضية الصبر فها هو في شهر الصبر في شهر رمضان فمزاياه عديدة وفضائله كثيرة لا يستطيع أحدٌ حصرها غير رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

أما ما يتعلق بأمر الصيام فكما في الحديث الصحيح :{ والصيام جُنَّة }[٤]

---

(١) الإمام مالك(٩٣ - ١٧٩ هـ = ٧١٢ - ٧٩٥ م) مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الائمة الاربعة عند أهل السُّنَّة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وشي به فضرب سياطا انخلعت لها كتفه. ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه. وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس، فصنف « الموطأ. انظر:الأعلام للزركلي(٥/ ٢٥٧).

(٢) سفيان الثوري(٩٧ - ١٦١ هـ = ٧١٦ - ٧٧٨ م) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى. وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها. انظر:الأعلام للزركلي(٣/ ١٠٤).

(٣) متفق عليه: البخاري(٦، ١٨٠٣، ٣٠٤٨، ٣٣٦١، ٤٧١١) ومسلم(٢٣٠٨) وغيرهما.

(٤) جزء من حديث متفق عليه: البخاري(١٨٠٥) ومسلم(١١٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهناك فضائل للشهر هناك فضائل لشهر رمضان باعتبار أنه شهر رمضان وهناك مزايا أخرى وفضائل أخرى للصيام.

فالصيام معناه الإمساك ومعناه في الشرع : إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة ، يترك المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها الطعام والشراب والنكاح وسائر المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بنية التقرب والتعبد فالصيام كما في الحديث السابق: { الصيام جُنَّة } ومعنى جنة أي وقاية فالصيام وقاية من النار ووقاية من الشهوات وقاية من الأمراض فهناك مستشفيات يخصصون فيها تصويم المرضى لا بنية التعبد ولكن بنية الاستشفاء أوَ ما رأيت رجلاً قد أصيب ببعض الأمراض فهو يمنع من طعام كذا وكذا لأنه يهيج هذا الداء وهكذا المسلم منع من الطعام والشراب في نهار رمضان استشفاءً واستطباباً وقبل ذلك تعبداً.

ذكر بعض الثقات أن رجلاً من النصارى كان يدرس في جامعة صنعاء فلما جاء شهر رمضان رأى تغيراً واختلافاً كل الناس لا يأكلون ليس هناك مكاناً للشراب والطعام فقد أوصدت البوفيات والمطاعم أبوابها فلا طعام ولا شراب وهكذا أيضاً تأمل في حال زملائه من المدرسين المسلمين كلهم قد لزموا الإمساك عن الطعام والشراب فيخرج إلى الشارع أمر مهيل فكل المحلات موصدة في صباح رمضان والمطاعم كذلك فسأل ما الخبر ؟ فقالوا له : يا أستاذ هذا شهر رمضان دخل على المسلمين فقال لهم : وما رمضان ؟ فقالوا له : شهر الصيام يمسكون عن الطعام والشراب بنية التعبد فاستمر خمسة أيام مشابهة للمسلمين فلا ذوق للطعام لديه فوجد راحة في جسده ثم بعد ذلك هداه الله للإسلام فشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله وترك عقيدة التثليث عقيدة النصارى قال المتحدث : ولقد رأيته بعيني وهو يمرغ جبينه في السجود

لله رب العالمين ، فعلى ماذا يدل هذا ؟ يدل على أن دين المسلمين هو الدين الصحيح وهو الدين الكفيل بتغيير مجرى حياتهم من الضياع والهيام إلى الهداية وإلى الرشاد التام إلى النور وإلى الصراط المستقيم فالصيام جُنَّة وفي حديث آخر يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك }(١).

فهذه النكهة التي تكون من الصائمين عند الله شأنها عظيم فهي يوم القيامة أطيب عند الله من ريح المسك { وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه }(٢).

وجاء عند الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام و الشهوات بالنهار فشفعني فيه يقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان }(٣).

الصيام يشفع والقرآن يشفع هذه الأعمال الصالحة التي كنت تقوم بها في الدنيا تشفع لك عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة فهنيئاً لمن أدرك شهر رمضان شهر الصيام والقرآن وشهر العتق من النيران هنيئاً له والله هنيئاً لمن أدرك شهر الصيام فالتزم آداب الإسلام فعرف قدر الشهر والصيام وخسارة لمن دخل عليه شهر رمضان وهو لا زال على إعراض لا زال على بعد وسخط من الله الواحد القهار .

---

(١) جزء من الحديث السابق[والصيام جُنَّة].
(٢) وهذا أيضا جزء من الحديث السابق[والصيام جُنَّة].
(٣) صحيح: رواه أحمد(٦٦٢٦) والحاكم(٢٠٣٦) والبيهقي في الشعب(١٩٩٤) وأبو نعيم في الحلية(٨/ ١٦١) وغيرهم وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٣٨٨٢) والمشكاة(١٩٦٣) وصحيح الترغيب(٩٨٤).

معاشر المسلمين :

شهر رمضان مدرسة لصلاح نفوسنا وتهذيب أخلاقنا ومراجعة حسابنا مع ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شهر رمضان كفيلٌ بنا جميعاً أن نحاسب أنفسنا وما فينا من شتات وما فينا من عقوقٍ وإعراض فاسمعوا يا رعاكم الله إلى هذا الحديث عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقول: {رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنة}[1]. رغم أنف امرئٍ ـ ومعنى رغم أي التصق أنفه بالتراب ومعناه خسارة وذلة لمن وقع عليه مثل هذا ، فيقول في ثلاث قضايا ـ رغم أنف امرئ أدركه شهر رمضان فانسلخ فلم يغفر له ما تقدم من ذنبه ـ هذا دعاءٌ من رسول الله ويقول : رغم أنف امرئٍ أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ـ يعني ما كان باراً بوالديه ـ ورغم أنف امرئٍ ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ .

وجاء حديث أخطر من هذا فهو دعاء بالبعد والطرد واللعنة لمن أدرك والديه أو رمضان أو سمع الصلاة على الحبيب لكنه لم يطاوع ذلك فقد روى الطبراني في معجمه من حديث جابر بن سمرة قال : بينما النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على المنبر إذ قال : آمين ثلاث مرات فسئل عن ذلك فقال: { أتاني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل آمين فقلت : آمين قال : من أدرك والديه أو أحدهما فمات ولم يغفر له فأبعده الله قل آمين فقلت : آمين ومن

(١) صحيح: رواه أحمد(٧٤٤٤) والترمذي(٣٥٤٥) وابن خزيمة(١٨٨٨) وابن حبان(٩٠٨) والبخاري في الأدب المفرد(٦٤٦) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٣٥١٠) والمشكاة(٩٢٧) وصحيح الترغيب(١٦٨٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله قل آمين فقلت }[1].

ومن فضائل الصيام أن للصائم دعوة عند فطره لا ترد من فضائل الصيام أن الصائم له دعوة مستجابة عند فطره كما أخبر ذلك رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- [2] والقرآن يشهد لذلك أيضاً ، ففي آيات الصيام يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة١٨٦] .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن الكريم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين.

(١) صحيح: رواه الطبراني في: الكبير(٢٠٢٢) جابر بن سمرة وبرقم (١١١١٥) عن ابن عباس رضي الله وأخرجه ابن حبان(٤٠٩) عن مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
والحديث صححه الألباني في: صحيح الجامع(٧٥) وصحيح الترغيب(٩٩٦، ١٦٧٨)

(٢) لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند ابن ماجة(١٧٥٣) {إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد} لكن الحديث ضعيف كما في ضعيف الجامع(١٩٦٥) والإرواء(٩٢١) والضعيفة(٤٣٢٥) ولكن جاءت أحاديث عامة أن للصائم دعوة مستجابة دون تقييدها بوقت الإفطار فقد روى البيهقي في الشعب(٣٥٩٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم و دعوة المظلوم و دعوة المسافر } .
وروى البيهقي في الكبرى(٦١٨٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني بشواهده في: الصحيحة(١٧٩٧) أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { ثلاث دعوات لا ترد دعوة الوالد ودعوة الصائم ودعوة المسافر} .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين :

معاشر المسلمين :

ليس الصيام مجرد ترك الطعام والشراب والنكاح والمفطرات فحسب ؛ فهناك صيام وهناك حقيقة الصيام فحقيقة الصيام أن يتوفر في قلوبنا معنى التقوى التي كانت هي الغاية المنشودة وهي الحكمة المرادة من الصوم كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[البقرة١٨٣]. والمراد بالتقوى فعل المأمور وترك المحذور القيام بالواجبات وترك المحرمات والمكروهات فحقيقة الصوم أن تصوم عن الحرام حقيقة الصوم أن تعظم شهر الصوم وأن تحترم مشاعر المسلمين. (١)

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب ... حتى عصا ربه في شهر شعبان

لقد أضلك شهر الصوم بعدهما ... فلا تصيره أيضاً شهر عصيان

واتلو الكتاب وسبح فيه مجتهداً ... فإنه شهر تسبيحٍ وقرآن

كم كنت تعرف ممن صام في سلف ... من بين أهل وإخوان وجيران

أفناهم الموت واستبقاك بعدهمو ... حيا فما أقرب القاصي من الداني(١)

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (٢٧٩)

معاشر المسلمين :

إن صامت البطون والفروج بقي صيام للقلوب وهو أعظم من ذلك أن تصوم القلوب عن النوايا الخبيثة المحرمة بقي صيام الألسن عن الغيبة والنميمة وقول الزور بقي صوم الأذنين عن سماع الأغاني والطرب وبقي صوم اليدين عن كل ما حرم الله وبقي صوم القدمين بقي صوم الجوارح ، إن من الناس من يصوم لكن قلبه لم يصم

صيام العارفين له حنينٌ إلى الرحمن رب العالمين

تصوم قلوبهم في كل وقت وبالأسحار هم يستغفرون

من الناس من يصوم لكن حاله كحال عاملٍ من غير أجرة ، إنه عمل من بداية اليوم لكنه لم يعط أجرته آخر النهار فيا خسارة ويا حسرة على العباد إذا كانوا يصومون لكن من غير أجور جاء في حديث صحيح يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه }[1].

ويقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر }[2] هو صام كمثل العامل عمل لكنه لم

---

(١) رواه البخاري(١٨٠٤، ٥٧١٠) وأحمد(٩٨٣٨) وأبو داود(٢٣٦٢) والترمذي(٧٠٧) والنسائي في الكبرى (٣٢٤٥) وابن ماجة(١٦٨٩) وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وعند بعضهم { من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به } قوله: { فليس لله حاجة } أي إن الله تعالى لا يلتفت إلى صيامه ولا يقبله.

(٢) صحيح: رواه أحمد(٨٨٤٣) وابن ماجة (١٦٩٠) والنسائي في: الكبرى(٣٢٤٩، ومواضع) والحاكم(١٥٧١) وابن خزيمة(١٩٩٧) وابن حبان(٣٤٨١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٣٤٨٨، ٣٤٩٠) وصحيح الترغيب(١٠٨٣) والمشكاة (٢٠١٤) والحديث جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يكن عمله مقبول وهذا صام لكنه لم يعرف حقيقة الصوم صام عن الطعام والشراب وصام عن زوجته ذات العقد الشرعي الصحيح صام عن أمور مباحة لكن هناك محرمات بالأصالة هي محرمة في رمضان وبعد رمضان إنه لم يصم عنها في نهار رمضان ولا في ليل رمضان النظر إلى المتبرجات ، النظر إلى الفاتنات في القنوات ، النظر إلى النساء مباشرة ، قول الزور وتعاطي الزور والإشتغال بالربا المحرم ، والغيبة والنميمة ، هتك الأعراض عقوق الوالدين ، إن من الناس من يصوم لكنه صوم أجوف لا حقيقة له ولا طعم له إذ أنه لا تأثير له على صاحبه.

شريطة الصوم أن يكون له تأثير على صاحبه فحينما شعر بالجوع والعطش شعر بإخوانه الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل إنكسرت نفسه وانكسرت شهوته وتذكر اليوم الآخر يوم يجمع الله الأولين والآخرين ، في بعض المستشفيات في نهار رمضان يأتون بمجموعة قد طعن بعضهم بعضاً وأطلق بعضهم الرصاص على بعض هذا في شهر الصيام ، أهكذا الصوم يجعل الصائمين يفعلون ؟ في نهار رمضان بعضهم ينفق سلعته بالغش والحلف الكاذب . أي صيام يا عباد الله ؟ فالمطلوب هو الصيام الشرعي أن يكون صاحبه مخلصاً فإن الصيام سرّ بين الله وبين عباده كما في الحديث الصحيح الحديث القدسي الصحيح يقول رب العالمين: { كل عمل ابن آدم له إلَّا الصيام فإنه لي وأنا أجزي }[1].

فأنت في نهار رمضان تأكل أو تشرب لا يطلع على ذلك أحدٌ غير رب العالمين فكان للصوم هذه المزية لكن الصلاة أمرٌ ظاهري ينكر عليك الناس وأنت في الشارع والناس في المساجد أما الصوم فقد يأكل الآكل ويشرب

(١) جزء من حديث في الصحيحين وقد سبق وهو حديث[والصيام جُنَّة].

الشارب ولا يطلع عليه إلَّا رب العالمين ويزعم أنه من الصائمين القائمين ولكنه سرّ بين الله وبين عباده فإذا كان الأمر كذلك فلا بد من إحسانه لا بد من إتقانه إذا كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : { إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يُتقنه }[١] وهذا عمل مجرد عمل.

ينزّل هذا الحديث على الفلاح وعلى الصانع وعلى الحداد والنجار وصاحب الألومنيوم والمهندسين تقول له : اتقن العمل وتأتيه بهذا الحديث فما بالك بعمل الشريعة ما بالك بالصلاة والصيام ، إذن نحن نطالب أنفسنا بأن يكون الصيام قد غير مجرى حياتنا من حسن إلى أحسن وأفضل.

شهر رمضان هو شهر المسلمين فيه تأريخ عظيم ومجدٌ لأهل الإسلام واقرءوا كتب التأريخ فمتى كانت غزوة بدرٍ[٢]؟ وفتح مكة[٣]؟ وعين جالوت[٤]؟ وغيرها من الوقائع العظيمة ؟ في شهر رمضان ، فليس شهر رمضان شهر نوم وكسل وتثاقل عن الطاعات إنه شهر النشاط والجدية شهر مدارسة القرآن شهر التسبيح والتعظيم والتهليل وشهر تفقد الأرامل والمساكين شهر الإحساس بإخواننا المسلمين الجوعى في فلسطين وغيرها من بقاع المسلمين، إنه شهر عظيم لمن تأمله أما قليل النظرة قاصر النظرة فهو يحصر الشهر على أن يأكل القات في الليل ثم يسهر إلى آخره فينام من النهار بل ربما البعض يرحب ويحبذ برمضان وقد سمعت هذا والله ، أنه يحبذ رمضان لأنه في الليل سهر

(١) صحيح بشواهده: رواه الطبراني في: الأوسط(٨٩٧) وأبو يعلى(٤٣٨٦) والبيهقي في: الشعب (٥٣١٢، ٥٣١٣، ٥٣١٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظره مع شواهده في الصحيحة(١١١٣).

(٢) كانت غزوة بدر الكبرى يوم الجمعة في شهر رمضان في السابع عشرة على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة (يناير سنة ٦٢٤ م)

(٣) كان فتح مكة في يوم الجمعة في العشرين أو الحادي والعشرين من شهر رمضان عام ثمانية من الهجرة.

(٤) كانت عين جالوت التي انتصر فيها المسلمون ضد التتر في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان من سنة(٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م) انظر: تأريخ الإسلام(٤٨/ ٦١)

وفي النهار نوم وضياع والله ما هكذا كان المسلمون وإنما كان الشهر عبارة عن مفاقدة وصيانة وتهذيب وتعليم وتربية فتفقهوا يا معاشر المسلمين، لقد صرنا فقهاء في الدنيا لكننا جهال في الآخرة فتفقهوا يا رعاكم الله في دينكم تعلموا شريعة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد تيسر العلم وتيسرت أسبابه فاقرءوا المطويات واسمعوا الأشرطة النافعة اسمعوا كلام علمائكم ونصائح وتوجيهات الدعاة إلى الله حتى تغنموا هذا الشهر وتستفيدون منه

فصم يومك الأدنى لعلك في غدٍ تفوز بعيد الفطر والناس صوّم

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجعل شهر رمضان شهر خيرات وبركات للمسلمين ، اللهم اجعله شهر خير شاهداً علينا بالخير يا رب العالمين اللهم اجعلنا من عبادك الصائمين القائمين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا في شهرنا يا أرحم الراحمين ، اللهم اعتقنا من نيرانك يا أرحم الراحمين ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته ولا منفقاً إلَّا أخلفت له بالخير يا رب العالمين ، اللهم اصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا واصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا واصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم انصر عبادك المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، اللهم عليك بالكفرة المعادين الملحدين يا رب العالمين ، أرنا فيهم عجائب قدرتك يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين وأقم الصلاة .

٧ رمضان موسم لتجديد التوبة

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المسلمين الصائمين :

إن شهر رمضان موسمٌ مبارك يوفق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه عصاة المؤمنين للتوبة ومن لم يوفق لذلك فهو دليل انتكاسة وسوء معاملة مع الله فإن العبد في هذا الشهر قريب من ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا تغتر أيها العاصي بستر الله عليك فإن الله يحلم وربما يعطي العبد وهو قائم على المعاصي والذنوب ، وهذا يعتبر استدراج ومكر من الله قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾[القلم: ٤٤ـ٤٥] .

سبحان من يعطي ونخطئ دائماً ... ولا يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه جلاله ... من العطا لذي الخطا

أيها المسلم:

إنك تعيش في فرصة ذهبية إنك تعيش في أيام وليال هي من أفضل أيام الدنيا إنه شهر رمضان شهر الخير والبركات شهر القرآن شهر التوبة والغفران وشهر العتق من النيران فهيا هيا أيها المسلم لتقبل على ربك في شهر كريم فتكون لديه من المقبولين ومهما بلغت ذنوبك عبد الله فإن الله يغفرها ولا يغفرها فقط بل يبدلها حسنات تكرماً وتفضلاً يقول المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد أن عدد كبائر الذنوب والآثام ثم بين عظيم قدرته وبعد ذلك كبير عفوه قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان: ٦٨ـ ٧٠].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر٥٣] فمهما بلغ من الذنب فإن الله يغفره إذا أقبل العبد على ربه إقبالاً صحيحاً فإن الله يغفر الذنب ويتجاوز عن الزلة ويغفر الخطيئة ويبدل مكان ذلك حسنات تفضلاً وتكرماً يقول الله في الحديث القدسي :{ يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم }[١]. ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾[نوح١٠].

فاستغفر لذنبك أيها المسلم وادخل على ربك في شهر مبارك فإن الله على مدار العام يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها[٢].

وهكذا ما دمت في وقت الإمهال أما التوبة التي تكون في مضايق الأمور ما تسمى بتوبة لجأ فإنها توبة غير مقبولة إن تاب المشلول بعد أن شلت أركانه توبته غير مقبولة كان ينبغي أن يتوب ما دام في زمن الصحة وفي زمن العافية والنشاط والإرادة وهكذا عند الغرغرة لا تنفع التوبة[٣].

أيضاً فلا بد أن تكون التوبة وأنت في وقت النشاط والجدية ليكون ذلك

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٥٧٧) وابن حبان (٦١٩) والحاكم (٧٦٠٦) والبخاري في الأدب المفرد(٤٩٠) وغيرهم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) لما رواه مسلم(٢٧٥٩) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربه }.

(٣) قال تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }[النساء ١٨]. وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر} وهو حديث حسن رواه أحمد(٦١٦٠) والترمذي(٣٥٣٧) وابن ماجة(٤٢٥٣) وغيرهم من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وحسنه الألباني في: صحيح الجامع(١٩٠٣). وأحاديث أخرى في هذا المعنى.

دليل اقتناع والله يناديك عبد الله يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور٣١].

ماذا تريد بعد ذلك عبد الله ؟ لو بلغت ذنوبك ملئ الأرض ثم ارتقت إلى عنان السماء فاستغفرت ربك غفر الله لك الذنوب جميعاً [١] الله يغفر الذنب ويتجاوز عن الخطيئة ويقبلك أيها المسلم ؛ ولكن بشرط التوبة .

قدم لنفسك توبة مرجوة قبل المعاد وقبل حبس الألسن

بادر بها غلق النفوس فإنه ذخر وغنم للمنيب المحسن

وإذا تبت يا مسلم وجدت راحة وانشراحاً وجدت صفاء عقل وروح وذهاب هم وغموم فإن التوبة تولد انشراحاً للعبد بخلاف الذنوب والمعاصي فإنها أوباء تقود صاحبها إلى الهلاك والله إنها تقوده إلى الهلاك ففي هذه الدنيا ذليل وهو معذب عند الإحتضار ومعذبٌ وهو على النعش وتطارده المعصية إلى القبر فيتعذب في قبره وتطارده إلى عرصات القيامة فلا تنفك عنه حتى تدخل معه النار عياذاً بالله ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [الملك: ١٠ـ ١١] .

---

(١) للحديث القدسي: الذي يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيه : { يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا غفرت لك ولا أبالي .... } صحيح: رواه الترمذي(٣٥٤٠) وتفرد به عن أصحاب الأمهات الستة، ورواه الطبراني في الأوسط(٤٣٠٥) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣١) وصححه الألباني في: صحيح الترمذي(٢٨٠٥) وانظر:صحيح الجامع(٤٣٣٨) والصحيحة(١٢٧ و ١٢٨) والروض النضير(٤٣٢) والمشكاة (٤٣٣٦) التحقيق الثاني.
ورواه أحمد(٢١٥١٠، ٢١٥٤٤) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه شعيب في تحقيق المسند
فائدة: قال ابن دقيق العيد في شرحه(ص١٠٨): في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم عظيم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرأفة والرحمة والإمتنان.

فالعاصي لا يحترم عقله ولا يفكر تفكيراً صحيحاً فلو فكر تفكيراً صحيحاً لما رضي بشهوة ساعة ثم حلت به الآلام ربما مدى الأزمان وعلى الدوام على مرور الليالي والأيام رب شهوة ساعة أبكتك دهراً طويلاً فكثير من المسلمين يشتكون الآهات والأوجاع والأحزان من المسلمين من يشتكي وهو هناك إما في المنفى بحيث لا يقربه أحد المرضى مصاب إما بالإيدز وإما بالسيلان أو بالقروح والأوجاع وآخر بالجذام ما الذي ولد هذا ؟ ، ولدتها الذنوب والمعاصي فالذنوب أخطر من الحيات وأخطر من الثعابين وأخطر من كل عدوٍّ متربص فالذنوب هي التي تهد البدن وهي التي تفكك الأسر وهي التي تفرق بين الأحباب وهي التي توجب الشحناء والبغضاء ، الذنوب هي التي تسبب سخط الرب فإن الله يغضب ويغار أن يزني عبده أو تزني أمته أو أن ترتكب المحرمات[1] في شهر رمضان أو في غيره من الشهور والأعوام فيا أيها المسلم الكريم رمضان موسمٌ للتوبة لتجديد العهد مع الله ومن فاته فقد حرم خيراً كثيراً دعا عليه الرسول بالخسران ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : ارتقى نبينا ثلاث درجات فقال : آمين يؤمن ثلاثاً فقال الصحابة : على ما أمنت يا رسول الله قال: {رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة[2] .

دخل رمضان وهو قائم على الذنب وانصرف رمضان وهو لا زال على ذلك

(١) روى البخاري(٤٩٢٣، مواضع) ومسلم(٩٠١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { يا أمة محمد ! و الله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد } .

(٢) صحيح: رواه أحمد(٧٤٤٤) والترمذي(٣٥٤٥) وابن خزيمة(١٨٨٨) وابن حبان(٩٠٨) والبخاري في الأدب المفرد(٦٤٦) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٣٥١٠) والمشكاة(٩٢٧) وصحيح الترغيب(١٦٨٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الذنب فرسول الله يدعو على من كان هذا حاله يقول : رغم أنف امرئ ومعنى رغم من حيث اللغة أي التصق أنفه بالرغام وهو التراب ومعنى ذلك إهانة واحتقاراً وأما المعنى الشرعي فمعنى ذلك أن هذا هالك وخسران يوم أن دخل شهر رمضان ثم انسلخ رمضان ولا زال هذا العبد مصراً على الذنوب والآثام فكان عياذاً بالله من الخاسرين فمن مقاصد الصوم أيها المسلمون التي أرادها الله وأرادها رسول الله وأرادها الإسلام أن يكون هذا العبد تقياً في رمضان فإن الله افتتح آيات الصوم بالتقى وختمها بالتقى ليعلم الصائمون أن الله يطالبهم بأن يكونوا من الأتقياء بأن تتوب قلوبهم وتتوب عقولهم وأن تتوب جوراحهم وأن تتوب أنفسهم فيعقدوا مع رب العالمين صلحاً في شهر رمضان.

واعلم أيها المسلم أن توبتك لا تكون مقبولة إلَّا بستة شروط :

فالشرط الأول أن تقلع عن الذنب.

الشرط الثاني أن تندم على ما فات فإن رسول الله يقول : { الندم توبة }[1].

وأما الشرط الثالث فالعزم المؤكد الذي لا يحملك على أن تعود إلى الذنب.

وأما الشرط الرابع فالإخلاص في تركك للذنب تتركه وأنت قادر تتركه وأنت قادرٌ مختار ليتحقق فيك مشيئة الله وإرادة الله وخوف الله وخشيته.

والشرط الخامس : الصدق مع الله في تركك للذنب.

---

(١) صحيح: رواه أحمد(٣٥٦٨، ومواضع) والبخاري في التأريخ(١٢٦١) وابن ماجة(٤٢٥٢) والحاكم(٧٦١٢) عن ابن مسعود رواه ابن حبان(٦١٣) والحاكم(٧٦١٤) عن أنس وأخرجه البخاري في التأريخ الكبير(٢١١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٦٨٠٢).

والشرط السادس إن كنت قد اغتصبت حق مسلمٍ فعليك إرجاعه إن أخذت عليه مالاً إن أخذت عليه أرضاً إن أخذت شيئاً من الحقوق فتحلل من أخيك المسلم وكم من قضايا في هذا الباب فمحاكمنا وقضاتنا إنما هم يشتغلون في مثل هذا ، فكم من المغتصبين وكم من المعتدين الظالمين كم من الذين أبكوا اليتامى والأرامل والضعفاء في أخذ حقوقهم !.

هذه فرصة بين يديك تحلل عبد الله يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء}(١).

هذه محكمة رب العالمين يكون فيها القصاص للشياة والأبقار وما شابهها من الحيوانات وهي عجماوات ليست بمكلفة فما بالك أنت يا ابن آدم وقد كلفك الله بشرع بعث الله إليك الرسل وأنزل عليك الكتب وأقام عليك الحجة قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء١٦٥].

ويقول-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه }(٢) هذه الشروط لا بد منها وهذا رجل ممن كان قبلنا أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي فقتل تسعة وتسعين نفساً عياذاً بالله قاده الشيطان إلى أن يقتل تسعة وتسعين نفساً فتأملوا كرم وعفو الله فذهب هذا الرجل يسأل عن أعلم أهل الأرض فدلوه على عابد كان يظنه عالماً فإذا به عابد لا يجيد الفتوى ولا يجيد أن يصدر أحكام الله عن معرفة ودليل فقال له : أيها الرجل قتلت تسعة وتسعين نفساً فهل لي من توبة ؟ قال : لا ليس لك توبة فغضب الرجل

(١) رواه مسلم(٢٥٨٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البخاري(٢٣١٧، ٦١٦٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد ألف الدماء فقتله توفية لمائة نفس ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلوه على عالم فقال له : قتلت مائة نفس فهل لي من توبة ؟ قال له : من يحول بينك وبينها ؟ من يحول بينك وبين التوبة ؟ ولكن إنك بأرض سوء فاخرج من قريتك هذه واذهب إلى قرية أخرى فإن فيها أناساً صالحين فاعبد الله معهم فلما كان الرجل صادقاً في الإقبال على الله وقد خرج من بلدة السوء فلما كان في موسطة الطريق قبض الله روحه ثم نزلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط لأن العبد المؤمن إذا مات نزلت له ملائكة من السماء بيض الوجوه وأما العاصي والمنافق فتنزل ملائكة سود الوجوه من النار معهم كفن من أكفان النار وحنوط من أحنطتها فبعث الله ملكاً في صورة آدمي ليكون مصلحاً بين الملائكة فقال لهم : قيسوا المسافة من الأرض التي خرج ومن الأرض التي هو قادم إليها فأوحى الله إلى تلك الأرض أرض السوء أن تباعدي وإلى أرض الصلاح أن تقربي فقضي به لملائكة الصلاح والحديث حدث به من لا ينطق عن الهوى محمدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثابت بالسند الصحيح في صحيح البخاري[1] وهو من أحاديث رياض الصالحين في باب التوبة.

هذا العبد حينما أقبل على الله كانت هذه النتيجة أن كان من أهل الجنة وذلك أنه أقبل على الله إقبالاً صحيحاً أقبل على الله إقبالاً بإخلاص وإتباع فكان هذا الجزاء جزاءٌ من جنس العمل فإذا أقبل العبد على ربه ولا زال في وقت الفسحة وفي وقت الإمهال قبل الله ذنوبه يحكى عن رجل من بني إسرائيل عصى الله أربعين عاماً وقبل ذلك عبده أربعين عاماً ثم نظر صورته في المرآة وقد خط الشيب في لحيته فقال : رب أطعتك أربعين وعصيتك أربعين فهل إن عدت إليك تقبلني

(١) القصة رواها البخاري(٣٢٨٣) ومسلم(٢٧٦٦) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا معنى رواية مسلم.

فناداه منادٍ : أطعتنا فقربناك وعصيتنا فأبعدناك فإن عدت إلينا قبلناك .

فالله يقبلك عبد الله يقبلك ويفرح بإقبالك أشد من إقبالك على من ينتظر غيبتك أشد فرحة من زوجة تنتظر زوجها الغائب أو من أم تنتظر ابنها متى يعود من غيبته.

جاء في صحيح مسلم أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان في السبي بعد معركة من المعارك وهو ينظر إلى السبي إلى الأمهات والأبناء إلى الجواري والإماء يتأمل فيها وإذا بامرأة تبحث عن طفلها الرضيع الصغير فلما وجدته أخذته وألصقته على صدرها ثم أعطته ثديها فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ . قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولده}[1]. وجاء في صحيح البخاري أن النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : { لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح }[2].

أرأيت لو أُخذت سيارتك ثم بحثت عنها يمنة ويسرة كيف يكون الحال ثم بعد ذلك تجدها فجأة إنك تفرح كثيراً فالله أشد فرحا بتوبتك أيها العبد إن أقلعت عن الذنوب والمعاصي والآثام إن استبدلت رفقة السوء برفقة الخير إن استبدلت برامج الإجرام ببرامج الخير وبرامج فلاح إن حاسبت عينك وما تنظر وأذنك وما تسمع وبطنك وما ينزل فيه وفمك وما ينطق وفرجك وأين

(١) متفق عليه: البخاري(٥٦٥٣) ومسلم(٢٧٥٤) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه البخاري(٥٩٥٠) ومسلم(٢٧٤٧) واللفظ له عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي الباب عن أبي هريرة وابن مسعود والنعمان بن بشير والبراء بن عازب وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

يلج وتحاسب نفسك محاسبة الشريك لشريكه أنت الرابح عبد الله

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾ [الحشر:١٨ـ ٢٢].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم ، فاستغفروه يغفر لكم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً :

أما بعد:

معاشر المؤمنين:

هذه رسالة من مكتب الأوقاف إدارة المساجد ألزم بها المكتب الخطباء والوعاظ في هذا اليوم أن يبينوا للناس بعض ما يهمهم وما يعنيهم وها نحن نأخذ بعض ذلك فنبينه :

أولاً : يشكر رئيس الجمهورية حينما أصدر العفو العام عن جماعة الحوثي[1] وهكذا عن الذين قاموا بالشغب والمظاهرات فتشكر الحكومة الممثلة برئيسها والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران١٣٤].

فهذا العفو هو لصاحبه فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأجره عليه خيراً كثيراً ، كذلك أيضاً لا ينبغي لشخص أن يقوم بمثل هذا فإن بعض المسلمين ربما نظر إلى بعض الأفلام التي فيها إما مظاهرات أو خروج عن النظام والقانون أو خروج عن بعض الحكومات فيظن أن هذا أمرٌ جائز أنت في دولة مسلمة فبما أنها تأمرك

(١) جماعة الحوثي: هي جماعة شيعية ضالة يسبون الشيخين أبا بكر وعمر ويطعنون في الصحابة حملوا السلاح على ولي الأمر وخرجوا عن الطاعة .

بطاعة الله اتبعت وإن أمرتك بمعصية فلا سمع ولا طاعة[١] كذلك أيضاً فيما يتعلق بوحدة الصف ونبذ الفرقة فنحن أيضاً في شهر مبارك نضرب فيه أروع الأمثلة في باب الإتحاد والائتلاف فينبغي أن نستفيد من هذا الإجتماع الحاصل في شهر رمضان عند الإفطار وعند الإمساك وعند الصلوات والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾آل عمران١٠٣].

أما ما يتعلق بزكاة الفطر وزكاة العروض التجارية وما يتعلق بالزكوات فقد كانت خطبة مخصصة لذلك ومصارف الزكاة مذكورة في القرآن الكريم[٢] فإن

---

(١) روى الإمام أحمد(١٠٩٥، ٣٨٨٩، ٢٠٦٧٢، ٢٠٦٧٥) عن علي وابن مسعود والحكم بن عمرو الغفاري وعمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { لا طاعة لمخلوق في معصية الله عَزَّوَجَلَّ } والحديث صححه الألباني في: صحيح الجامع(٧٥٢٠).
وفي الصحيحين: البخاري(٢٧٩٦، ٦٧٢٥)ومسلم(١٨٣٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة }.
ويقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { إنما الطاعة في المعروف} رواه البخاري(٤٠٨٥، ٦٧٢٦، ٦٨٣٠) ومسلم(١٨٤٠) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة٦٠].
قال السعدي في تفسيره ص(٣٤١) عند هذه الآية :
يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ﴾ أي: الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد. أي: إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف.
الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، لأن اللّه بدأ بهم، ولا يبدأ إلّا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.
والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنيا، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم.
والثالث: العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها —

طلبتها الحكومة المسلمة وجب على المسلمين أن يسمعوا وأن يطيعوا فيدفعوا زكاة أموالهم لمن طلبها منهم وعلى هؤلاء الآخذين زكاة المسلمين أن يتقوا الله في المعاقين وفي الشحاذين وفي المتسولين وأن يقضوا على هذه الظاهرة وجب على المسلم أن يطيع وأن يسمع لدولته فيهب زكاته لهم ووجب على الحكومة

من أهلها، أو راع ، أو حامل لها، أو كاتب ، أو نحو ذلك ، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

والرابع: المؤلفة قلوبهم، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

الخامس: الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالا لدخوله في قوله: ﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾.

السادس: الغارمون، وهم قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنيا.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُوَفِّى به دينه.

والسابع: الغازي في سبيل اللهّ، وهم: الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل اللهّ. وقالوا أيضا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، وفيه نظر.

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.

﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ فرضها وقدرها، تابعة لعلمه وحكمه ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

واعلم أن هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين: أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب اللهّ هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية. أ هـ .

أن تتقي الله في رعاياها وأن تجعل لهؤلاء الشحاذين والمتسولين حلولاً[١] فإني لا أعلم دولة كهذه الدولة يكثر فيها المتسولون والشحاذون إلَّا أن يكون في بلاد الهند فإنه قد حدثنا أن هناك كثيراً من الشحاذين وذلك لكثرة سكان تلك البلاد فهذا أمر من الأهمية بمكان وهكذا أيضاً ينبغي على سائقي السيارات أن يتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سياراتهم من السرعة وعدم رفع الأصوات بالهون أو ما يسمى بالبوري فإن ذلك يسبب إزعاجاً وإيقاظاً للنائمين وللمرضى في المستشفيات والعيادات وما إلى ذلك ، كذلك أيضاً ينبغي للمسلم أن يمنع أولاده من الألعاب بالعيارات النارية سواء كان ذلك بالآليات أو بالمسدسات أو ما يسمى بالقريحات هذه الطمش وما إلى ذلك فإن هذه تسبب أشياء ربما تعود عاقبتها وخيمة ، كذلك بعض الآباء يهملون أبناءهم إما في نهار رمضان أو في ليل رمضان فلا يدري ابنه أين يمشي ولا يدري أين ابنته ربما أين تمشي ربما يسمح لها فتخرج من مكان إلى آخر فيجب على الآباء أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في بناتهم كذلك بعض الأبناء يخرج إلى بعض الحارات فيحرق بعض الكفرات ويلعب ببعض الألعاب النارية وأبوه بمعزل إما أن يكون مخزناً في بيته أو ذهب إلى مكان آخر فما ضر رب هذه الأسرة أن يبقى مع أولاده في رمضان فيعلمهم ويؤدبهم .

---

(١) روى البخاري(٨٥٣، ومواضع) ومسلم(١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته } .
وفي البخاري(٦٧٣١) ومسلم(١٤٢) من حديث معقل بن يسار المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: {ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلَّا لم يجد رائحة الجنة } .
وفي رواية: { ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلَّا حرم الله عليه الجنة } .

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجاً ولكن يعلمه التدين أقربوه [١]

وفق الله المسلمين والمسلمات لما يحبه ويرضى وأخذ بنواصينا جميعاً للبر والتقوى اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه والباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب٥٦].

عباد الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل٩٠].

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون وأقم الصلاة.

---

(١) الأبيات في مجمع الحكم والأمثال وفيها زيادة وهي:

مَشَى الطاووسُ يوماً باعْوجاجِ فقلدَ شكلَ مَشيتِهِ بنوهُ
فقالَ علامَ تختالونَ ؟ قالوا بدأْتَ به ونحنُ مقلدوهُ
فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ فإنا . . . إن عدلْتَ معدلوه
أمَا تدري أبانا كلُّ فرعٍ يجاري بالخُطى من أدبوه ؟
وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منا على ما كان عوَّدَه أبوه

وروى البخاري(١٢٩٢، ١٢٩٣، ومواضع) ومسلم(٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: {كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه } ثم قرأ أبوهريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم٣٠].

٨ كيف تصوم رمضان ؟

رمضان موسم لتجديد التوبة :

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده ربي لا شريك له لا رب لنا سواه ولا نعبد إلَّا إياه ولا نثق إلَّا بما عنده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في السماء ملكك وفي الأرض سلطانك وفي الجنة رحمتك وفي النار سطوتك وعذابك عز جاهك يا ألله وتقدست أسماؤك يا ألله أنت الواحد القهار أنت على كل شيء قدير .

فيا عجباً كيف يعصى الإلـه ؟ أم كـيـف يجـحـده الجـاحـد

وفـي كـل شـيء لـه آيـةٌ تـدل علـى أنـه واحـد [1]

* * * * *

وأغض طرفي عن سواك فلم أرى في الـكـون غـيرك مـن إلـه يعبدُ

يا مـن لـه عنت الوجوه بأسرها ولـه جميـع الكائنـات توحـدُ

---

(١) هذان البيتان لابن المعتز ويروي لأبي العتاهية رحمهما الله تعالى وهي في ديوانه ص(٤٥). انظر: تأريخ بغداد (٦/ ٢٥٣) ومعارج القبول(١/ ١١١).

أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة أنار الله به عقول البشرية وزلزل به كيان الوثنية فكانت أمته خير الأمم وكان هو خاتم الأنبياء والمرسلين :

معاشر المؤمنين الصائمين : إن من فضل الله علينا معاشر المسلمين أن كنا من أهل الإيمان والإسلام ومن أمة محمدٍ عليه الصلاة والسلام فو الله إنك لفخورٌ جداً يوم أن تكون النسبة إلى هذا النبي الكريم ، كيف لا تريد أن تكون منتسباً إليه وهو صاحب الحوض المورود والمقام المحمود والشفاعة العظمى أول من ينشق عنه قبره ، وأول من يفيق وأول من يقعقع حلقات الجنة فيقول خازنها : من ؟ فيقول : محمدٌ يقول : أمرت أن لا أفتح لأحدٍ دونك[١].

معاشر المسلمين: إن منن الله عَزَّوَجَلَّ علينا عظيمة منن ظاهرة وباطنة وإن من النعم الظاهرة والباطنة أن جعلنا الله مؤمنين إنها نعمةٌ عظمى ، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة٣]. نعمة الإيمان والإسلام هي أعظم النعم .

إذا الإيمان ضاع فلا حياةٌ ولا دنيا لمن لم يحي ديناً

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا [٢]

معاشر المؤمنين : وإن من نعم الله عَزَّوَجَلَّ أن جعل شهر رمضان هو أحد أركان الإسلام تلكم الأركان الخمسة هذا هو أحد أركانها صوم شهر رمضان رتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منافع ظاهرة وباطنة منافع حسية ومعنوية من جراء الصوم

(١) وكل هذا جاء في الصحيحين أو في أحدهما.

(٢) هذان البيتان لمحمد إقبال. انظر: موسوعة الدين النصيحة(٢/ ١٩٥) الوقت وأهميته في حياة المسلم(١/ ٦).

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[البقرة١٨٣] فأبرز منافع الصوم تحقيق التقوى في قلوبنا لتصلح هذه القلوب وتزكو هذه النفوس وتتربى هذه العقول وتستجيب هذه الجوارح في هذا الشهر المبارك أضف إلى ذلك ما رتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من رحمته بالصائم وعتقه من النار وغفرانه للذنوب والسيئات والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة وما كان من منافع دنيوية من صحة الأبدان والأجسام ومن أجل أن يتذكر الصائمون إخوانهم الجوعى هذه المنافع إنما تتحقق للصائمين القانتين وإنه يا معاشر المسلمين إن الكثير من الناس ربما يجهل بعض أحكام الصيام يجهل الكثير من المسلمين أحكام الصوم يظن أن الصوم مقتصر على أن يترك الطعام والشراب فقط على أن الصيام إنما هو أولاً صوم القلب عن الخنا وعن النوايا التي تغضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

صيام العارفين له حنينٌ إلى الرحمن رب العالمين

تصوم قلوبهم في كل وقت وبالأسحار هم يستغفرون

فالمسلم يجب عليه إن دخل شهر رمضان برؤية الهلال أو بإكمال شعبان ثلاثين يوماً أن يصومه كما قال الله في كتابه الكريم: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾[البقرة١٨٥]. هذا أمر إيجاب وهكذا.

يسأل نبينا عن الإسلام فيأتي بأركان الإسلام ويذكر منها صوم شهر رمضان فالمسلم البالغ العاقل المقيم يجب عليه أن يصوم إن توفرت فيه هذه الأربعة الشروط أن يكون مسلماً عاقلاً أي ليس بمجنون ومسلماً أي ليس بكافر بالغاً

أي أن الصغير لا يلزمه الصوم وإنما من باب التدريب والتعليم ومن أجل أن يألفه .

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

وما دان الفتى بحجاً ولكن يعلمه التدين أقربوه (١)

فلقد قالت الربيع بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أرسل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: { من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما فليصم. قالت فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار} (٢).

فإذا بلغ المسلم في رمضان وجب عليه أن يمسك وعلامة ذلك الإحتلام أو بلوغ خمسة عشر عاماً أو الإنبات والمراد به الشعر الخشن حول الفرجين ، فإذا تحصلت هذه الشروط الثلاثة يكون بهذا المسلم بالغاً ويضاف إلى الأنثى شرطاً رابعاً وهو الحيض ولو حاضت البنت قبل خمسة عشر عاماً وجب عليها أن تصوم إلَّا أن كثيراً من الناس ربما أمر ابنه أن يفطر أو ابنته مع بلوغه خشية عليه

(١) الأبيات في مجمع الحكم والأمثال وفيها زيادة وهي:

مَشَى الطاووسُ يوماً باعْوجاجِ ... فقلدَ شكلَ مَشيتِهِ بنوهُ
فقالَ علامَ تختالونَ ؟ قالوا ... بدأْتَ به ونحنُ مقلدوهُ
فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ ... فإنا . . . إن عدلْتَ معدَلوه
أمَا تدري أبانا كلُّ فرعٍ ... يجاري بالخُطى من أدبوه ؟
وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منَّا ... على ما كان عوَّدَه أبوه

وروى البخاري(١٢٩٢، ١٢٩٣، ومواضع) ومسلم(٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: {كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه} ثم قرأ أبوهريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم٣٠].

(٢) متفق عليه: البخاري(١٨٥٩) ومسلم(١١٣٦) وغيرهما.

من المرض والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أرحم بعباده من الأبوين أرحم بعباده من أنفسهم فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يكلف إلَّا ما يطاق ، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة٢٨٦].

فالله أعلم بمصالح العباد من أنفسهم وأما الشرط الرابع فهو الإقامة فالمسافر لا يجب عليه الصوم إلَّا إن أراد أن يصوم وكان قوياً في ذلك فلا بأس أن يصوم ولو أفطر فلا حرج هذه الأربعة الشروط يجب على المسلم معرفتها فإذا دخل شهر رمضان علم أن لهذا الشهر حرمة وأن له مزية وأن له إعظام وإجلال وإكبار يجب أن يعظمه في قلبه وأن يعظمه في مجتمعه قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج٣٢] وجب أن نعظم ما عظم الله وجب أن نرفع ما رفع الله وأن نحترم ما أمر الله به أن يحترم مثل هذه الليالي والأيام أيام وليالي شهر رمضان وجب على المسلم أن يعلم أن لها قداسة ولها حرمة ولها شعيرة عظيمة يجب عليه امتثالها .

وأما ما يتعلق بالصيام فهو عبارة عن الإمساك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس هذا ما يتعلق بالصيام شرعاً وهناك مبطلات تبطل هذا الصوم إن أتى المسلم واحداً من هذه المبطلات صار صومه فاسداً كما ستسمعون تفصيل ذلك إن شاء الله .

*** أما ما يتعلق بمبطلات الصيام:**

١- ٢ـ فالأكل والشرب عمداً وما يقوم مقام الطعام والشراب كالحقن المغذية التي يتغذى بها المسلم فيستغني بها عن الطعام والشراب فهي تقوم مقامهما تماماً يفطر الصائم بالطعام والشراب عمداً إن أكله في شهر رمضان أما إن أكل ذلك أو شربه نسياناً فلا حرج عليه وعليه أن يتم صومه فإن الله أكرمه بالطعمة والسقيا جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين أن النبي

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : { من نسي و هو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله و سقاه }(١).

فمقتضى هذا الحديث منطوق هذا الحديث أن من أكل أو شرب ناسياً فلا جناح عليه ومفهوم الحديث أن من أكل أو شرب في رمضان متعمداً فإنه يفطر وعليه القضاء والتوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهكذا القرآن الكريم يدل دلالة واضحة على ذلك قال جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾[البقرة١٨٧]

وقد جاء في البخاري أن عدي بن حاتم الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ شراكاً أبيض وشراكاً أسود خيطاً أبيض وآخر أسود فكان يأكل ويشرب حتى يتبين له هذا من ذا فأخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بذلك فقال له : { إنك لعريض الوسادة أو لعريض القفا وإنما المراد بذلك بياض النهار وسواد الليل }(٢) فالمراد بذلك طلوع الفجر الصادق كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : { إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم. ثم قال : وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا يؤذن حتى يقال له: أصبحت أصبحت }(٣).أي طلع الفجر.

فإذا أذن المؤذن لصلاة الفجر الأذان الثاني هناك وجب على المسلم أن يمسك فإذا ما غربت الشمس وأذن المسلمون في مساجدهم هناك دخل زمن الإفطار ولا ينبغي للمسلم أن يخالف المسلمين أن يفطر قبل المسلمين أو أن يتأخر إلى أن يسمع أذان صنعاء مثلاً أو أذان الحرم فإن لكل بلد ميقات وأنت تتابع ميقات أهل بلدك وهناك في التحديد الزمني ما يكون

(١) متفق عليه: البخاري(١٨٣١، ٦٢٩٢) ومسلم(١١٥٥).
(٢) متفق عليه: البخاري(١٨١٧، ٤٢٣٩، ٤٢٤٠) ومسلم(١٠٩٠).
(٣) متفق عليه: البخاري(٥٩٢، ٥٩٥، ٥٩٧، ١٨١٩، ٢٥١٣، ٦٨٢١) ومسلم(١٠٩٢) عن ابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

الفارق إما ساعة أو النصف منها أو الربع منها أو أقل أو أكثر من ذلك فأنت عليك بالتزام ما عليه إخوانك المسلمون ، هذان الأمران من أهم ما يجب على المسلم معرفته وهو ما يتعلق بالطعام والشراب وهكذا ما يقوم مقام الطعام والشراب.

٣ـ ومن المفطرات الاستقاءة عمداً وذلك أن يطلب التقيؤ عمداً جاء في الحديث الذي رواه أحمد وغيره وصححه الألباني كما في إرواء الغليل يقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { من ذرعه القيء ـ وهو صائم ـ فليس عليه قضاء ومن استقاء فليقض }[1] يعني من غلبه القيء فتقيأ فهنا لا قضاء عليه فإن هذا ليس بمقدوره { ومن استقاء فليقض} أي من طلب التقيؤ فقاء هنا وجب عليه أن يتوب وأن يقضي مكان ذلك اليوم فإنه في عداد المفطرين وإذا تقيأ هل له أن يأكل ؟ إن كان مريضاً له أن يفطر وأن يأكل وإن كان ليس بمريض وجب عليه أن يمسك لحرمة الشهر ولا يخالف المسلمين وما هم عليه بل كان فيما مضى من الزمان في ظل الخلافات الإسلامية كان حكام المسلمين يمنعون اليهود والنصارى من أن يأكلوا أو يشربوا في نهار رمضان لماذا ؟ لأنه يجب على هؤلاء أن يحترموا شعائر المسلمين ودين المسلمين فإن كانوا كفاراً فلا يأكلوا في النهار أمام المسلمين ولا بأس أن يستتروا فإنهم كفار فهم مطالبون بالإسلام أولاً على أن من المسلمين من ربما يأخذ الماء فيشربه أمام المسلمين جهاراً ولا حول ولا قوة إلَّا بالله .

٤ـ المبطل الرابع من مبطلات الصيام : الجماع ومقدمات الجماع يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى :﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ

(١) صحيح: رواه أحمد(١٠٤٦٨) وأبو داود(٢٣٨٠) والترمذي(٧٢٠) والنسائي في الكبرى(٣١٣٠) وابن ماجة (١٦٧٦) وغيرهم وصححه الألباني في: الإرواء(٩٣٠) وصحيح الجامع(٦٢٤٣) والصحيحة(٩٢٣).

لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ ﴾[البقرة١٨٧].

فلقد أباح الله في هذه الآية أن يأتي الرجل زوجته امرأته الحلال ليلاً من أجل ابتغاء الولد أو غير ذلك له أن يأتي زوجته الحلال وعليه أن يمتنع من ذلك في نهار رمضان فإن اقترب منها فأصابها فقد جاء باباً من أبواب الكبائر فيلزمه أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً أن يندم وأن يقلع وأن يعزم أن لا يعود إلى الذنب ويترتب عليه كفارة مغلظة يسميها الفقهاء بكفارة الظهار وهو أن يعتق رقبة مؤمنة قادرة على العمل أو أن يصوم شهرين متتابعين أو أن يطعم ستين مسكيناً جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: { بينما نحن جلوس عند النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله هلكت . قال : « مالك ؟ قال : وقعت على امرأتي وأنا صائم . فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « هل تجد رقبة تعتقها ؟ (يعني هل تستطيع أن تشتري عبداً أو أمة فتحرره ؟) . قال : لا .

قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟قال : لا . قال: هل تجد إطعام ستين مسكينا ؟ (أي: تجمع ستين مسكيناً من الفقراء والمساكين فتطعمهم؟) قال: لا . قال: (له الصادق المصدوق الرؤوف الرحيم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-): اجلس ومكث النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فبينا نحن على ذلك أتي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعرق فيه تمر والعرق المكتل الضخم. (بمكتل من تمر رطب هذا البلح وهو لا زال طازجاً من الشجرة أتي به للنبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فـ) قال: أين السائل؟ قال: أنا. قال: خذ هذا فتصدق به. فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها يريد ا لحرتين أهل بيت أفقر من أهل بيتي . فضحك

النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك }[١]. فسقطت الكفارة عن هذا الرجل لعجزه وإلا فهي تلزم المستطيع فمن جامع أهله في نهار رمضان تترتب عليه هذه الكفارة المغلظة فعليه أن يطعم ستين مسكيناً أو أن يصوم شهرين متتابعين وعليه التوبة وعليه أن يقضي يوماً مكان ذلك اليوم جاء في حديث آخر لفظة توافق هذا الحديث قال : {واقض يوماً مكانه }[٢] لا بد من قضاء يوم مكان هذا اليوم .

٥ـ ومن نواقض ومفسدات الصيام : الإستمناء وما هو في مقام الإستمناء وهكذا ما يتعلق بإخراج المني بأي صورة وبأي شكل وبأي نوع يكون الطالب له صاحبه لا يكون هذا المني خروجه عفوياً كأن ينام الصائم في رمضان فيحتلم وهو نائم هو نام في نهار رمضان فاحتلم فهنا لا شيء عليه هذا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فعليه أن يغتسل للجنابة وأن يتوضأ وأن يواصل صومه وصومه صحيح ولا جناح عليه ، لكن لو طلب منيه فأخرجه بيده أو بأي شيء آخر أو أن ينظر إلى بعض الأفلام أو أو إلى آخره فهنا كثير من الفقهاء كالأئمة الأربعة الإمام مالك والشافعي وأبو حنيفة والإمام أحمد يذهبون إلى بطلان صومه ولهم في ذلك دليلان دليل نقلي ودليل نظري قياسي أما الدليل النقلي فيستدلون بما في حديث أبي هريرة في الصحيحين أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال : { يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي }[٣].

---

(١) رواه الجماعة: البخاري(١٨٣٤، ١٨٣٥، ٢٤٦٠، ٥٠٥٣، ٥٧٣٧، ٥٨١٢، ٦٣٣١، ٦٣٣٢، ٦٣٣٣، ٦٤٣٥) ومسلم(١١١١) وأحمد(٧٢٨٨)وأبو داود(٢٣٩٠)والترمذي(٧٢٤) والنسائي في الكبرى(٣١١٧) وابن ماجة(١٦٧١) وغيرهم. وما بين الأقواس من شرح الشيخ حفظه الله.

(٢) زيادة صحيحة: رواها أبو داود(٢٣٩٣) وابن ماجة(١٦٧١) وابن خزيمة(١٩٥٤) والدارقطني(٢٤٣، ٢٥٢) والبيهقي في الكبرى(٧٨٤٤، مواضع) وصححها الألباني في: الإرواء(٩٣٩، ٩٤٠) والتعليق على ابن خزيمة (١٩٥٤) .

(٣) رواه البخاري(١٧٩٥، ١٨٠٥، ٥٥٨٣، ٧٠٥٤، ٧١٠٠) واللفظ له ومسلم(١١٥١).

أي خوفاً من الله فالصائم في رمضان ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا الذي استمنى وعبث بنفسه هذا لم يحترم حرمة الشهر ولم يكن خائفاً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا ما يتعلق بالدليل النقلي.

وأما ما يتعلق بالدليل النظري القياسي فقاسوا ذلك على الإحتجام فإن الحجامة إن كانت مضعفة للصائم فالقول الصحيح من أقوال أهل العلم أنه يفطر بذلك إن احتجم أو سحب منه الدم تبرع بدم لشخص آخر فأصيب بالضعف وجب عليه أن يفطر فقالوا : إن كان هذا يؤدي إلى الإفطار فإن خروج المني أيضاً يضعفه فيكون عن طريق القياس يدل دلالة صحيحة على بطلان صيامه وهذا الذي ذكرناه يضاف إليه ما يتعلق بالحيض والنفاس إن خرج من المرأة حيض أو نفساء في نهار رمضان وجب عليها أن تفطر وعليها القضاء كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم[1]. هذا أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الذي ذكرناه يستوي فيه العالم والجاهل والصغير والكبير والعربي والأعجمي من المسلمين هم جميعاً على حدّ سواء لكن يشترط في ذلك العلم ويشترط في ذلك الإرادة ويشترط في ذلك التعمد ويشترط في ذلك العمد ويشترط في ذلك أيضاً الذكر أن يكون ذاكراً وأن يكون مريداً مختاراً بمعنى لو أن شخصاً أجبره على أن يفطر هدده بقتل وما شابهه على أن هذا ليس بحاصل في أيامنا هذه لكنه لو حصل ما كان هذا مفطراً لأنه لم يرد الإفطار من قلبه هو ما أراد الإفطار وهكذا من ارتكب شيئاً جاهلاً لا يعلم فوجب عليه أن يواصل صومه لأن حدّ ذلك العلم قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء١٥].

(١) متفق عليه: رواه البخاري(٢٩٨، ٩١٣ ، ١٣٩٣ ، ١٨٥٠ ، ٢٥١٥) ومسلم(٧٩، ٨٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة٢٨٦].

ويقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه }(١). هناك أمورٌ ليست بمفطرة بعض المسلمين يظنونها من المفطرات مثال ذلك على سبيل المثال: ضرب الإبر التي لا يقصد بها الغذاء سواء كانت في الأيدي أو في العضل لا تؤثر لأنها ليست في مقام الغذاء ولو أخرها إلى الليل أو استعملها عند الإمساك وعند الإفطار يكون حسناً ويكون هذا عبداً متورعاً وهكذا ما يتعلق باستعمال قطر العين والأذن وهكذا ما يتعلق بتذوق الطعام إن احتاج إلى ذلك وما يتعلق بالإغتسال والتبرد واستعمال السواك والغبار وكذلك استعمال العطور والبخور ما لم يستنشقه هذه لا تفطر ولو احترز المسلم منها في نهار رمضان لكان خيراً له.

الذنوب والمعاصي بشكل عام هي محرمة في رمضان وفي غير رمضان وجب على المسلم أن يحترز منها وأن يحفظ صيامه يقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه }(٢). ويقول نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش

(١) صحيح: رواه ابن ماجة(٢٠٤٥) وابن حبان(٧٢١٩) والدارقطني(٣٣) والبيهقي في الكبرى (١٤٨٧١) والطبراني في الكبير(١١٢٧٤) والأوسط(٨٢٧٣) والصغير(٧٦٥) وصححه الألباني : في الإرواء(٨٢) وصحيح الجامع(١٧٣١، ١٨٣٦، ٣٥١٥، ٧١١٠) والمشكاة(٦٢٨٤)
والحديث جاء عن عدد من الصحابة منهم: أبو ذر وابن عمر وعقبة بن عامر وثوبان وأم الدرداء وأبو هريرة وابن عباس وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. انظر: جامع العلوم(ص٥٠٦ــ٥٠٨)
فائدة: قال الطوفي في التعيين(ص٣٢٢): هذا الحديث عام النفع عظيم الوقع وهو يصلح أن يسمى نصف الشريعة.

(٢) رواه البخاري(١٨٠٤، ٥٧١٠) وأحمد(٩٨٣٨) وأبو داود(٢٣٦٢) والترمذي(٧٠٧) والنسائي في الكبرى (٣٢٤٥) وابن ماجة(١٦٨٩) وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وعند بعضهم { من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به } قوله: { فليس لله حاجة } أي إن الله تعالى لا يلتفت إلى صيامه ولا يقبله.

ورب قائم حظه من قيامه السهر }[١].

فكم من المسلمين من يعمل أعمالاً لكنه يخربها بالغيبة بالنميمة بهتك الأعراض بالنظر إلى التلفزيونات إلى الصور العارية ، يعني ربما يسرف في الأموال ربما يطلق بعض الألفاظ فهذا الصوم يجب على المسلم أن يحفظه أن يحفظ هذا العمل حتى يكون صومه مقبولاً يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه }[٢]. في ذلك اليوم العظيم يأتي هذا الصيام الذي أنت تكابده طول النهار يأتي و يشفع لك يقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أي رب إني منعته الطعام و الشهوات بالنهار فشفعني فيه يقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان }[٣]. يعني أن شفاعته تقبل. لكن متى ؟ إذا كان هذا الصيام مقبولاً قد حافظ عليه صاحبه من الخنا ومن قول الزور ومن كل باطل يكون نافعاً لصاحبه أما إذا كان يعمل عملاً صالحاً ثم بعد ذلك يردفه بآخر سيئاً أو أنه طول النهار يصوم لكنه في الليل يعمل الموبقات هذا يتعب نفسه، وجب عليه أن يراقب الله وأن يخاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأن يعلم أن اليوم عمل وغداً حساب ولا عمل وأن الدنيا قد ترحلت مدبرة وأن الآخرة مقبلة.

ويجب عليه أن يعلم أنه في كل يوم يقدم من الله وأن شهر رمضان هو

(١) صحيح: رواه أحمد(٨٨٤٣) وابن ماجة(١٦٩٠) والنسائي في: الكبرى(٣٢٤٩، ومواضع) والحاكم(١٥٧١) وابن خزيمة(١٩٩٧) وابن حبان(٣٤٨١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٣٤٨٨، ٣٤٩٠) وصحيح الترغيب(١٠٨٣) والمشكاة(٢٠١٤) والحديث جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جزء من حديث متفق عليه: البخاري(١٨٠٥) ومسلم(١١٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه أحمد(٦٦٢٦) والحاكم(٢٠٣٦) والبيهقي في الشعب(١٩٩٤) وأبو نعيم في الحلية(٨/ ١٦١) وغيرهم وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٣٨٨٢) والمشكاة(١٩٦٣) وصحيح الترغيب(٩٨٤).

اختبار وامتحان إما أن يكرم أو يهان يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له }[1].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

(١) صحيح: رواه أحمد(٧٤٤٤) والترمذي(٣٥٤٥) وابن خزيمة(١٨٨٨) وابن حبان(٩٠٨) والبخاري في الأدب المفرد(٦٤٦) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٣٥١٠) والمشكاة(٩٢٧) وصحيح الترغيب(١٦٨٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

معاشر المؤمنين :

إذا كان المسلم يصوم في نهار رمضان وقد رتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ذلك أجراً ورفعة له فهو مطالبٌ أيضاً بالقيام فشهر رمضان هو شهر الصيام والقيام اسمع إلى هذا الحديث يقول نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه }(١).

قيام رمضان أمرٌ شرعه الله وسُنَّة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان قيام الليل فريضة في حق نبينا على مدار العام ليس في رمضان فحسب قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾[المزمل: ١ـ٦].

فكان نبينا قد أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليه قيام الليل بمقتضى هذه الآية وآية أخرى من سورة الإسراء : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩ ﴾[الإسراء٧٩].

وكان نبينا يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فتقول له عائشة : يا رسول الله تعمل هذا بنفسك وقد غفر ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول : { أفلا أكون

(١) متفق عليه: البخاري(٣٧، ١٩٠٤، ١٩٠٥) ومسلم(٧٥٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عبداً شكوراً }[١].

اسمعوا إلى هذا الحديث الغريب حتى نقارن بينه وبين أعمالنا بين ما لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من المنزلة الرفيعة عند ربه وما كان له من المقامات وما كان يقوم به من الأعمال وتأملوا في حالنا نحن البسطاء في آخر الزمان لا حول ولا قوة إلَّا بالله ، جاء في صحيح البخاري أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: {صليت مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى ، فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ، ثم قال: سمع الله لمن حمده ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد ، فقال سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريبا من قيامه }[٢].

هذا حال نبينا وقد كان يقوم من الليل بأحد عشر ركعة يقرأ قراءة مترسلة هادئة مرتلة فما بال أكثر المسلمين يعزفون عن مثل هذه الأجور ألا ترضى أن يغفر لك الذنوب يا أيها المسلم يقول نبيك -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه }[٣].

---

(١) متفق عليه: البخاري:(٤٥٥٧) ومسلم:(٢٨٢٠) وأحمد:(٢٤٨٨٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
والحديث قد جاء عن عدد من الصحابة منهم المغيرة بن شعبة في البخاري:(١٠٧٨) ومسلم:(٢٨١٩) وأبو هريرة عند ابن ماجة(١٤٢٠) وأبو جحيفة عند الطبراني في الكبير(٣٥٢) وابن مسعود في الأوسط (٣٣٧٤) والصغير(٣٢٧) وعن أنس في الأوسط:(٥٧٣٧) والنعمان بن بشير في الأوسط(٧١٩٩) وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) رواه مسلم(٧٧٢) وأحمد(٢٣٤١٥) والنسائي(١٦٦٤) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما حديث ابن مسعود فقد رواه البخاري(١٠٨٤) ومسلم(٧٧٣) ولفظه قال: [صليت مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليلة فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء قيل : وما هممت قال : هممت أن أقعد وأذر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-].

(٣) متفق عليه: وقد سبق هنا قريبا.

ويقول نبينا لمعاذ بن جبل: { ألا أدلك على أبواب الخير ؟ : الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى إذا بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٦ـ ١٧] [١].

وهذا عبد الله بن رواحة[٢] يصور حال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما كان فيه من العبادة والتقدم في هذا الباب فيقول :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذااستثقلتبالمشركينالمضاجع[١]

من المسلمين من إذا أملأ معدته طعاماً ثقل عن القيام ، من الذي أمرك بهذا ؟ إن علماء الطب وعلماء الشرع ينصحون بعدم ذلك ، لا بد أن يكون فطورك خفيفاً وعشاؤك خفيفاً فلا تعطي المعدة في بداية أمرها ما يصدها عن الطعام وما يصدها عن الحركة وما يثقل هذا البدن إن خير الهدي هدي محمدٍ

(١) صحيح: رواه أحمد(١٥٩٢٤، ٢٢٠٦٩) ومواضع والترمذي(٢٦١٦) والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤)وابن ماجة(٣٩٧٣)والحاكم(٣٥٤٨)والطيالسي(٥٦٠)والبيهقي في الشعب(٢٨٠٦) وصححه الألباني بمجموع طرقه: الصحيحة(١١٢٢) وانظر: صحيح الجامع(٥١٣٦).

(٢) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري، من الخزرج، أبو محمد: صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الانصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية. واستخلفه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على المدينة في إحدي غزواته. وصحبه في عمرة القضاء، وله فيها رجز. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة (بأدنى البلقاء من أرض الشام) فاستشهد فيها سَنة:٨ هـ =٦٢٩م.
انظر: الأعلام للزركلي(٤/ ٨٦).

(٣) هذه الأبيات عند البخاري(١١٠٤، ٥٧٩٩)وأحمد(١٥٧٧٥)وغيرهما يرويها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلقد كان يفطر على رطيبات فإن لم يكن فعلى تميرات فإن لم يكن حسى حسوات من ماء ، ثم صلى المغرب ثم أكل ما تيسر فإذا أذن العشاء صلى العشاء ثم قام فصلى هذا هدي نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما هناك ما كان ينازعه لا تلفزيونات ولا أكل القات من المسلمين حرموا عن صلاة القيام إما بسبب التخزين أو بسبب التلفزة أو بسبب أعمال مباحة وبعض أعمالٍ والله ليست بأعمال اضطرارية ربما كان نوم سهر ربما كانت دردشة ليست فيها أي فائدة .

يا أيها المسلم :

عليك أن تعلم أن شهر رمضان هو شهر الصيام والقيام هكذا درج الأسلاف من أصحاب رسول الله ومن بعدهم من الصالحين

كن كالصحابة في زهد وفي ورع القوم هم ما لهم في الناس أشباه

عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابدٍ دمعه في الخد أجراه

هؤلاء هم أصحاب رسول الله وهؤلاء هم الصالحون إلى يومنا هذا فالزموا طريق الرشد ترشدوا يا عباد الله واعلموا أن هذه الأيام والليالي نفحات ومسابقات فإياك أن تسبق إلى خير فالله أعلم هل أنت ستعمر حتى توفق لأن تكون من الصائمين أم سيقضى عليك فلا توفق لأن تكون من الصائمين مرحلة آخرة فاتق الله أيها المسلم واعلم أن هذه الدنيا من أولها إلى آخرها لا تسوى عند الله جناح بعوضة ، وأن الحياة هناك هي جنات النعيم يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾[الذاريات: ١٥ـ ١٩].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحشر ٢٠].

هم الفائزون في الدنيا وهم الفائزون في الآخرة فاتق الله أيها المسلم في شهرك في يومك وفي ليلك وفي حركاتك وفي سكناتك وفي لسانك وفي جوارحك وفي قلبك وعقلك واعلم أنك محاسبٌ على ذلك كله .

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من عباده الصالحين وأن يرفع درجاتنا في المهديين وأن يكتبنا من الصائمين القائمين الفائزين ومن عتقاء هذا الشهر الكريم وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين وأن يرينا الحق حقاً فيرزقنا اتباعه والباطل باطلاً فيرزقنا اجتنابه ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا إنك أنت الله على كل شيء قدير وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه وأقم الصلاة .

٩ اغتنام العشر الأواخر بالأعمال الصالحة

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

تفكروا بمرور الليالي والأيام وسرعة زوالها وانقضائها إنه لأمر محسوس وملموس ومشاهد أن تتأمله بوضوح وجلاء تستخدم في ذلك العقل الذي وهبك الله عَزَّوَجَلَّ إياه وتنظر في تقلبات الدهر وسرعة تقلبه وزواله ولا شك أننا سائرون مع أعمالنا فالأيام لا تنتظر وإنما تمر مراً سريعاً

تمر بنا الأيام تترى وإنما نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ولا زائل هذا المشيب المكدر

بالأمس القريب كان المسلمون يستقبلون شهر رمضان يستقبلون هذا الزائر العظيم يستقبلون الصيام والقيام وقراءة القرآن مستبشرين بهلال شهر رمضان شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار وها هم عن وشيك يودعون هذا الزائر يودعون هذا الشهر الكريم يودعونه ويفارقونه رغماً عنهم وهو لا شك مرتحل لكن الناس في ذلك على قسمين فهناك مودعٌ يودعه مع كل ألمٍ وأسى وهناك مودعٌ لرمضان يريد أن يتخلص من أغلاله.

فيكون الناس على مرتبتين اثنتين:

أما المرتبة الأولى فقد طويت فيها صحائف أعمالهم من صلاة وصيام وقراءة قرآن وبر للوالدين وصلة للأرحام وإطعام للجوعى من أرامل ومساكين وأيتام أعمالٌ كثيرة قاموا بها خلال شهر رمضان فهنيئاً لمن كان هذا حاله إنه والله محسودٌ على هذا العمل ، لقد أرضى الله عَزَّوَجَلَّ لقد بادر بالأعمال الصالحة.

وأما الفريق الثاني إنما كانوا في شهر رمضان ينتظرون زواله وانقضاءه فربما

مرت خمسة أيام قال بقي من الشهر خمسة وعشرون يوماً فلا يدري متى يفطر ولا يدري متى ينصرف عنه شهر رمضان. فلقد اجتمع هؤلاء في يوم العيد مثلاً لكن البون شاسع بينهما بين من أقبل على الله في شهر رمضان وبين من كان إقباله مؤقتاً ينتهي بانتهاء رمضان.

وقد قال بعض الصالحين : بئس القوم الذين لم يعرفوا الله إلَّا في رمضان .

فيا معاشر المسلمين :

إن من الناس من فاجأهم الموت قبل أن يصوموا رمضان ومن المسلمين من فجعنا بهم خلال شهر رمضان ذاك يموت كما يقال بنوبة قلبية وآخر بحادث مروري مروع، وموت الفجأة ما أكثره في أيامنا هذه، صروف الدهر وحوادث الزمان ونزول ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤذن بزوال هذه الدنيا وانقضائها فهل من معتبر يعتبر بذلك ؟ أم أنها الغفلة قد علت على قلوبنا ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[المطففين١٤].

فأخاطب العقول أخاطب الأسماع والقلوب أخاطب أولي الألباب أن من كان عنده تفريط وتساهل فلا زال في الشهر بقية من ليالي وأيام فبإمكانك أن تسابق وأن تسارع كما قال ربنا:﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة ١٤٨] وقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[آل عمران ١٣٣].

فيا أيها المسلم العاقل لا بد أن تعرف أنك في شهر رمضان وأنك في آخره في العشر الأواخر تلكم العشر التي هي أفضل أيام السُّنَّة كان عليه الصلاة والسلام يجتهد فيها ييقظ أهله ويسهر ليله يقرأ القرآن ويصلي صلاة القيام وهو العبد المغفور ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان يعتكف في رمضان في

العشر الأواخر ينتظر ليلة القدر لما فيها من الشرف والكثير من المسلمين اليوم غفلوا عن أمر الإعتكاف وغفلوا عن أمر القيام فكان في ذلك تساهل وأمزجة في صلاة القيام ذاك يصلي ركعتين ثم ينصرف والآخر أربعاً وذاك ساهٍ غافل لا يحضر مع أنه مسلم يريد رضاء الله والدار الآخرة .

فيا أيها الكيّس الفطن :

لا زلت في وقت الإمهال نذكرك بفداحة ضياع هذه العشر الأواخر ولكن لا زال في العمر بقية لا زلت في العشر الأواخر من رمضان فاقبل على ربك أولاً بالتوبة النصوح وأن لا تكون توبة موقوتة بخروج شهر رمضان ثم تحدث نفسك بالرجوع إلى الذنب ثانية وإنما توبة نصوح فيها الإخلاص لله والصدق مع الله وفيها الندم والإقلاع والعزم على عدم الرجوع فابشر بعد ذلك برضا ورضوان وعتق من النيران، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان ٧٠].

فرصة بين يديك أن تقول للمعاصي وداعاً ولرفقاء السوء وداعاً وللغفلة وداعاً لتستخدم عقلك وتستخدم ما وهبك الله من المعرفة والعلم لتقبل على الله إقبالاً صحيحاً .

أيا غادياً في غفلة ورائحا ... إلى متى تستكثر القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفاً ... سينطق الله به الجوارحا
فيا عجباً منك وأنت مبصراً ... كيف تجنبت الطريق الواضحا

هذا أمر لو خرجت منه برمضان فاعلم أنك مغبوط ومحسود أعني التوبة النصوح إنه أمرٌ عظيم لا يقتحمه إلَّا أفذاذ الرجال أولئك الذين أرضوا الله وأسخطوا الشيطان وأولياء الشيطان يوم أن ودعوا الغفلة والسهو وأقبلوا على ربهم بقلوب خاشعة وجوارح مستسلمة فكان لسان حالهم ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[طه٨٤] .

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود يا غاية المنى ... فكل الذي فوق التراب تراب

توبة نصوحة لا رجوع للذنب مرة ثانية هذه إرغامٌ للشيطان وإرضاء للرحمن وهكذا أيضاً سعادة لك يا عبد الله يوم أن تقبل على ربك فترضيه في العشر الأواخر من شهر رمضان تتوب من التفريط بترك الصلاة تتوب من عقوق الوالدين من أذية الجار من أمور محرمة أنت تعرفها فأنت تقربت إلى الله بتركها فلا تظن هذا عملاً قليل والله إنه عظيم يوم أن تترك ذلك كله مبتغياً الأجر والثواب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فحينئذٍ تبشر بقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه}[1] { ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه }[2] .

وهكذا أيضاً قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر}[3] .

---

(١) متفق عليه: البخاري(٣٨، ١٨٠٢، ١٩١٠) ومسلم(٧٦٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) متفق عليه: البخاري(٣٧، ١٩٠٤، ١٩٠٥) ومسلم(٧٥٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) رواه مسلم(٢٣٣/ ١٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذه أول خطوة وأعظم خطوة تخطوها يا عبد الله لتجد الراحة والله والطمأنينة والله أنك لتجد الإستراحة والحياة الهادئة في نفسك يوم أن تخلع منك أوسمة الشيطان ووساوس الشيطان لتقول لها وداعاً لا حاجة لي بك أبد الآبدين فحينئذٍ ابشر برضا وبعتق من النار وبرضا من الرحمن أبشر بالخير كله يا مسلم ولا ينبغي أن تكون توبتك تجربة إن وجدت من خير الدنيا وأرزاق الله وإلا رجعت إليها مرة ثانية فاعلم أن المؤمن في ابتلاء واختبار إن صبر رفعه الله وإن لم يصبر خفضه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال ربنا : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك٢]. ثم اغتنام ما بقي من شهر رمضان بالمرابطة في المسجد والإكثار من قراءة القرآن الكريم والإكثار من الإستغفار الإكثار من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم تتحرى ليلة القدر وهي في أوتار من العشر الأواخر من رمضان تتحرى هذه الليلة الشريفة التي يقول فيها نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه }(١).

ولقد امتدح الله هذه الليلة فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ [القدر:١ـ ٥] .

فتأمل في مطلع هذه السورة فمن فضائلها أن القرآن نزل في هذه الليلة من عند الله إلى بيت العزة من سماء الدنيا(٢) فهذا شرف رفيع لهذه الليلة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي القرآن الكريم ﴿ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾

(١) متفق عليه: البخاري(٣٥، ١٨٠٢، ١٩١٠) ومسلم(٧٦٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) روي هذا عن ابن عباس موقوفا كما عند النسائي في الكبرى(٧٩٩١) والحاكم(٢٨٨١، ٤٢١٦) وصححه ووافقه الذهبي. ولفظه: [فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يرتله ترتيلا]

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة١٨٥].

فالقرآن نزل في رمضان في ليلة القدر وهي ليلة من ليالي رمضان أشرف ليالي رمضان وأشرف ليالي السُّنَّة والزمان ثم سماها الله ليلة القدر لأمرين اثنين:

لأنها ليلة ذو قدر رفيع وشرف عظيم ولأنه يقدر فيها مقادير العباد لعام كامل من إرزاق قوم وحرمان آخرين وإماتة قوم وإحياء آخرين فهي ليلة القدر من القدر والتقدير ومن الشرف والتعظيم.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ ثم عظم الله شأنها فقال :﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ﴾ثم بين الله علة ذلك التعظيم فقال :﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ هذه الليلة خير من ألف شهر وذلك بفضيلتها فهي تعدل عبادة ثلاثة وثمانين عاماً فمن قامها فقد حاز بخير عظيم ومن ضيعها فقد حرم خيراً عظيماً.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ ثم بين الله ما يكون فيها قال: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾. فما هو السر في ذلك؟ ليلة تتنزل فيها الملائكة والملائكة لا ينزلون إلَّا بالرحمة والبركات وبالخير الكثير فهي ليلة تتنزل فيها الأملاك ومن هؤلاء جبريل ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ أي بأمر ربهم ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ أي أنها مسلمة من كل سوء لا فيها عصيان ولا فيها رمية بشهب نار على شيطان ولا فيها شيء من السوء إنها سلمت من كل آفة وهذا السلام والسلامة فيها يكون حتى مطلع الفجر فهي من بعد صلاة العشاء وتستمر إلى الفجر وإن الكثير من المسلمين ربما اعتقدوا فيها اعتقادات باطلة ونظروا إلى جوانب مادية منها وهذه الليلة

لا تعني شيئاً من ذلك وإنما هي ليلة تعبدية لكن الخير فيها كثير وأول خير فيها هو خير الآخرة ومن سأل الله من خير الدنيا أعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من خزائنه قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر ٢١].

فمن أراد الجنة خزائنها بيد الله ومن أراد العز في الدنيا عزة مال وجاهٍ وشرف سِأله من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالخير بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كله فلقد كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع ما غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إلَّا أنه كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان يرجو أن ينال شرف هذه الليلة ولقد اعتكف في بعض الرمضانات عشرين يوماً يريد أن يحظى بهذه الليلة المباركة فمن كان قد وفقه الله للإعتكاف فليعلم أنه على خير ومن لم يعتكف فليتحر ليلة القدر ولا ينبغي له أن يخصص ليلة بعينها كما هو شأن بعض الناس يحرصون على ليلة سبعة وعشرين فالأدلة في ذلك متكافئة لا يستطيع عالم أن يرجح أنها في ليلة سبعة وعشرين لوجود الخلاف في المسألة ففيها أكثر من ثلاث وأربعين قولاً ولقد خرج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يريد أن يخبر أصحابه بليلة القدر وأن يعين لهم تلك الليلة والحديث ثابت في صحيح البخاري فاختلف رجلان تلاحا رجلان فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {إني خرجت لأخبركم بليلة القدر وإنه تلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة}[1].

فكوننا لا نعلم بليلة القدر بعينها في أي ليلة هي كان في ذلك فائدة عظيمة وذلك أن يتسابق الناس ويتسارع ويشمروا ويجتهدوا كلهم من الذي يحظى بليلة القدر فهي بمثابة مسابقة كل واحد أراد أن يسابق الآخر وأن يسارع من أجل أن يحظى بالجائزة فهي جائزة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهبة لمن شمر وسارع

(١) رواه البخاري(٤٩، ١٩١٩، ٥٧٠٢) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من أجل أن يحظى بها فينبغي على المسلم أن يكون حريصاً يقوم في أوتار العشر وفي غير أوتار العشر الأواخر يحاول أن يقرض نفسه رصيداً من العمل الصالح فما دام في وقت الإمهال وما دام قادراً فإن بعض الناس يفرط بحياته في وقت الشباب فمتى ما احدودب ظهره راجع حسابه ورجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكنه لا يستطيع أن يقوم الليل أو أن يكثر من العمل الصالح وذلك قد اهتد بدنه كله فلا يستطيع أن يقوم بما كان يستطيعه في وقت الفتوة والصحة والعافية .

فيا معاشر المسلمين :

هذه أيامٌ مباركة وليالٍ فاضلة فطوبى لمن اغتنمها وويل لمن فرط وضيع فإنه يعض على أصبع الندم ولا يلومن أحد إلَّا نفسه حين لات مندم فينبغي للمسلم أن يكون متعظاً بغيره وأن يتأمل في تقلبات هذا الزمان فالذين رحلوا أنت منهم قريب مرتحل وهكذا أيضاً يلحق الأول بالثاني واللاحق بالسابق وهكذا شأن الليالي والأيام قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران ١٨٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الجمعة ٨] .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الصائمين القائمين واغفر لنا ذنوبنا يا إله الأولين والآخرين.

هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

معاشر المسلمين:

اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واعلموا أن أعظم ثمرة تخرج بها في شهر رمضان أو من شهر رمضان هو تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[البقرة١٨٣].

وتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المراد به فعل المأمور وترك المحذور فمن وفقه الله لصيام صحيح في شهر رمضان فليعلم أن الله طالبه بالتقوى ومعنى ذلك أنه يلازم الطاعة لزوماً صحيحاً يحافظ على الصلوات بجماعة فمن علامة صحة قبول الصيام أن تكون مستقيماً في رمضان وأن تكون مستقيماً بعد انصراف شهر رمضان فمن كان هذا حاله فليعلم أن صيامه مقبول وأن الله قد رضي عنه أما من خرج رمضان ثم عاد إلى ما كان عليه من الذنب والمعصية فليعلم أنه لعاب وأنه ليس معجزاً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالله قادرٌ على أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر لكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يمهله كما قال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته }.ثم قرأ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود١٠٢][1].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر وقاهر ومنتقم لكنه يملي ويمهل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

(١) متفق عليه: البخاري(٤٤٠٩) ومسلم(٢٥٨٣) عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

سبحان من يعفو وينهفو دائماً ولا يـزل مهما هفا العبد عفا
يعطي الـذي يخطي ولا يمنعه جلاله مـن العطا لـذي الخطا

فمن كان على ذنب ورب العالمين يسوق إليه الأرزاق فلا يظن أن ذلك اصطفاء وأن الله يحبه أو ليس قادراً عليه.

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعطيه من النعم من أجل أن تشتد الحجة عليه يوم القيامة ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر فكم من رجل خرج من بيته وكان يظن أنه بعيد من الله وأن الله لا يستطيع أن يقهره ثم بعد ذلك كان أمره بين الكاف والنون فما هي إلَّا لحظات وإذا بالإتصالات أنه في غرفة الإنعاش يعني إن عاش وإلا فسيموت ثم بعد ذلك كان الموت محققاً وهكذا دواليك وهكذا شأن هذه الدنيا .

فيا أيها المسلمون:

اغنموا ما بقي من شهر رمضان ثم بعد ذلك نذكركم بما افترض الله عَزَّوَجَلَّ عليكم من زكاة أموالكم وقد تقدم ذلك في الخطبة المتقدمة ثم بعد ذلك ما يتعلق بزكاة الفطر وهي صاع من شعير أو من تمر أو من زبيب على الفقراء والمساكين من المسلمين فمن كان عنده قوت يومه وجب أن يخرج زكاة الفطر وإذا طالبت الدولة بزكاة الفطر مالاً وجب عليك أن تعطيها وأن تسمع وتطيع لأنها دولة مسلمة لكن لا يجزئ ذلك فبقي حق الفقير ذمة في عنقك فالسُّنَّة أن تخرج زكاة الفطر ليلة العيد لكن ربما حصل التفريط ربما حصل التساهل ربما لم تتمكن يحصل لك ظروف ليلة العيد فلا بأس أن تخرجها قبل العيد بأسبوع أو بأربعة أيام تخرجها إلى الفقير الذي ترى أنه فقير فعلى كل واحد صاع والمراد بالصاع

أربعة أمداد على كل فرد من أفراد الأسرة الصغير والكبير[١] ما عدا الجنين الذي في بطن أمه فليس عليه شيء من زكاة الفطر[٢] هذه تدفع للمسلمين ليغنيهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم كذلك نشفع للفقراء والأرامل والأيتام فمن كان يعلم أسرة فقراء وأيتام وأرامل فليعطيهم مما أعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا بأس أن تعطيهم في هذا الشهر اعطهم من الغذاء إعطهم من الدواء إعطهم من الكساء .

فيا مسلم :

لو تعلم ما لك عند الله عَزَّوَجَلَّ من الأجر والثواب ومن الرضا والرضوان يوم أن تدخل سروراً على قلب أسرة منكسرة فتجبر كسرهم في هذا الشهر المبارك تتأمل كم فيها من الأطفال ثلاثة أو أقل أو أكثر ثم تعطيهم كسوة العيد كم يكون لك من الأجر حينما تدخل السرور على قلب هؤلاء أتظن أن ذلك يضيع عند الله كلا وربي لا يضيع منه شيئاً قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الكهف ٣٠] فالله لا يضيع أجرك أبداً فبما أنك تفرح أولادك تكسوهم كسوة العيد فهناك من المسلمين من هو محروم ثم أيضاً نتذكر بهذه المناسبة حالة إخواننا الذين يشاطرون العقيدة ويشاطروننا رحم الإخاء إخواننا في أرض فلسطين إخواننا في أرض العراق في كثير من بلاد المسلمين ما الذي قدمناه لهؤلاء بقي أن نرفع أكف الضراعة وأن ندعو لهم في هذه الليالي والأيام أن يدحر الله عَزَّوَجَلَّ عدوهم من الأمريكان ومن اليهود الغاصبين ومن دول الكفر التي اتحدت على ضربتهم فهذه أمانة في أعناقكم يا معاشر المسلمين إذا كنتم لا تستطيعون أن تدعموهم

---

(١) لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في البخاري(١٤٣٢، ومواضع) ومسلم(٩٨٤) قال: فرض رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة

(٢) ولكن يستحب إخراجها عنه لفعل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالمال وبالرجال وبالعتاد فبقي عليكم دعوة صالحة في جنح الليل ترفعونها إلى قبلة السماء .

أتهـــزأ بـالـدعـــاء وتـزدريـــه ولا تـــدري بـما صنع الـدعـاء

جـنـاح الليل لا يبقي ولكن لـــه أمـــد وللأمـــد انقـضـاء

معاشر المسلمين :

اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتوبوا إلى ربكم في هذا الشهر الكريم فلا زالت أبواب الجنة مفتحة وأبواب النار مغلقة كلها صفدت الشياطين نادى منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر فمن فاته التوبة في رمضان فليعلم أنه قرين للشيطان وقد اتخذه خلاً وندا ووليا فمن كان لا يستطيع أن يرغم الشيطان وقد انهزم في رمضان فهو في غير رمضان أجبن وأحقر من أن يتوب .

فرصة يا عباد الله أن ترضوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذا الشهر الكريم .

أسأل الله أن يثيبنا وإياكم ، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته ، اللهم خذ بأيدينا إلى كل خير وكف عنا كل ضير يا رب العالمين ، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الصائمين القائمين ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها يا رب العالمين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل

ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا اللهم اقبل صيامنا وصلاتنا اللهم اقبل أعمالنا كلها اللهم وفقنا لإتمام شهر رمضان ونحن بصحة وعافية يا أرحم الراحمين اللهم اجعلنا نغتنم ما بقي من الصيام والقيام ووفقنا لقيام ليلة القدر اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عباد الله :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل٩٠].

اذكروا الله يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون وأقم الصلاة .

١٠ حق الوالدين

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واشكروه وراقبوه فإنه ما بكم من نعمة إلَّا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي أسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة وكم لله علينا من آلاء ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم٣٤].

فمن الذي خلقك يا عبد الله ومن الذي وهب لك الحياة من الذي جعل لك الأرض مهاداً وجعل السماء لك لحافاً ؟ من الذي أخرج لك من بركات الأرض وأنزل عليك من بركات السماء ؟ إنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإذا كنت عالماً بذلك فوجب عليك أن تشكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شكر القلب واللسان وشكر الجوارح في كل لحظة وآن

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فإن من شكر الله ازدادت نعمته وكثرت وبارك الله له فيها وما من أحد جحد نعم الله إلَّا هدد بالسلب فالنعم إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت وتولت قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم٧] .

فاشكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على نعمة الخلق والإيجاد وعلى ما أنعم عليك به من الصحة والإيمان ثم بعد حق الله يكون الشكر للوالدين لما كان لهم من الإيلاد والتربية والتضحية فلقد قرن الله شكره بشكر الوالدين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ

أَشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[لقمان١٤].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء:٢٣ـ ٢٤].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء ٣٦] .

فإنه لا يمكن أن يوجد عاقلٌ على وجه الأرض يجهل حق الوالدين سواء كان مؤمناً أم كافراً فما دام أنه عاقل فهو لا شك أنه يدرك ما بذله الوالدان في مجال التربية حتى صار طفلاً ثم شاباً يافعاً فقلب صفحات التاريخ وتأمل عبد الله وقد حملت بك أمك ثم قاست اللأواء تسعة شهور ثم ما كان بعد ذلك من ضرب المخاض من الآلام هذا رجل من الصالحين يحمل أمه من بيته ثم يذهب بها إلى الحرم المكي ليطوف بها ثم يعود بها راجعاً وهي على عنقه فلقي عبد الله بن عمر قال : حملت أمي تسعة أشهر حججت بها على ظهري فهل ترى أني قد جازيتها قال له ابن عمر : كلا والله ولا بزفرة واحدة من زفراتها[1].

وتأمل عبد الله في حق الوالد وقد خرج يضرب الفيافي والقفار ويتحمل كل المشاق في إيجاد اللقمة من الأكل والشرب من أجل أن تسعد فهذا يدل على عظم المقاساة فكان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أوجب على الأولاد العطف على

(١) صحيح: والقصة رواه البخاري في الأدب المنفرد(١١) والبيهقي في الشعب(٧٩٢٦) عن بردة أنه شهد بن عمر ورجلٌ يمانيٌ يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول إني لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر ثم قال يا بن عمر أترانى جزيتها قال لا ولا بزفرة واحدة ثم طاف بن عمر فأتى المقام فصلى ركعتين ثم قال يا بن أبى موسى إن كل ركعتين تكفران ما أمامها. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد(١١) .

الوالدين وأن يعلموا حقهما وما قاما به من الخير تلقاء الأبناء وإنما جزاء الإحسان إحسانٌ .

من يصنع الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

وإنما الجزاء من جنس العمل ، امتدح الله بعض النبيين لما كان لهم من الإهتمام نحو الآباء فهذا أول نبي إلى أهل الأرض نوح عليه الصلاة والسلام رفع الله كلمة قالها يوماً من الدهر قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حاكياً على لسان نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾[نوح٢٨].

ويذكر الله عبده يحي فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾[مريم: ١٢ـ ١٤].

ويقول عن عيسى بن مريم -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[مريم: ٣٠ـ ٣٢].

وكان عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن - وهم الناس الذين دخلوا من اليمن لنصرة دين الإسلام - سألهم أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر ؟ قال نعم قال من مراد ثم من قرن ؟ قال نعم قال فكان بك برص فبرأت منه إلَّا موضع درهم ؟ قال نعم قال لك والدة ؟ قال نعم قال سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: { يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان

به برص فبرأ منه إلَّا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له فقال له عمر أين تريد؟ قال الكوفة قال ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال أكون في غبراء الناس أحب إلي }[١]

ويقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم }[٢]. فهذا العبد الصالح بلغ هذه المنزلة الرفيعة بأي أمر كان يقوم به ؟ كان باراً بأمه حتى إن كتب السير والتأريخ لتجمع على مثل هذا فنال الخيرية ومدح على لسان سيد البرية محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بما قام به من هذا العمل الجليل ويأتي رجل إلى رسول الله فيقول: { يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ ، قال: أمك. قال ثم من ؟ قال: ثم أمك . قال ثم من ؟ قال: ثم أمك. قال ثم من ؟ قال: ثم أبوك [٣] ثم أدناك أدناك }[٤]. فكان للأم هذه المنزلة الرفيعة ، ويأتي رجل يريد الهجرة لينتقل من مكة إلى المدينة قال: يا رسول الله جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان قال: {ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما }[٥].

ويأتي رجل يريد الجهاد في سبيل الله ليحظى بالشهادة ، ليدخل جنة عرضها السماوات والأرض [٦]. وليتزوج باثنتين وسبعين من الحور

---

(١) القصة في صحيح مسلم(٢٥٤٢/ ٢٢٥) عن أسير بن جابر.
(٢) رواه مسلم(٢٥٤٢/ ٢٢٤) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) متفق عليه: البخاري(٥٦٢٦) ومسلم(٢٥٤٨/ ١) عن ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
(٤) رواية مسلم(٢٥٤٨/ ٢)
(٥) صحيح: رواه أحمد(٦٤٩٠) وأبو داود(٢٥٢٨) والنسائي(٤١٦٣) وابن حبان(٤١٩، ٤٢٣) والبخاري في الادب المفرد(١٣، ١٩).عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الالباني في: صحيح الترغيب(٢٤٨١).
(٦) كما قال الله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾[آل عمران١٣٣]

العين[١] فلا يأذن له الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بذلك لماذا ؟.

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: { أقبل رجل إلى نبي الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله قال فهل من والديك أحد حي ؟ قال نعم بل كلاهما قال فتبتغي الأجر من الله؟ قال نعم قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما }[٢].

فهذه نصوصٌ قوية تدل على عناية الله وعناية رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بحق الأبوين مهما كان عند الأب من الإنحراف أو من الزيغ والضلال فليس ذلك بمسوغ أن يعق الأبناء آباءهم فإن من الناس من يعق أباه باعتبار أنه حرمه من بعض الشيء أو أنه قاسياً أو لسوء العلاقة بين الوالدين فتعصب لأمه مثلاً وما كان له ذلك أبداً فالأبوان تاجاً على الرأس لا يجوز أن يخفضا ولا أن ينزلا ولا أن يغلظا لهما في المقال قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء:٢٣ـ ٢٤].

معاشر المسلمين :

إن من الأبناء من إذا تزوج ووجد الجديد نسي الأبوين إن من الأبناء من

---

(١) لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور [العين] ويشفع في سبعين من أقاربه } رواه أحمد(١٧٢٢١) والترمذي(١٦٦٣) وابن ماجة(٢٧٩٩) عن المقدام بن معد يكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في: المشكاة(٣٨٣٤) وصحيح الترغيب(١٣٧٥). قال الألباني: الخصال المذكورات سبع إلّا أن يجعل الاجارة والأمن من الفزع واحدة.

(٢) رواه مسلم(٢٥٤٩/ ٦) واتفق عليه: البخاري(٢٨٤٢، ٥٦٢٧) ومسلم(٢٥٤٩/ ٥) بلفظ: {أن رجلا جاء إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاستأذنه في الجهاد فقال (أحي والداك) . قال نعم قال (ففيهما فجاهد }.

يعطي الرفقة والصحاب من البشاشة ما لا يعطيه للأبوين فإن كان عند الأب أو الأم فعبوسٌ ضجر فإن تكلم تكلم من الخيشوم أو لا يريد أن يتكلم أصلاً ، لكنه إن وجد الرفاق والصحاب هش لهم كثيراً حتى إن بعض الناس ربما أقام وليمة عقيقة أو ضيافة فيحرم الأب أو لا يدعيه للحضور لكنه يتشرف برفاقه عياذاً بالله من هذا العقوق فكان لزاماً على الأبناء أن يعرفوا حق الآباء ، أن يعرفوا أنه حق شرعي ولقد حذر الله وحذر رسول الله من عقوق الوالدين قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { ألا أنبئكم بأكبر الكبائر. ثلاثا قالوا بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وقول الزور وشهادة الزور.

فما زال يكررها حتى قلنا ليته يسكت}(١).

فبِرك لأبيك حفظ لذريتك وبركة في مالك يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :{ من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره؛ فليصل رحمه }(٢).

و{ خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال له مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى يا رب قال فهو لك . قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (فاقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ

(١) متفق عليه: البخاري(٢٥١١، ٥٦٣١، ٥٩١٨، ٦٥٢١) ومسلم(٨٧/ ١٤٣) عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: البخاري(١٩٦١، ٥٦٤٠) ومسلم(٢٥٥٧) عن انس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ورواه البخاري برقم(٥٦٣٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(يبسط) بسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل البركة فيه .(ينسأ له في أثره) يمد له في عمره ويؤخر أجله ويخلد ذكره. (فليصل رحمه) فليبر بأقاربه وليحسن إليهم.

﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ [محمد:٢٢ـ٢٤] }[1].

فهل بعد هذا يا عباد الله نقرب الأبعدين على الأقربين ونهش للآخرين دون أن نهش للوالدين ، صحيح أن بعض الآباء عندهم من الحمق ومن الجهل دليل على قلة الفقه والعلم لكن ليس ذلك بمسوغ مهما كان لكن على الآباء أن يتقوا الله في أبنائهم وأن يدعو الله لهم بالصلاح والعافية وأن يسألوا لهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الثبات.

هذا رجل من الصالحين كان قائماً في الصلاة يصلي لله رب العالمين فبينما هو قائم يصلي نافلة فتأتي أمه العجوز فتقول له : يا جريج تريد أن يجيبها فيقول : يارب أمي وصلاتي فيدع أمه وشأنها ثم يقبل على الصلاة في ثلاثة أيام تناديه أمه وهو يقدم صلاة النافلة على بره بأمه وكان الأولى أن يخرج من الصلاة ليجيب أمه لأن هذا واجب والصلاة نافلة فغضبت أمه يوماً وقالت : يا جريج لا أماتك الله حتى تنظر في وجوه المومسات يعني في وجوه الزانيات فحصلت قصة لجريج اتهم بالزنا وكان منها براء لكن الله أراد أن يريه درساً فأخذ إلى السجن ومرّ بالمومسات نظر إليهن فتذكر خطيئته[2].

وهذا رجل من العلماء الكبار يقال له حيوة بن شريح[3] كان العلماء الكبار

---

(١) متفق عليه: البخاري(٤٥٥٢، ٥٦٤١، ٥٦٤٢، ٧٠٦٣) ومسلم(٢٥٥٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) القصة في الصحيحين: البخاري(١١٤٨، ٢٣٥٠، ٣٢٥٣، ٣٢٧٩) ومسلم(٢٥٥٠) ومروره بالمومسات في السجن عند البخاري في الأدب المفرد(٣٣) والقصة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حيوة بن شريح(٠٠٠ - ١٥٨ هـ = ٠٠٠ - ٧٧٥ م) حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك التجيبي الكندي المصري، أبو زرعة: الإمام الحافظ، شيخ الديار المصرية. كان شريفا عابدا، ثقة في الحديث. من كلامه لبعض الولاة: لا تخلين بلدنا من السلاح فنحن بين قبطي لا ندري متى ينقض عهده، ورومي لا ندري متى يحل ساحتنا، وبربري لا ندري متى يثور، وحبشي لا ندري متى يغشانا. الأعلام للزركلي(٢/ ٢٩١).

يحضرون عند ركبته ليأخذون من الفقه ومن الحديث ومن التفسير ومن أيام العرب يحضرون ويقصدونه من كل مكان فبينما هو في الدرس تأتي أمه على رؤوس هؤلاء الطلاب الكبار فتقول له : يا حيوة فيقول : لبيك يا أماه فتقول له : اذهب فأطعم الدجاج فيدع الطلاب ويخرج ليلبي طلب أمه فكان بعض الطلاب يتضايق من هذه الأم العجوز التي تخرج هذه اللؤلوة من هذه الحلقة ومن هذه الروضة العظيمة والقلعة المنيفة فيخرج من الدرس ليجيب أمه فقال لهم مرة : إن تدريسي لكم نافلة وطاعتي لأمي واجبة.

هكذا كان سلفنا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبهذا كان لهم القدح المعلى في جميع الأخلاق.

وهذا رجلٌ من الصالحين خرج في طلب المرعى فما رجع إلَّا وقد نام أبواه نام أبوه الكبير وأمه العجوز فحلب لهما شراباً من الإبل أو الغنم أو البقر من أجل أن يسقيهما فجاء وقد ناما فكره أن يوقظهما فوضع القدح على يده ولم يسقِ قبلهما ابناً ولا زوجة ولا أحداً من رعيته ولا من أقاربه حتى استيقظ الأبوان فشرب اللبن أو الحليب فدعا لهذا الابن فوقع الإبن مرة في كربة وذلك أنه نزل في غارٍ فانطبقت صخرة على باب الغار فقام الابن رافعاً أكف الضراعة ليتوسل بهذا العمل الصالح فقال { اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالًا ـ بمعنى أنه إذا حلب الشاة أو البقرة أو الناقة لا يقدم الأبناء ولا الزوجة ولا الرقيق على الأب والأم هذا عمل صالح عظيم ـ فنأى بي طلب الشجر يوماً ـ يعني ذهب يرعى مكاناً بعيد ـ فأتيتهما وقد ناما فحلبت لهما غبوقهما فانتظرت استيقاظهما والصبية يتضاغون من الجوع تحت قدمي اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن

فيه فانفرجت الصخرة ...}[١] ببركة بره لأبيه وأمه وخرجوا يمشون فبرك لأبيك أمان لك من الضياع وزيادة لك في المال وحفظ لك من الآفات كيف لا ؟ وأنت تؤدي حقاً من أعظم الحقوق فهناك بعض الأبناء ربما يقدم زوجته ربما يأتي بالشيء فلا يعلم به أبوه ولا تعلم به أمه أهم شيء أن تعلم بذلك حبيبة قلبه وسواد عينه وهكذا بعضهم ربما كما أسلفت رفقاؤه أو أبناؤه .

فيا أيها المسلمون : هذه الشعيرة العظيمة يجب أن تعود إلى أسرنا حتى يصلح الله أحوالنا وحتى تجاب دعواتنا وحتى يرضى عنا ربنا لأن نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: { رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخطهما }[٢].

هناك من الأبناء من يكون بعيداً عن أبيه وأمه لكنه يطمئن عليهما بين الحين والآخر وإذا جاء من السفر يبدأ أولاً باحثاً عن أبيه وعن أمه إنه يرتفع بهذا في عين زوجته وفي عين رفقائه لأن الجزاء من جنس العمل إن عمل الأب هذا انتظرت الزوجة من أبنائها ذلك وهكذا الجزاء من جنس العمل .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا ما قلته لكم ، وأستغفر الله لي ولكم ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم ، إنه هو الغفور الرحيم .

(١) القصة في: البخاري(٢١٠٢، ٢١٥٢، ٢٢٠٨، ٣٢٧٨، ٥٦٢٩) ومسلم(٢٧٤٣) بألفاظ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) صحيح: رواه الترمذي في البر باب الفضل في رضا الوالدين(١٨٩٩) مرفوعا وموقوفا وقال: وهذا -الموقوف- أصح وأخرجه ابن حبان برقم (٤٢٩) والحاكم(٧٢٤٩) وصححه، والبزار(٢٣٩٤) والبيهقي في: الشعب(٧٨٣٠) .
عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٣٥٠٦، ٣٥٠٧). وانظر: الصحيحة(٥١٦) .

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

عباد اللّه :

اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حق التقوى والتمسوا رضاه واعلموا أنكم في شهرٍ مبارك فسلوا الله أن يبارك لكم في شعبان وأن يبلغكم رمضان هذا الشهر الذي يغفل عنه الكثير من المسلمين .

عباد اللّه :

ما هي إلَّا أيام قلائل ثم يفد على المسلمين ضيف عزيز لطالما اشتاقت نفوس الصالحين نفوس الصائمين المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها فهيؤوا أنفسكم لرمضان فبماذا نتهيأ ؟ بأي شيء نتهيأ لاستقبال ضيفنا ؟ إن أعظم شيء نتهيأ له هو الإيمان بالله وإخبار هذه النفس بأن الصوم يكون سبباً لمغفرة الذنوب { من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه }[1].

فاستعدوا بالنية الصالحة استعدوا بالنية الصالحة واستعدوا بالفقه لأحكام الصيام فلا ينبغي للمسلم أن يجهل أمراً معلوماً من الدين بالضرورة إنه ركن من أركان الإسلام[2] فتفقهوا يا رعاكم الله وهكذا أيضاً تقربوا إلى الله بترك الذنوب والمعاصي والسيئات حتى يدخل رمضان وقد غفرت الذنوب ولا

(١) متفق عليه: البخاري(٣٨، ١٨٠٢، ١٩١٠) ومسلم(٧٦٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) رواه البخاري:(٨، ٤٢٤٣) ومسلم:(١٦) عن عبد الله بن عمر

يكون كما قال نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له}[١] فهناك من الناس من لا يستعد لمثل هذا فيدخل رمضان وهو لا زال على إعراض ويخرج رمضان وهو لا زال على إعراض يا معاشر المسلمين فكأنها لحظة عشناها لقد صمنا رمضان وها هو يداهمنا رمضان مرة ثانية لكن طالعوا في صفحات التاريخ كم حصل من التغيرات فتأملوا إلى التغيرات العالمية وما حصل فيها هذا دليل على زوال هذه الدنيا وانقضائها فكيف يستقبل رمضان إخواننا في أرض العراق أو على أرض فلسطين أو في الأفغان في كثير من عالمنا الإسلامي إنها مأساة مرت بالمسلمين وهكذا ما حصل من حالة وفاة في كثير من بلدان الإسلام فعلى سبيل المثال حوادث المرور في عام أو أقل من عام في بلدنا أكثر من ثلاث آلاف حالة وفاة بسبب حوادث المرور وهناك أيضاً حالات كثيرة وربما كان هذا الرصد غير صحيح فهناك حالات كثيرة فاحمدوا الله أن أخركم لتصوموا رمضان مرة ثانية فوطنوا أنفسكم على التوبة على الإقلاع على العزم على عدم العودة إلى الذنب مرة .

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب ... حتى عصا ربه في شهر شعبان

لقد أضلك شهر الصوم بعدهما ... فلا تصيره أيضاً شهر عصيان

واتلو الكتاب وسبح فيه مجتهداً ... فإنه شهر تسبيحٍ وقرآن

كم كنت تعرف ممن صام فيسلف ... من بين أهل وإخوان وجيران

---

(١) صحيح: رواه أحمد(٧٤٤٤) والترمذي(٣٥٤٥) وابن خزيمة(١٨٨٨) وابن حبان(٩٠٨) والبخاري في الأدب المفرد(٦٤٦) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٣٥١٠) والمشكاة(٩٢٧) وصحيح الترغيب(١٦٨٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أفناهم الموت واستبقاك بعدهمو حيا فما أقرب القاصي من الداني[١]

فتوبة إلى الله وعودة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ احمدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أن أخركم لتصوموا رمضان وإن الأعمار بيد الله وتقلبات الليالي والأيام كفيلة بأن تري الإنسان مصرعه وأن هذه الدنيا لا تدوم لأحدٍ أبداً .

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان [٢]

عباد اللّه :

هذا أمرٌ يجب أن يتفطن له وهو أن يكون استقبال رمضان بمثل هذا وذلك بالاستعداد التام وتوطين النفس على الطاعة ثم بالتوبة التوبة والرجوع الرجوع والنية الصحيحة لربما فقد الواحد منا قبل أن يبلغ شهر رمضان وكم قد فجعنا بأناس وطنوا أنفسهم للصيام لكنهم بعد ذلك لم يحظوا برمضان فإنها آجال ومقادير بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

أيها المسلمون :

وهنا تنبيه جاءنا بعض مدراء المدارس ويقول : كان من الواجب أن يكون تسجيل الطلاب قبل أسبوعين فيقول : نحن في المدرسة منذُ أسبوعين فما جاءنا الطلاب ولا جاءتنا الطالبات ولا جاءنا الآباء .

أيها المسلمون :

إن كثيراً من العالم نفر في العطلة الصيفية إلى أماكن بعيدة لكنهم كانوا

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (٢٧٩) .

(٢) هذان البيتان لأبي البقاء الرندي ضمن قصيدة في رثاء الأندلس تدمي القلب وتبكي العين.

يعلمون فترة العطلة ثم يعرفون زمن ابتداء الدراسة فهبوا راجعين في شوقٍ وسرعة من أجل أن يباشروا دوامهم ومن أجل أن يبدءوا في دراسة أبنائهم لكن لا حول ولا قوة إلَّا بالله لا زلنا في جهل وتخلف فينبغي للآباء أن يحرصوا على تسجيل أبنائهم وهكذا بناتهم وكذلك أيضاً يحرصوا على تعليمهم من بداية العام كفانا غشاً وكفانا بلاءً وكفانا جهلاً .

أيها المسلمون :

كذلك أيضاً مما ذكر لنا بعض إخواننا أننا نكون في خطبة الجمعة وهناك من يتكلم وقت ارتقاء الخطيب أو أن يمدّ بالمصحف أو أن يسلم على صاحبه ومثل هذه تبطل الجمعة .

تنبيه آخر :

وهو أن بعض الناس يأتي متأخراً إلى المسجد شغله القات أو شغله النوم على أن يوم الجمعة له برنامج خاص فلم لا يكون في المقدمة ؟ لما دائماً نكون متأخرين ثم هؤلاء آخر من يأتي وأول من يطرد من المسجد طرداً فالله أعلم يحافظون على السُّنَّة على أن من السُّنَّة أن تصلي بعد الجمعة أربعاً في المسجد أو أن تصلي ركعتين في بيتك فأقول :

أيها المسلمون :

متى نفقه ديننا متى نتعلم شريعتنا ؟ إن اليهود والنصارى يحرصون على فقه كتبهم المحرفة ونحن معاشر المسلمين آخر أمة وأفضل أمة ونبينا سيد الأولين والآخرين ونجهل سنته أعوذ بالله على أن الواحد منا فقيه في باب الدنيا لكنه في باب الآخرة وفي باب الدين والعلم تجده صفراً ولا حول ولا قوة إلَّا بالله فاستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يس:٦٠ـ ٦٤] إلى آخر الآيات من آخر سورة يس) .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته اللهم أعطنا ولا تحرمنا اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم إنا نسألك براً بآبائنا وأمهاتنا ونعوذ بك من عقوق أبنائنا وبناتنا ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأقم الصلاة .

١١ خطوات تحصيل السعادة

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

هناك سؤال يجب على كل مسلم ومسلمة أن يطرحه على نفسه ليستلم الجواب لا أنه يضع السؤال ثم بعد ذلك يتساهل بالجواب فما من سؤال إلَّا وهو يحتاج إلى الجواب ولا بد أن يكون الجواب على الصواب وإلا كان ذلك من الغش { ومن غشنا فليس منا }[1] ، فكيف إذا كنت غشاشاً لنفسك فإنها من أعظم المصائب .

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

هذا السؤال هو أن يخاطب كل واحدٍ منا نفسه هل هو سعيد في هذه الحياة أم أنه عن السعادة بمعزلٍ ؟ وفي هذه الوقفة أبين هذا الأمر ثم أضع الأسباب والعلاج مستمداً ذلك من الله الواحد القهار مبتغياً من الله الأجر والثواب ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يس٢١] .

معاشر المؤمنين :

إن كثيراً من الناس قد يكون ذا ثروة هائلة لكنه ليس بسعيد وقد يكون ذا شهرة كبيرة لكنه أيضاً ليس بسعيد وقد يكون ذا علاقات اجتماعية رائعة لكنه لا يجد للسعادة باباً وقد يكون ذا أسرة تحبه ويحبهم لكنه أيضاً ليس بسعيد وقد يكون ذا أسفار ورحلات وتجوال يمتطي آخر الموديلات لكنه يشعر بالضجر والإكتئاب ودائماً في هم وقلق واضطراب قد يكون كذلك ذا منصب مرموق لكنه لم يجد في ذلك شفاءً ودواءً وقد يكون كثير الضحك والمزاح يضحك الناس في المجالس ويتناقل الناس أخباره في هذا الباب في باب الضحك

(١) رواه مسلم(١٠١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمزح واللطائف والنكات لكنه يعاني من قلق واضطراب داخلي إذن ما هي السعادة وكيف نحققها ؟ .

فالسعادة شيء نفسي والسعادة قوة داخلية تشع في النفس سكينة وطمأنينة والسعادة مدد إلهي يضفي على النفس بهجة وسروراً والسعادة صفاءٌ قلبي ونقاء وجداني وجمال روحي ، السعادة شعور عميق بالرضا والقناعة السعادة ليست سلعة معروضة في الأسواق تباع وتشترى بالأموال فيشتريها الأغنياء ويحرم منها الفقراء لكنها لكل من سعى لها من واهبها المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر ٢١].

السعادة هي راحة نفسيه السعادة في أن تدخل السرور على قلوب الآخرين السعادة في تعديل التفكير السلبي إلى التفكير الإيجابي المثمر هذه بعض معاني السعادة وبعض تعريفاتها وهذا من كلام المجربين من أقوال العلماء والفقهاء ومدراء الشركات من العرب وغيرهم.

لقب بعضهم نفسه بالمحروم على كثرة ما عنده من الثراء والشهرة العريضة فهو أمير وابن خليفة لكنه يتلقب باسم المحروم على أن كل شيء من متع الدنيا لديه لكنه لم يجد للسعادة طعماً ولا شعوراً ولا راحة.

أما الخطوات العملية لتحقيق السعادة فاسمع يا من تريد أن تكون سعيداً في هذه الدنيا وسعيداً أيضاً في الآخرة افتح قلبك عبد الله وافتح أذنيك وكن مركزاً مع العبارة عسى الله أن ينفعك بعبارة يصلح الله بها أحوالك في الدنيا والأخرى.

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمسكا

١ـ الخطوة الأولى لتحقيق السعادة : الإيمان بالله:

فلا حياة لمن لا إيمان له فحياة من غير إيمان هي حياة ادعاء
والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

قال الشاعر:

إذا الإيمان ضاع فلا حياة ولا دنيا لمن لم يحي ديناً
ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً

وأردت بهذا الأمر لأن كل سعادة المسلم مرتكزة عليه وهذا بشهادة رب العالمين فكلامه حق ولازم الحق حق أما أقوال البشر فيعتريها النقص يعتريها أيضاً القصور ويدخل عليها عيوب فأردت اقتناص ذلك من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل٩٧] .

٢ـ وأما الخطوة الثانية وإن كانت هي مكملة للخطوة الأولى فهو العمل الصالح: فالإيمان يدعو إلى العمل الصالح وليس لنا من دليل إلَّا ما تقدم في الآية الأولى وهي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل٩٧].

فلا بد أن يكون تلازم بين الإيمان والعمل الصالح فيا من تهتف بالسعادة بيديك القرار لكن هذا القرار يحتاج إلى شجاعة وإقدام فلا يكون الواحد

بمثابة البعير يشتكي العطش وهو يحمل خزانات من الماء على ظهره

ومـن العجائب والعجائب جمة قـرب الشفاء ومـا إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والمـــاء فــوق ظـهـورهـا محمول

٣ـ ومن الركائز المهمة والخطوات السليمة التوحيد الخالص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتحقيق العبودية المطلقة: وإن كان هذا من ترادف المعاني لكن لا بد من انفصال أمر التوحيد لأن به تشرح الصدور وتتنور العقول وترتاح النفوس وتطمئن القلوب حينما تكون عبداً موحداً فلا ترجو إلَّا الله ولا تخاف إلَّا من الله ولا تتوكل إلَّا على الله فالهم كله في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

فليتك تحلو والحيـاة مريـــرة وليتك تـرضى والأنـــام غضاب

وليت الـذي بيني وبينك عامر وبيني وبيـن العالميـن خـراب

إذا صح منك الـود فالكل هين وكـل الـذي فـوق الـتراب تراب

٤ـ الخطوة الرابعة : الإيمان بالقضاء والقدر وبما أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من المصائب والإبتلاءات: ففوض الأمر وسلم سلم لأقدار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا تنزعج أبداً .

دع المـقـاديـر تجـري في أعنتها ولا تبيتـن إلَّا خالـي البـال

ما بين ومضة عين وانتباهتها يـغـير الله مـن حـــال إلى حـال

وما أكثر الإبتلاءات والمصائب فلا بد أن تحقق أصلاً من أصول الإيمان وهو الإيمان بالقضاء والقدر فلا يكون إيمان في القلوب حتى يظهر آثاره عند نزول هذه الأقدار سواء كان ذلك ابتلاءات في الأموال أو في الأهل والأولاد أو عبارات نابية من أشخاص أو أي شيء من الكوارث التي أحيطت بك فاعلم أن ذلك بتقدير من الله فكن راضياً مسلماً لتدفع عن نفسك القلق والإكتئاب ولتدخل حصانة السعادة الإلهية فكم من رجل أخذته لوعة ماله حينما فقد فوفى ذلك بنفسه وكم من رجل قد تعلق بحبيب أو حبيبة ففارقه فأصيب بالجنون أو على أقل الأحوال أن يكون مهستراً فلو كان الإيمان بالقضاء حاصل عنده في ذلك لما حصل له مثل هذا وقد قال عليه الصلاة والسلام وهو يلقن هذه الأمة درساً: { أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما }[1] .

---

(١) حسن موقوف وصحيح مرفوع: جاء من حديث أبي هريرة وابن عمرو وابن عمر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين:
١ـ حديث أبى هريرة : أخرجه الترمذى (٤/ ٣٦٠ ، رقم ١٩٩٧) ، وقال : غريب ، وقد روى هذا الحديث عن على عن النبى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (والصحيح عن على موقوف . وأخرجه الطبرى فى تهذيب الآثار (مسند على ص ٢٨٥ ، رقم ٤٤٣) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥/ ٢٦٠ ، رقم ٦٥٩٥).
٢ـ حديث ابن عمرو : أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٢١٤ ، رقم ٥١٢٠) . قال الهيثمى (٨/ ٨٨) : فيه محمد بن كثير ، وهو ضعيف .
٣ـ حديث ابن عمر : أخرجه الطبرانى في الأوسط(٥/ ٢١٣ رقم ٥١١٩) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/ ٨٨): فيه جميل بن زيد ، وهو ضعيف . وتمام (٢/ ٢٠٩ ، رقم ١٥٤٦) والقضاعى (١/ ٤٣٠ ، رقم ٧٣٩).
٤ـ حديث على المرفوع : أخرجه الطبرى فى تهذيب الآثار (مسند على ص ٢٨٣ ، رقم ٤٣٨) والدارقطنى فى الأفراد (كما فى أطراف ابن طاهر ١/ ١٨٧، رقم ٢٥٤)،وتمام (٢/ ٢٠٦ ، رقم ١٥٣٩)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥/ ٢٦٠، رقم ٦٥٩٦) . والضياء (٢/ ٥٦ ، رقم ٤٣٦).
٥ـ حديث على الموقوف : أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ٢٦٠ ، رقم ٣٥٨٧٦) ، والبخارى فى الأدب (١/ ٤٤٧ ، رقم ١٣٢١) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥/ ٢٦٠ ، رقم ٦٥٩٣) ، والطبرى فى تهذيب الآثار (مسند على ص ٢٨٤ رقم ٤٣٨) . قال الترمذى (٤/ ٣٦٠) : الصحيح عن على موقوف .
وصححه الألباني في صحيح الجامع(١٧٨) وغاية المرام (٤٧٢) وقال: وخلاصته أن الحديث من طريق ابن سيرين صحيح مرفوعا بلا ريب والله أعلم.

٥ـ الخطوة الخامسة : وهي مرادفة للرابعة الصبر لا بد أن يكون لك رداء وأنت تحتاجه على مدار اليوم والليلة وقد علق الله فلاح البرية بأسرها بأربعة أمور فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[العصر:١ـ ٣].

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ هذا على وجه العموم حكم الله على بني الإنسان بخسارة عامة شاملة ثم حصل استثناء لمن حقق أربعة أمور قال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ والصبر مأخوذ من الصبر وهو الأمر المر الذي لا يستساغ أبداً لكنه في عاقبة الأمر يكون أمراً حميداً .

الصبر مثل اسمه مـرّ مذاقته لكن عواقبه أحـلى من العسل

يقول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { والصبر ضياء }(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: { عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له }(٢).

أما الخطوة السادسة لتحقيق السعادة : التخلص من القلق النفسي الذي يؤدي إلى الإكتئاب فحاول عبد الله اكتشاف ذلك القلق ثم عالجه بحزم وعزم وقوة وشجاعة وإقدام مهما كلفك من التكاليف فلا بد من راحة النفس فهذا أمر يسهل عليك في بدايته أن تتخلص من القلق وأسباب القلق وأعظم وسيلة

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٢٣) وأحمد(٢٢٩٥٣) والترمذي(٣٥١٧) والنسائي(٢٤٣٧) وابن ماجة(٢٨٠) عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه مسلم(٢٩٩٩) عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

للإستعانة ما ذكره المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد٢٨] وربما كنت تذكر الله بداية فتجد انصرافاً من النفس وعدم اتفاق بين القلب واللسان لكنه بالمداومة يسهل الأمر ويتوسع ما كان ضيقاً .

ولـرب نـازلـة يضيق بهـا الفتى ذرعـاً وعند الله منها المخرج

نزلت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

فالذكر عباد الله تطمئن به القلوب وتنشرح به الصدور ويتميز فيه كثير من الأمور لمن كان صادقاً في هذا الذكر فلا يكون آخر التجارب ولا يكون تجربة في حدّ ذاته لكنه هو الحلّ الوحيد ليكون لك مجلس ذكرٍ ليكون لك مجلساً تصلي فيه على رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- كما وعدنا حينما قال لأبي بن كعب وقد أخبره أو وافقه على الإكثار من ذكره قال : { إذاً يكفى همك ويغفرلك ذنبك }[1].

إذا مرضنا تـداويـنـا بذكركم ونـترك الذكر أحياناً فننتكسُ

ومن أعظم خطوات السعادة أن تعرف حقيقة هذه الدنيا وأنها مليئة بالأشواك والتنغيصات لأنها جبلت على مثل هذا ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[آل عمران١٨٥] فلا تعظم ما حقر ولا تعطيها أكبر من حجمها فهي كما قيل:

---

(١) حسن صحيح: رواه الترمذي(٢٤٥٧) وغيره وصححه الألباني في: صحيح الترغيب(١٦٧٠) وفضل الصلاة على النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-(١٤)

طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذار والأكدار

فالناس في هذه الدنيا ما بين غنى وفقر وجوع وشبع وعطش وارتواء وحياةٍ وموت وراحة واكتئاب وهكذا أمر هذه الدنيا ثم بعد ذلك الموت وليس هو آخر ما يكون فهناك حسابٌ وعقاب وسؤال وجواب فهذه الدنيا إنما هي كما قال ربنا :﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك٢].

الخطوة الثامنة: حدد أهدافك في هذه الحياة فقد قال بعض المجربين: أهدافك عنوان سعادتك ولا بد أن تكون هذه الأهداف أهدافٌ إيجابية ما يعود عليك بالنفع الدنيوي والنفع الأخروي وإياك أن تفكر أو تخطط لأمر سلبي مشين فيه قلة حياء أو يصادم أمر رب الأرض والسماء فبمجرد التفكير تجد بلبلة واهتزازاً في قلبك وكذلك أيضاً تجد انقلاباً في موازين حياتك وصدق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذ يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد١١].

فبمجرد انصراف قلبي يحصل التغيير السماوي وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد١١]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[البقرة٥٧].

الخطوة التاسعة : لا تحزن على ما فات ولا تقلق على ما لم يأتِ بعد وفوض أمرك إلى الله الواحد القهار لتجد راحة وطمأنينة وكن دائماً مكرراً :{ اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين

وغلبة الرجال }[1] فالهمّ لأمر مستقبل والحزن على أمرٍ فائتٍ فلا تكثر من ذكر الماضي لا تندبوا الأموات فتخرجهم من قبورهم ولا تستبقوا الأحداث فعش يومك واجعل برنامجاً ليومك لتسعد في هذا اليوم ولا تنظر إلى غابر الأزمان ولا إلى قيام الساعة هذا فيما يتعلق بأمر المعيشة والأرزاق أما ما يتعلق بأن الإنسان يفتح له رصيداً من الخير الديني أو الخير الدنيوي فلا بأس أن يخطط لحياته ومستقبله ما يعود على نفسه وعلى أهله وأولاده بالنفع والخير في هذه الدنيا قال بعض الصالحين : إن من كمال عقل الرجل تدبير أمر معيشته .

وأخيراً وليس بأخير ؛ فإنما هي نقاط يسيرة إلزم تقوى الله عَزَّوَجَلَّ إن أردت أن تسعد فالزم تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال عز من قائل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق٢-٣].

ومعنى تقوى الله فعل المأمور وترك المحذور فعانق الطاعة معانقة صحيحة وابتعد عن المعصية وإن كانت صغيرة فإياك ثم إياك .

خـلّ الذنـوب صغيـرهـا وكـبيـرهـا ذاك التقـى

---

(١) رواه البخاري(٢٧٣٦، ٥١٠٩، ٦٠٠٢، ٦٠٠٨) وبعضه عند مسلم(٢٧٠٦) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي في شرح مسلم(٩/ ٢٦): الكسل : هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه .

وأما العجز : فعدم القدرة عليه ، وقيل : هو ترك ما يجب فعله ، والتسويف به ، وكلاهما تستحب الإعاذة منه . وأما استعاذته من الهرم فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر ، وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط ... وأما استعاذته من الجبن والبخل ، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات ، والقيام بحقوق الله تعالى وإزالة المنكر ... وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق) .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح(١/ ٢٠٧): الضلع هو الاعوجاج والمراد به هنا ثقل الدين وشدته، وغلبة الرجال : أي شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجاً ومرجاً .

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرةً إن الجبال من الحصى

اللهم بارك لنا ولكم في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً :

عباد اللّه :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فما فاز إلَّا أهل التقى في الدنيا والآخرة.

معاشر المؤمنين :

يذكر الإمام ابن القيم الجوزية[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عنوان سعادة العبد في هذه الدنيا والآخرة بثلاثة أمور فمن لزم هذه الثلاثة سهل عليه الإتيان ببقية أسباب إنشراح الصدر وخطوات السعادة الأبدية التي تكون سعادة حقيقة لا سعادة وهمية زائلة أما السبب الأول فيقول : إذا أنعم الله على العبد وجب عليه أن يشكر وأما الثاني إذا أذنب العبد استغفر لذنبه وأما الثالث : فإذا ابتلي هذا العبد صبر فتكمل سعادة ابن آدم بهذه الثلاثة الأمور فهي عنوان السعادة والنجاح[٢] فإذا فتح الله عليك باب نعمة ليرى ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشكر وليس معنى ذلك أن تقول باللسان : لك الحمد والشكر هذا جزء من أجزاء الشكر فالشكر بالقلب يكون القلب معظماً لأمر الله هذا القلب يمتلئ بحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال عز من قائل: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[نوح١٣].

---

(١) ابن القيم: هوا لإمام الجليل الحافظ أحد المحققين علم المصنفين نادرة المفسرين / محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي أبو عبد الله شمس الدين الشهير بابن قيم الجوزية(٦٩١ــ ٧٥١) انظر البداية والنهاية(١٤/ ٢٣٤) والرد الوافر للدمشقي(ص٦٨) ومقدمة كتابه الفوائد(١٣ـ ٢٢).

(٢) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب ص(١١).

فالشكر شكر القلب ثم شكر اللسان جاء من حديث أنس في صحيح مسلم قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليه }[١].

فالشكر والحمد ثناءٌ على الله بالقلب وثناء على الله باللسان ثم بعد ذلك شكر الجوارح تقوم الجوارح طائعة لأمر الله من صلاة من صيام نوافل من زكاة من صدقة فالمرء يستظل بصدقته يوم القيامة شكر الجوارح مساعدة ذوي الحاجة التسبيح بالأنامل كذلك أيضاً إتعاب هذا الجسد فيما يعود عليه من الراحة وذلك بأن ترغب جسدك في طاعة الله وإياك أن تركن إلى الدعة والفتور فإن أردت بذلك راحة النفس أو راحة الجسد فما في ذلك إلَّا غشٌّ لهذا البدن كان أحد الصالحين يتعب نفسه فيقول له أبوه : لا تتعب نفسك يا ولدي فيقول : يا أبتي راحتها أريد

موت النفوس حياتها من شاء أن يحيا يمت

ويقول الإمام الشافعي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ يقول هذا الإمام العظيم :

---

(١) رواه مسلم(٢٧٣٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وفي الباب عن عقبة بن عامر و أبي سعيد و عائشة و أبي أيوب و أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

(٢) الإمام الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي ـ أبو عبد الله ـ الإمام عالم العصر فقيه الملة نسيب الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وابن عمه فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة سَنة (١٥٠هـ٧٦٧م) وحمل إلى مكة وهو ابن ست سنين، وقصد مصر سَنة (١٩٩هـ) فتوفي بها سَنة (٢٠٤هـ٨٠٤م) .أشهر كتبه الأم في الفقه والمسند في الحديث، وأحكام القرآن، والرسالة في أصول الفقه. ينظر: تذكرة الحفاظ(١/ ٣٢٩)، وتهذيب التهذيب(٩/ ٢٥) وسير الأعلام (١٠/ ٥ ترجمة (١) ومقدمة الأم للشافعي .
الإمام أحمد: هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا وأحد الأئمة المتبوعين عند أهل السُّنَّة والجماعة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي ، أصله من البصرة [١٦٤هـ ـ ٢٤١] . انظر: مقدمة المسند(١/ ٣٨) وما بعدها تحقيق شعيب، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٧٧ـ ٣٣٤/ ترجمة: ٧٨).

سأتعب نفسي أو أصادف راحة فإن كمال النفس في تعب النفس

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس : ٩ـ ١٠].

فهذه الركيزة الأولى مما ذكره هذا الإمام الهمام وذلك إذا بسط الله عليك النعمة فليرى ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شكرها .

وأما الثانية : عند الذنب لا بد من استغفار ولا بد من توبة نصوح لتجد راحة واطمئناناً كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[نوح:١٠ـ١٢].

تستغفر لذنبك وتستغفر للمسلمين فلو قلت : أستغفر لي وللمسلمين والمسلمات كان لك بكل مسلم حسنة فإذا كان عدد المسلمين مليار مثلاً كان لك مليار حسنة بمجرد عبارة يسيرة أن تقول : اللهم اغفر لي وللمسلمين والمسلمات وهكذا أيضاً ربي اغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات كم يكون لك من الأجر والثواب والحسنات[1].

وأما الأمر الثالث وهو الصبر عند البلاء وقد تقدم بسط قليل من ذلك في الخطبة السابقة أو الأولى فحتى لا يضرب الكلام بعضه في بعض فلا نريد إعادته .

(١) لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { من استغفر للمؤمنين و للمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة} وهو حديث حسن، رواه الطبراني في مسند الشاميين(٢١٥٥) والهيثمي في المجمع (١٧٥٩٨) وهو في كنز العمال(٢٠٦٧) وحسنه الألباني في: صحيح الجامع:(٦٠٢٦) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضى وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى ، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه والباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته اللهم اعطنا ولا تحرمنا ، كن لنا ولا تكن علينا اللهم أصلح أولادنا ونساءنا واغفر اللهم لآبائنا وأمهاتنا واغفر للمسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات يا كريم يا رحيم يا وهاب اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا اللهم وفقنا لكل ما تحبه وترضى ووفق علماء المسلمين وقضاة المسلمين وحكام المسلمين اللهم اهد ضالنا يا أرحم الراحمين اللهم عليك باليهود الغاصبين وبالنصارى الضالين المضلين اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك اللهم ردنا إليك رداً جميلاً اللهم كن لنا ناصراً ومعيناً.

عباد الله :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل٩٠].

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون وأقم الصلاة .

١٢ فضل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله جَلَّوَعَلَا فإنه ما فاز إلَّا أهل التقى.

لا فخر إلَّا فخر أهـل التقى غـــداً إذا ضـمهم المحشر

ليعلمـن النـاس أن التقــى والـــبر كـانـا خـير مـا يدخر

فالله ألزمنا بهذا الأمر العظيم فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى :﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[البقرة ١٩٧]. فأوصي نفسي وإخواني المؤمنين من أراد الهدى والرشاد في الدنيا والآخرة أن يتحلى بهذه الشعيرة العظيمة وأن يجاهد الهوى بقدر الإمكان أشد جهاد جهاد الهوى وما أكرم المرء إلَّا التقى[1] .

معاشر المؤمنين :

تأملت في سيرة المصطفى -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- منذ بعثه الله نبياً ثم منحه الرسالة والبلاغ فعاش حياةً مليئة بالأحداث وكان الله قد أكمل به الدين وأتمّ به الملة فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[المائدة ٣].

أكمل الله به الدين وعلق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة بمتابعته فقال جَلَّوَعَلَا :﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾[النور ٥٤].

وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[طه١٢٣].

وضمن الله الحياة الطيبة والسعادة الأبدية لمن تابع الرسول فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

(١) كما قال تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[الحجرات١٣].

يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال٢٤].

فيا من أردت الحياة الطيبة لا تذهب هنا وهناك بين يديك رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

الشرق أو بالغرب لست بمقتدي أنا قدوتي ماعشت شرع محمد

حاشاي يطويني سراب خادع ومعي كتاب الله يسطع في يدي

روح الحياة ونورها وجمالها من حاد عنه ففي ظلام سرمدي

فمن أراد الخير كله فإنه موجود في هذا النبي الكريم:

نفسي فداء لجسم أنت تحمله فيه العفاف وفيه الجود والكرم

يا من تروع طيب القاع أعظمه فطاب من طيب ذاك القاع والأكم[1]

معاشر المؤمنين :

فمن خلال التأمل خرجت بفائدة عظيمة من خلال حياته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمجرد أن تكون له من المتابعين نعمة عظيمة وجب علينا أن نؤدي شكرها ثم أمرٌ آخر بمجرد ذكره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يكون لك من الشعور والخير بمجرد ذكر اسمه والصلاة والتسليم فما بالك بالإنقياد الفعلي فبمجرد أن تذكر محمداً -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يكون لك من الخير فكيف إذا ذكرت اسمه وأردفت بالصلاة

(١) انظر: تفسير ابن كثير(١/ ٦٩١) وشعب الإيمان(٤١٧٨) وكنز العمال (١٠٤٢٢) واقتضاء الصراط ص(٣٩٧) وهي عندهم هكذا:

يا خير من دُفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

والتسليم ثم انقدت له ظاهراً وباطناً فأنت على خير عظيم فهو أعظم رجل بعث للبشرية في تأريخ الإنسانية على امتداد التاريخ البشري بشهادة الموافق والمخالف والفضل ما شهدت به الأعداء ، تسمعون بعض البشارات بمجرد الذكر والدعاء له يكون لك من الخير فكيف إذا كانت الإستجابة والمتابعة فالله رفع اسمه .

وشــق له مــن اسمــه ليجلـه فذو العرش محمود وهذا محمد [1]

من الذي لا يعرف محمداً -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؟ ولماذا قض أضجاع الأعداء فطعنوا في هذه الشخصية المباركة إلَّا لما كان لها من التأثير لأنها رسالة عالمية كما قال المولى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء١٠٧]. يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب٥٦].

والمراد بالنبي في هذه الآية هو محمدٌ عليه الصلاة والسلام بإجماع المفسرين والفقهاء لأنه خاتم النبيين وإمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين هو أفضل ولد آدم ولا فخر[2] ومن قال غير ذلك فقد كذب وافترى على الله الكذب فالله

(١) هذا البيت لحسان بن ثابت ضمن قصيدة مدح فيها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومنها قوله:

أغَــرُّ، عَلَيــهِ لِلنُّبُــوَّة خَــاتَــمٌ ... مِــنَ الله مَشْهُــودٌ يَــلُــوحُ ويُشْــهَــدُ
وضمَّ الإلـهُ اسـمَ النبـيّ إلى اسمــهِ ... إذا قَـالَ في الخَـمْسِ المُؤذِّنُ أشْـهَدُ
وشــقّ لــهُ مــنِ اسمــهِ ليجلــهُ ... فذو العـرشِ محمـودٌ، وهـذا محمـدُ
نَـبيٌّ أتَـانَــا بَعْــدَ يَــأسٍ وَفَتْــرَة ... منَ الرسلِ والأوثانِ في الأرضِ تعبدُ
فَأمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنِيراً وَهَادِياً يَـلُـوحُ ... كـمـا لاحَ الصّقـيــلُ المُـهَـنّــدُ
وأنــذرنــا نــاراً، وبشــرَ جنــةً ... وعلـمـنـا الإسـلَامَ، فاللهَ نحـمـدُ

(٢) رواه مسلم(٢٢٧٨) بلفظ:[أنا سيد ولد آدم يوم القيامة] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون ذكر [ولا فخر].
ولكن هذا لفظ حديث رواه أحمد(١١٠٠٠)والترمذي(٣٦١٥) وابن ماجه(٤٣٠٨) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الشيخ الألباني في: صحيح الجامع(١٤٦٨) والصحيحة (١٥٧١).
وروى البخاري(٣١٦٢، ٣١٨٢، ٤٤٣٥) ومسلم(١٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: [أنا سيد الناس يوم القيامة]، وبلفظ: [أنا سيد القوم يوم القيامة]

يأمرك يا عبد الله إذا ذكرت هذا النبي أن تزيد له من الصلاة والتسليم لتحظى بموافقة الله وبموافقة ملائكة الله الذين لا يحصيهم إلَّا الله ففي البيت المعمور في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملكاً ثم لا يعودون إلى قيام الساعة[١].

فالله يخبر أنه يصلي على النبي وأردف الملائكة ثم طلب الله منا آمراً فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[الأحزاب٥٦]. فرسول الله إذا ذكر في أي موطن سوى ما كان موطن امتهان كدورات المياه وما شابهها فلا ينبغي أن يذكر في موضع فيه استهجان واستهوان أما في بقية الأماكن فيذكر صلى الله عليه وعلى آله وسلم فالبخيل من ذكر رسول الله ولم يصلّ عليه كما في الحديث الصحيح : { البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليه }[٢] وفي حديث آخر: { من ذكرت عنده فخطيء الصلاة علي خطيء طريق الجنة }[٣].

ثم في كل موطن جلست فيه تجلس مع الناس فلا بد أن تبتدئ بالصلاة والتسليم وأن يكون له ذكر في كل مجلس ليكون تاج هذا المجلس الصلاة والتسليم على رسول الله وإلا كانت الخسارة في هذا المجلس ففي حديث صحيح عنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه

---

(١) روى ذلك البخاري(٣٠٣٥، ومواضع) ومسلم(١٦٤) عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه أحمد(١٧٣٦) والترمذي(٣٥٤٦) والنسائي في الكبرى(٨١٠٠، ومواضع) وابن حبان(٩٠٩) والحاكم(٢٠١٥) وغيرهم عن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٢٨٧٨) والإرواء(٥) وصحيح الترغيب(١٦٨٣) والمشكاة(٩٣٣).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير(٢٨٨٧) عن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٦٢٤٥) وصحيح الترغيب(١٦٨١) وانظر: الصحيحة(٢٣٣٧). وله شاهد من حديث ابن عباس رضي اللع عنه عند ابن ماجة(٩٠٨) بلفظ: [من نسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة] وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٦٥٦٨) وصحيح الترغيب(١٦٨٢).
وجاء مرسلا عن محمد بن علي أخرجه الطبرانى (٣/ ١٢٨ ، رقم ٢٨٨٧) وابن أبى شيبة (٦/ ٣٢٦ ، رقم ٣١٧٩٣) وصححه الألباني في فضل الصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(٤٣) وله طرق وشواهد أخرى.

و لم يصلوا على نبيهم إلَّا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم و إن شاء غفر لهم [١].
ومعنى ترة أي خسارة.

ومن أعظم المواطن التي يذكر فيها -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مثل هذا اليوم الشريف روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول :{ إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي، فقال رجل يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت؟ فقال :(إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء }[٢].

فرسول الله في قبره لا زال كما هو في حياته لم تتأثر شعرة من شعيرات رأسه على مر العصور والدهور حفظه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين ثم إذا صليت عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- معنى ذلك أنك تطلب له من الله زيادة الثناء تطلب من الله زيادة الثناء لهذا النبي فأنت إذا صليت عليه مرة كان لك من الفضل والثواب أن يثني عليك الله عشر مرات لما جاء في صحيح مسلم أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:{ من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا}[٣].

عشر مرات يذكرك الله بمجرد أن تصلي مرة واحدة ، ومن الفضائل : أن الله يكفيك الهم والغم ويقضى عنك الدين ويغفر لك الذنب وتذهب الكروب والأحزان بمجرد ذكره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واسمعوا إلى هذا الحديث المبارك رواه

(١) صحيح: رواه أحمد(٩٨٤٢،) والترمذي(٣٣٨٠) وغيرهما عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٥٥١٠ ، ٥٦٠٧، ٧٦٢٤).
(٢) صحيح: رواه أحمد(١٦٢٠٧) وأبو داود(١٠٤٧، ١٥٣١) والنسائي(١٣٧٤) وابن ماجة (١٦٣٦) وغيرهم عن أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٢٢١٢) والمشكاة (١٣٦١) والصحيحة(١٥٢٧).
(٣) رواه مسلم(٣٨٤) وأحمد(٦٥٦٨) وأبو داود(٥٢٣) والترمذي(٣٦١٤) والنسائي(٦٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو ورواه أيضا مسلم برقم(٤٠٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أُبي بن كعب الصحابي الجليل أنه قال: { كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس أذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبي قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال ما شئت قال قلت الربع قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت النصف قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قال قلت فالثلثين قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت أجعل لك صلاتي كلها قال إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك}[1] .

بمجرد أن يكون لهذا الرجل مجلس في الليل فيذكره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مائة مرة أو أكثر من ذلك ما وجد فراغاً من الوقت فيذكره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلو تأملنا في أحوالنا اليوم شغلنا في ليلنا وشغلنا في نهارنا أما في النهار ففي الدنيا وأما في الليل مع تلك الأجهزة أو كان أحدنا نائماً إن لم يكن في معصية عياذاً بالله فلقد كان سلفنا رضوان الله عليهم يجلس الواحد مجلساً فيذكر الله ألف مرة ويصلي على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مثلها أو دون ذلك كانت حياتهم عامرة بالذكر : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب٣٥].

ومن الفضائل أنك إذا صليت أي أثنيت على الرسول بلغ أحد الملائكة هذا الثناء إلى مدينة طيبة مدينة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالله يعيد الحياة لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليرد عليك السلام ولو كنت فقيراً وضيعاً لا يعبأ بك لكن الميزان عند رب العالمين والإتباع لرسول الله ففي حديث صحيح يقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :{ ما من أحد يُسلم علي إلَّا رد الله علي روحي

(١) حسن صحيح: رواه الترمذي(٢٤٥٧) والحاكم(٣٥٧٨) وقال الألباني في صحيح الترغيب (١٦٧٠) وفضل الصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-(١٤): حسن صحيح.

حتى أرد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ }[1] أحد العلماء في دولة عربية أراد الحج إلى بيت الله الحرام فقال له بعض المسؤولين في الجوازات أريد أن أرسل تسليمات لرسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال : أعلمك ما هو أسرع مني ومن أي بريد على وجه الأرض تسلم وتصلي على رسول الله من على كرسيك فإن الله هيأ ملائكة تحمل هذا الدعاء والسلام فيرد الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا رد الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليك فدعاؤه مقبول بمعنى اللهم زده ثناء، وسلم تدعو له بالسلامة من كل آفة فهو يقول : وعليك الصلاة وعليك السلام بمعنى أنه يدعو الله لك أن يثني عليك ويدعو لك بالسلامة مثل أن تقول لرجل : السلام عليكم فيقول : وعليكم السلام فأنت تدعو له بالسلامة وهو كذلك أيضاً وهذا دعاء المعصوم -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومن فضائل الصلاة والسلام أنك تحظى بالشفاعة العظمى يوم أن يتنصل عنها الأنبياء والرسل لا سيما أولى العزم وعلى رأسهم أبونا آدم عليه الصلاة والسلام إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يقول بعضهم لبعض انظروا إلى من يشفع لكم عند الله فيأتون آدم فيمتنع عن الشفاعة ويقول : نفسي نفسي ولكن اءتوا نوحاً فإذا ما جاءوا نوحاً النبي الأول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تنصل واعتذر فيحيلهم إلى إبراهيم وإبراهيم يحيلهم على موسى ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام فيحيلهم روح الله عيسى بن مريم على محمدٍ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقول : اءتوا محمداً عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيقول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل

(١) حسن: رواه أحمد(١٠٨٢٧) وأبي داود(٢٠٤١) وحسنه الألباني في: صحيح الجامع(٥٦٧٩) والمشكاة (٩٢٥).

تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمي أمتي}[١] فيشفع للناس لإراحتهم من الموقف.

وهناك شفاعات أخرى يقول عليه الصلاة والسلام : { من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة}[٢].

ففي صبيحة يومك بعد الفجر تصلي وتسلم عشر مرات على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهكذا في المساء ما الفائدة من ذلك ؟ توجب لك شفاعة محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

ومن الفضائل وهي كثيرة إجابة الدعاء فإن الدعاء محجوب بين السماء والأرض حتى يصلى على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمن أراد أن تستجاب دعوته وأن يرفع دعاؤه إذا مد يديه إلى رب العالمين فلا بد أن يتملق الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف١٨٠].

---

(١) متفق عليه: البخاري(٤٤، ٧٠٧١، ٧٠٧٢) ومسلم(١٩٣/ ٣٢٦) عن أنس بن مالك ولمسلم(١٩٥/ ٣٢٩) عن حذيفة مرفوعا: [فيأتون محمدا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا..]

* فائدة: قال القاضي عياض: جاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتداء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد سجوده وحمده والإذن له في الشفاعة بقوله أمتي أمتي وقد جاء في حديث حذيفة بعد هذا في هذا الحديث نفسه قال فيأتون محمدا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقوم ويؤذن له وترسل الامانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق وساق الحديث وبهذا يتصل الحديث لأن هذه هي الشفاعة التى لجأ الناس إليه فيها وهي الاراحة من الموقف والفصل بين العباد ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-...] شرح النووي على مسلم(٣/ ٥٧).

(٢) أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد [١٠ / ١٢٠] ، قال الهيثمى «رواه الطبرانى بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا. وحسنه الألباني في: صحيح الجامع (٦٣٥٧) ثم تراجع عنه في ضعيف الترغيب (٣٩٦)، والضعيفة (٥٧٨٨).

ثم يصلي على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإن الدعاء محجوب حتى يصلى على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-[١].

هذه الشخصية العظيمة مهما ذكرنا لها من الفضائل ومهما ذكرنا لها من الخصائص فإننا لا نستطيع حصرها وإن الواجب على المسلم أن يكثر من الصلاة والتسليم الشرعي في أن يصلي صلاة مأثورة عن رسول الله أن يقول مثلاً : اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ إلى آخر ما يقرؤه في التشهد أو يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو يقول : اللهم صل على محمد وعلى آله دون أن يتجاوز فإن هناك كتاباً يباع في الأسواق بعنوان دلائل الخيرات لرجل في القرن الثامن الهجري يسمى الجزولي ألف كتاباً بعنوان دلائل الخيرات ففيه من الإبتداع في هذا الباب هو ذكر الفضائل لكنه ذكر صيغاً لم تكن واردة عن رسول الله ولا عن السلف الصالح منها : اللهم صلِّ على رسول الله حتى لا يبقى من الصلاة شيء وسلم حتى لا يبقى من السلام شيء وترحم حتى لا يبقى من الرحمة شيء على أن رحمة الله وسعت كل شيء[٢] ، فلا ينبغي الإعتداء في الدعاء فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه الكريم: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الأعراف٥٥] فمن دعا الله بأمر فلا ينبغي أن يكون معتدياً لا أن يطلب أمراً مستحيلاً وإنما يطلب أمراً شرعياً على أن الله قادر على كل شيء أن يعطيه للعبد لكنه لا ينبغي أن يذكر وأن يدخل باب الإستحالات ذكر بعض العلماء أنه سمع ابنه يقول : اللهم ارزقني القصر الأبيض عن يمين الجنة فقال له : يا بني هذا من الإعتداء في الدعاء.

---

(١) انظر: سنن الترمذي(٤٨٦) ومعجم الطبراني الأوسط(٧٢١) وشُعب الإيمان (١٥٧٥، ١٥٧٦) وصحيح الجامع(٤٥٢٣) والصحيحة(٢٠٣٥) وصحيح الترغيب(١٦٧٥) روي موقوف ومرفوع.

(٢) كما قال تعالى:﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[الأعراف١٥٦].

أو أن تسأل مثلاً أن يجعلك الله ملَكاً أو أن يجعلك الله جنياً أو أن يعيدك امرأة مثلاً فإن هذا أمر لا يجوز وإنما تسأل الله العافية تسأله الخير وتستعيذ به من الشر هذه زوجة من أمهات المؤمنين من زوجات نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دعت بدعاءٍ قد يكون وارداً ومحبوباً إلى النفس قالت :{ اللهم أمتعني بزوجي رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودات وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا قبل حله أو يؤخر شيئا عن حله ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل}(١).

فهكذا لا بد أن تكون المسألة سل من خير الله فإن الله يقول :{ يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلَّا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر}(٢) ، فلو سألت الله من الخير لأعطاك فكل شيء خزائنه بيد الله ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر٢١].

فكل شيء بقضاء الله وقدره لكن على الإنسان أن يعلم أنه لا يجوز الإعتداء، الله قادرٌ على أن يعطيك ما أرادت وأن يصيرك ما شاء هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولكن أنت مقيد بشرع على أن تسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأمور التي تستنفع بها فهناك بعض الناس فربما أصيب باليأس وذلك أن يطلب مطالب عظيمة فالله عَزَّوَجَلَّ قد يؤخر له الدعاء أو قد تكون هناك موانع بينه وبين قبلة السماء لا يرفع له الدعاء قد يكون قاطعاً للأرحام قد يكون والعياذ بالله واقع في المحرمات يشعر

(١) رواه مسلم(٢٦٦٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه مسلم(٢٥٧٧) وابن حبان(٦١٩)والبخاري في الأدب المفرد(٤٩٠) ورواه أحمد (٢١٤٠٥، ٢١٥٨) والترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجة(٤٢٥٧) بإسناد فيه شهر بن حوشب وشهر ضعيف.

أو لا يشعر فهي تحجز بينه وبين إجابة الدعاء كما في حديث صحيح : {ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها إحدى ثلاث أما أن تعجل له دعوته وأما أن يدخرها له في الآخرة وأما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نكثر قال الله أكثر}[١] .

فأنت إذا دعوت فقد أديت ما عليك فإما أن تعطى الدعوة وإما أن تدخر لك إلى الآخرة وإما أن يصرف عنك من السوء مثلها هذا إذا كنت قد أتيت بالشروط وانتفت الموانع أما إذا وجدت موانع فلا ترفع هذه الدعوة أن تكون قاطعاً لرحم أو أنت غارق في آثام فلا بد أولاً أن تعرض نفسك على أمر الله وأمر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لتكون نظيفاً ثم بعد ذلك إن دعوت قبلت دعوتك كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة١٨٦] فكما أنك تطلب من الله مطالب فله مطالب أيضاً فمن أراد أن يعلم ما له عند الله من الكرامة فلينظر أولاً ما أمره الله به من واجبلت فيقوم بها من الأوامر والنوهي.

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

(١) صحيح: رواه أحمد(١١١٤٩) والحاكم(١٨١٦) والبخاري في الأدب المفرد(٧١٠) وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في: صحيح الترغيب(١٦٣٣)

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين أنار الله به عقول البشرية وزلزل به كيان الوثنية اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد :

عباد اللّه :

من أطاع النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ووحد الله ضمن الله له الجنة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ٧٠ ﴾[النساء٦٩ـ ٧٠].

هذه ضمانة. من الذي يضمن لك الحياة الطيبة في الدنيا ؟ ويضمن لك الحياة الطيبة بعد الخروج؟ فقوانين البشر من بداية البرية إلى منتهاها فكل قانون وجد على وجه الأرض من وضع البشر لا يستطيع أن يضمن لك الحياة كاملة فإن ضمن لك بعض النظم في مجال الأسرة أو في مجالات أخرى من الأمور المدنية لكنه لا يضمن لك الإستقرار النفسي ولا يضمن لك حياتك في البرزخ كما لا يضمن لك عالم الآخرة فالمسلم يجب عليه أن يفتخر وأن يفرح بفضل الله .

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا من العناية ركناً غير منهدم

لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

معاشر المؤمنين :

ارفعوا رؤوسكم يوم أن تشعروا ويوم أن تتأكدوا بأن نبيكم محمدٌ عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين قائد البشرية وهاديها مبلغ الرسالة خليل الله إمام الأنبياء صاحب الشفاعة العظمى حامل لواء الحمد هو صاحب المقام المحمود والحوض المورود أول من ينشق عنه قبره وأول من يقعقع حلق الجنة أول من يدخل الجنة إنكم من أتباع هذا النبي إنه محمدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

كفاك عن كل قصر شاهق عمدٍ بيت من الطين أو كهف من العلم

تبني الفضائل أبراجاً مشيدةً نصب الخيام التي من أروع الخيم

كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جالساً في أصحابه فقال : { كل أُمتي يدخلون الجنة إلَّا من أَبى }ـ فتعجب أصحاب رسول الله من هذا الذي رسول الله يناديه إلى الجنة لكنه يأبى ! ففي قوله : كل أمتي المراد بأمته أمة الإجابة لأن أمته على قسمين : أمة دعوة وأمة إجابة فكل الملل والأمم الموجودة على وجه الأرض على الكرة الأرضية الآن من يهودية ونصرانية ومجوسية ووثنية على اختلاف مللهم ونحلهم إنهم أمة الإجابة إنه لا قوام لهم ولا ميزة لهم وإن وجدت لديهم الكتب وإن وجدت لديهم الحجج التي قد يحتجون بها إلَّا أن يأتوا وراء محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويجعلوه قدوة وقيادة في حياتهم وبعد مماتهم فهو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : { كل أمتي يدخلون الجنة} يشمل ذلك أمة الدعوة وأمة الإجابة لكنه يستثني قال:{ إلَّا من أبى فقال الصحابة : من يأبى يا رسول

الله ؟ ـ من هذا الذي أنت تناديه ثم يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى }[١].

إنه بيان من رجل ذي لسان بين ... ليس فيه غموض أو خفا

فهذا الحق ليس به خفاء ... فدعني من بنيات الطريق

إنه أمر واضحٌ للغاية من أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه فقد أبى هو الذي قطع بينه وبين دخول الجنة حينما أبى على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وماذا يريد منك يا عبد الله ؟ فرسول الله أرحم بك من نفسك ومن أبيك وأمك فالله يمتدحه بذلك فقال : { لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }[التوبة١٢٨] فوالله من تأمل أوامر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أدرك أنه فعلاً رحمة للعالمين وأنه رؤوف رحيم وأنه شفيق بهذه الأمة هو الذي جاء بالواجبات من أجل أن تكون مقبولاً عند الله وهو الذي جاء بالمنهيات والمحرمات لئلا يلحقك الخزي والعار في هذه الدنيا وأيضاً لا يلحقك العذاب والعقاب في الآخرة فهو من أجل عزتك ورفعتك يوم أن نهاك عن أمور كثيرة كتحريم السرقة تحريم الرشوة تحريم الكذب تحريم النظر إلى ما حرم الله شهادة الزور الغيبة والنميمة هتك الأعراض الغش الخداع المكر ما من شيء حرم في الكتاب والسُّنَّة إلَّا لأن فيه الشر وما من شيء أمر الله به أو رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلَّا لأن فيه الخير ولازم الحق حق لأن الكتاب والسُّنَّة كله حق ليس فيه باطل أبداً .

والدين جاء لسعادة البشر ... ولانتفاء الشر عنهم والضرر

---

(١) رواه البخاري(٦٨٥١) وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالإسلام وضع قوانين مباركة في كل شيء وضع قانوناً للأسرة للحكومة وضع قانوناً للشهوة وضع قانوناً فيما يتعلق بتربية الناشئة وهكذا في حقوق الأبوين وفيما يتعلق بحقوق الجار حتى ما يتعلق بما يهم البلدية قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { إذا اختلفتم في الطريق جعل عرضه سبعة أذرع }[1].

فهو دين شامل كامل هذا كان فيما مضى قبل أن توجد السيارات والقطارات والباصات وهذه الوسائل الحديثة { إذا اختلفتم في الطريق جعل عرضه سبعة أذرع } هذا حديث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفي هذا الزمان ما دعت إليه الحاجة إذا اختلف الناس فليجعلوا طريق سيارتين أو ثلاث سيارات لأن الحال والحاجة تقتضيه فإذا أردنا الخير لأنفسنا فوالله لا قانون يحكمنا غير قانون رب العالمين ولا سعادة ولا خيرية لنا أبداً إلَّا بقانون رب العالمين بمنهج محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.، لأن هذه القوانين وضع بشر تنتهي بانتهائهم وهي قابلة للتغيير والتبديل أما قانون رب العالمين فلا يتغير ولا يتبدل أبداً .

إن القوانين فوق الناس تحكمهم والله أنـــزل قــرآنــاً هـجـرنـاه

إن كثيراً من الناس يتخوفون لا أدري من أي شيء يتخوفون ؟ يتخوفون من أن يتمسك ببعض السنن أن يركز عليه أو أن يقال هو كذا أن يقال هو من الجماعة كذا أو قد صار من أهل كذا فليقل الناس ما شاءوا من أهم ما يكون إرضاء رب العالمين .

إذا صح منك الـود يا غاية المنى فكل الـذي فـوق الـتراب تراب

(١) رواه البخاري(٢٣٤١) ومسلم(١٦١٣) واللفظ له عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإن المجرمين في كل زمان ومكان لا يرضون عن أهل الإيمان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ المطففين٢٩ـ٣٠].

فأصحاب الملل الأخرى لا يقبلون بشخصياتنا لا يقبلون بما لدينا من العادات فضلاً عن الأشياء الإسلاميات لكنها عادات فلماذا بعض المسلمين قبل عاداتهم وتقاليدهم ووافقهم وربما تابعهم والعياذ بالله إن الذين أسلموا من الأمريكان وغيرهم صاروا يعيبون على بعض المسلمين حينما لحقوهم بركبهم وهكذا وهناك كتاب حوى كل هذا أكثر من ألف قصة في هذا الباب تحكي واقع أولئك حينما اعتنقوا الإسلام وتأملوا حال المسلمين كادوا يتنصلون من إسلامهم باعتبار أن بعض الدول لم توافق على ما هو عند المسلمين فوجب على المسلم أن يعلم أنه عظيم وكريم وكبير وأنه لا سعادة ولا خير إلَّا أن يكون منتسباً لهذا الدين ولمنهج محمدٍ عليه الصلاة والسلام هذا دينكم يا أهل الإسلام قرآن وأحاديث عن رسول الله في صحيح البخاري في صحيح مسلم في مسند أحمد في بقية الأمهات الست هذا هو دين المسلمين فمن أراد أن يسعد وأن يرتاح وأن يكون حقيقة في سعادة أبدية ليست وهمية فعليه أن يظفر بمنهج محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأن يعلم أنه لا يمكن أن يكون له فخرٌ في الآخرة والأولى إلَّا أن يكون هذا الرجل العظيم قد جعله قيادة له في هذه الدنيا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب٢١].

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين اللهم اعطنا ولا تحرمنا وكن معنا ولا تكن علينا اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا

يسرته اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا اللهم اجعلنا من أمة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المتبعين له واجعله لنا شافعاً يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه اللهم انفعنا بشفاعته يا رب العالمين .

عباد الله :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل٩٠] .

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

١٥ محبة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

لقد أوجب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا معشر المؤمنين والمؤمنات محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجعل ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك شرطاً في الإيمان فلا إيمان لمن لم يحب النبي محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقد جاء في الصحيحين من حديث أنس قال : سمعت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين }[1] فهذه المحبة جعلها رب العالمين شرطاً على كل مؤمن أن يحب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالمحبة متابعته عليه الصلاة والسلام في كل ما أمر به أو نهى عنه وهذا هو مدلول قول المؤذن في أذانه : أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ولفظة أشهد مأخوذ من المشاهدة فكأنك تشاهد الأمر عياناً فيا أيها المؤذن ويا من يسمع المؤذن قد شهدتم جميعاً وصار الأمر ضرورياً واجباً لزومه فنتج عن ذلك أن شرط الله هذه المحبة والمراد بها الإتباع كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران٣١] وهكذا أيضاً يعظم الإيمان ويكون له حلاوة وذوق يوم أن تترفع هذه المحبة ويكون لها قدراً من قلب كل مسلم فقد جاء في صحيح مسلم من حديث العباس قال : سمعت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : { ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسولا }[2].

وجاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت النبي

---

(١) متفق عليه: البخاري(١٥) ومسلم(٤٤/ ٧٠) عن انس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظة ماله عند مسلم(٤٤/ ٦٩) ورواه البخاري(١٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه مسلم(٣٤/ ٥٦).

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : { ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان } ومعنى الحديث أنها إن وجدت هذه الثلاث وجد الإيمان وإلا انتفى عن صاحبه وهذه الثلاث هي قال : { أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلَّا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار }[1].

ففي قلب كل مسلم ومسلمة في مشارق الأرض ومغاربها نصيب من حب محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكلهم يحبونه لكن هناك مستقل ومستكثر ، ولما أدرك أصحاب النبي محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- معنى المحبة وأيقنوا معنى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حقاً وصدقاً ضربوا في ذلك أروع الأمثلة التي نتج عنها أعمال وأقوال واتباع ونتج عنها حقائق واضحة سطرها التأريخ فكانت شامة في جبينه على مرور الليالي والأيام فاسمع إلى ربك ماذا يقول قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة٢٤]. فأدرك أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- معنى المحبة وحقيقتها فكان في ذلك براهين ليس مجرد ادعاء .

والدعاوي ما لم تقيموا عليها ... بيناتٍ أبناؤها أدعياء

وكلاً يدعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاك

فإذا تشابكت دموع في خدود ... علم من بكى ممن تباكى

(١) متفق عليه: البخاري(١٦، ٢١، ٥٦٩٤، ٦٥٤٢) ومسلم(٤٣)

معاشر المؤمنين :

أرسلت قريش في العام السادس الهجري عروة بن مسعود الثقفي فكان لسان قريش ليتفاوض مع الحبيب محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما الذي جاء به من المدينة وماذا يريد ؟ وهو عليه الصلاة والسلام ما أراد الغزو ولا القتال وإنما جاء لأداء العمرة فاعترضته قريش في موضع معروف إلى اليوم يسمى بالشميسي[١] وهو المكان الذي أناخ فيه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- راحلته ومنع من دخول مكة فأرسلوا إليه عروة بن مسعود ليتفاوض معه عليه الصلاة والسلام ومع أصحابه فتفاوضوا فلما رجع عروة إلى قريش قال لهم : والله لقد وفدت على النجاشي وعلى كسرى وقيصر فوالله ما رأيت ما كان من محبة أصحاب محمدٍ محمداً فإن توضأ كادوا أن يقتتلوا على وضوئه وإن تنخم كادوا أن يقتتلوا على نخامته ولا يعصون له أمراً ولا نهياً[٢] .

وهذا عمرو بن العاص داهية من دهاة العرب الذي اشترط أن يغفر الله له ذنوبه عند إسلامه قال : والله ما كان أحدٌ أحبّ إليّ من رسول الله وما أستطيع أن أحدّ النظر إليه ولو سألتموني أن أصف له ما استطعت[٣] .

وسُئل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف كان حبكم لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ فقال : كان و الله أحب إلينا من اموالنا و أولادنا و أبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ[٤].

---

(١) الشميسي: اسم مكان على حدود الحرم من جهة الغرب، قريب من التنعيم، كان يسمى (الحديبية)، وهو عند مدخل الحرم للقادم من جدّة.
(٢) انظر: القصة في: الرحيق المختوم ص(٢٩٦ـ ٢٩٧).
(٣) انظر: صحيح مسلم(١٢١) .
(٤) انظر: الشفا(٢/ ١٩) وثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص(٦١٧)

ويقول مرة عمر الفاروق لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { لأنت أحب إلي من كل شيء إلَّا من نفسي فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك .فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { الآن يا عمر }[١].

وبرهن صحابي على محبته لرسول الله في آخر لحظة من حياته وهو زيد بن الدثنة وكانوا في غزوة خرجوا غزاة بأمر رسول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاعترض لهم نفرٌ من بني لحيان قبيلة من القبائل هجموا على هؤلاء وأخذوا من ضمنهم زيد بن الدثنة فباعوه في مكة باعوه بيع الرقيق وهو من أصحاب المصطفى عليه الصلاة والسلام فلما أخرجوه لضرب عنقه قال له أبو سفيان ولا زال على الكفر حينها : أيسرك أن محمدا عندنا نضرب عنقه، وأنك في أهلك ؟ فقال : لا والله، ما يسرني أني في أهلي وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه[٢].

بل أحد أصحاب رسول الله فاق حبه كل حبّ وبرهنه بأمور تدل على خفايا حبه لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قلبه ما كان محصوراً على الدنيا أما الدنيا فقد تركوا المال والوطن وخرجوا مهاجرين في سبيل الله هذا مولى من الموالي يقال له ثوبان يكون بين أولاده وأهله في البيت فيستوحش لفراق رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيذهب إلى رسول الله ويقول : يا رسول الله إني كنت في أهلي ومالي فتذكرت موتي وموتك وعلمت أنك إن متّ أدخلك الله الجنة ورفعت

---

(١) رواه البخاري(٣٤٩١، ٥٩٠٩، ٦٢٥٧) عن عبد الله بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد(٢/ ٥٦) وصفة الصفوة(١/ ٦٤٩) والبداية والنهاية(٤/ ٦٥) وتأريخ الطبري(٢/ ٧٩)
وهو في زاد المعاد(٣/ ٢١٨) والرحيق المختوم ص(٢٥٩) ولكن فيهما أن صاحب القصة هو خبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأصل القصة في البخاري(٢٨٨٠، ٣٧٦٧، ٣٨٥٨، ٦٩٦٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مع النبيين وأما أنا إن أدخلني الله النار فلا أراك أبداً وإن أدخلني الله الجنة كنت في منزلة أدنى من ذلك فتنزل الآية من سورة النساء:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ٧٠ ﴾[النساء٦٩ـ ٧٠][1].

أبو طلحة الأنصاري الرجل التاجر الذي دخل في الإسلام بهداية امرأة يقال لها أم سليم جاء يخطبها وهو لا زال على الشرك فقالت له أم سليم : يا أبا طلحة إن مثلك لا يردّ هو صاحب ذهب وفضة قالت له : إن مثلك لا يردّ ولكن أنت رجل مشرك وأنا امرأة مسلمة فإن أسلمت كان مهري الإسلام فيسلم أبو طلحة ويعمل أعمالاً عظام[2].

وبرهن على ذلك في مواقف عظيمة يوم أحد حينما نُحِر من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قرابة السبعين وهجم المشركون على رسول الله أما أبو طلحة فقد كان رامياً إن مرّ رجل بنباله أمره رسول الله أن ينثر نباله لأبي طلحة وكان رامياً وهو القائل :

أنا أبو طلحة واسمي زيدُ وفي كل يوم في جعبتي صيدُ

كان مشهوراً بالرماية فلقد دافع عن رسول الله ورأى رسول الله قد أشرف لينظر في المعركة فقال : فداك أبي وأمي يا رسول الله لا تشرف على القوم أخشى

(١) صحيح بشواهده: انظر: فقه السيرة ص(١٩٩) تحقيق الألباني، وانظر: الصحيحة(٢٩٣٣)
(٢) صحيح: رواه النسائي(٣٣٤١) وابن حبان (٧١٨٧) وأبو داود الطيالسي(٢٠٥٦) وغيرهم من حديث انس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في:أحكام الجنائز (٢٤- ٢٦) وفي تحقيقه لسنن النسائي (٣٣٤١) وصححه أيضا شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان حديث رقم (٧١٨٧).

أن يصيبوك بأذى فنحري دون نحرك وصدري دون صدرك ، هذا حال أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

وأما سعد بن الربيع فعند انتهاء المعركة قال رسول الله : { من ينظر لي سعد بن الربيع ؟ فقال أحد الصحابة أنا قال : التمسه أهو في عداد القتلى أم من الأحياء فجال جولة في أحد يبحث عن هذا الصحابي الجليل فوجده في آخر رمق فقال : يا سعد أرسلني رسول الله انظر أنت في عداد الموتى أم من الأحياء قال : فأبلغ رسول الله السلام وقل له : أنا في عداد الموتى وسله أن يستغفر لي وأبلغ سلامي على أصحابه وقل لهم : لا عذر لكم إن خلص المشركون إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفيكم عينٌ تطرف[٢] . موقف عظيم .

وموقف آخر للصديق فلقد سمع الفاروق عمر من يفضله على أبي بكر فقال عمر : كيف يكون ذلك ؟ فوالله لليلة من أبي بكر مع رسول الله أفضل من عمر وآل عمر[٣] .

وتأملوا قصة أبي بكر وذلك أنه كان في مكة قبل الهجرة هاجر الأصحاب ولم يأذن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأبي بكر في الهجرة فرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدخر أبا بكر ليكون رفيقاً له فيؤخره وكان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يزور أبا بكرٍ إما في الصباح وإما في العصر من كل يوم وفي يوم يزور المصطفى دار أبي بكر وقت الظهيرة فيقول أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله ما جاءنا هذه الساعة إلَّا لحاجة أو لأمر قد حدث فيدخل رسول الله وقت الهاجرة

(١) انظر: هذه القصة في: البخاري(٢٧٢٤، ٢٧٤٦، ٣٦٠٠، ٣٨٣٧) ومسلم(١٨١١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: مستدرك الحاكم(٤٩٠٦) والجهاد لابن المبارك(٩٤) وزاد المعاد(٣/ ١٧٢) والبداية والنهاية(٤/ ٣٩) وتأريخ الطبري(٢/ ٧٢) وغيرها من كتب الحديث والتاريخ والسير.

(٣) انظر: مستدرك الحاكم(٤٢٦٨) وتحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق ص(١٢٦) .

فيقول : { يا أبا بكر أخرج من في البيت قال : إنما هم أهلي وأهلك يا رسول الله قال : قد أذن لي بالهجرة قال : الصحبة قال : الصحبة } وافقه على ذلك فبكى أبو بكر قالت عائشة : والله ما كنت أدري بأن أحداً يبكي من الفرح

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها روح تسيل فتقطر

فيبكي أبو بكرٍ لأي شيء يبكي ؟ يبكي من الفرح .

طفح السرور عليّ حتى إنني من عظم ما قد سرني أبكاني

فيفرح أبو بكر لأي شيء يفرح ؟ لمرافقة الحبيب محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيهدي لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- راحلة فلم يقبلها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلَّا بالثمن ثم يخرجون من مكة فيختفون في غار ثور ثلاثة أيام فضحى أبو بكر بنفسه وأرسل المشركون الرصد والطلب لكن الله أرجعهم خائبين

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

عناية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ من الأطم

يحفظ الله نبيه وصاحب نبيه { ما ظنك باثنين الله ثالثهما }[1] فكان الله ثالث الإثنين حماهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتتواصل المسيرة المباركة فكان أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتقدم ويتأخر فيقول له رسول الله : { رأيت من أمرك عجباً يا أبا بكر قال : أتذكر الرصد فأتقدم عليك ثم أتذكر الطلب فأتأخر } فكل هذا حرصاً على

(١) متفق عليه: البخاري(٣٤٥٣، ٣٧٠٧، ٤٣٨٦) ومسلم(٢٣٨١) .

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[١] .

فيا معاشر المؤمنين :

هذا أمرٌ من الأهمية بمكان فلا والله لا سعادة لنا ولا هناء في معيشتنا ولا يمكن أن يكون لنا كرامة في الدنيا ولا في الآخرة إلَّا بتحقيق محبة محمدٍ عليه الصلاة والسلام نقدمه على ذواتنا وآبائنا وأبنائنا وأمهاتنا وعلى تجارتنا على شهواتنا وعلى مصالحنا نجعل رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قدوةً وقيادةً لنا في الدنيا لأنه في الآخرة هو الشفيع {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً }[الإسراء ٧٩] .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بسنة سيد الأولين والآخرين هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين .

(١) انظر: قصة الهجرة في: صحيح البخاري باب هجرة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه إلى المدينة (٣/ ١٤١٥) والرحيق المختوم ص(١٥٣ـ١٦٣) وسيرة ابن هشام(٣/ ٥ـ وما بعدها) وزاد المعاد (٣/ ٣٨ـ وما بعدها).

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا أمل ولا رجاء إلَّا في الله رب العالمين اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

معاشر المؤمنين :

ولم تكن المحبة مقتصرة على أصحاب رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- الذكور بل لقد كان للإناث مشاركات أيضاً وكان للصبيان أيضاً مشاركة فلقد كان المجتمع في ذلك العهد كلهم يهتف بهتافاتٍ ظاهرة أعني لفظية ومعنوية فكلها تعبر عن محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هكذا كان أصحاب رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- من الذكور والإناث من الصغار والكبار من الشباب والشبان فرفع الله ذكرهم وخلدهم على ممر الليالي والأيام فكان التأريخ واضحاً لكل من نظر فيه فلو تأملنا في دواوين الإسلام لم نر إلَّا صدقاً وبذلاً وجهاداً وتضحيةً وعبادةً فقد ضربوا أروع الأمثلة في كل ميادين الجهاد.

كن كالصحابة في زهدٍ وفي ورع ... القوم هم ما لهم في الناس أشباه

عباد ليلٍ إذا جن الظلام بهم ... كم عابدٍ دمعه في الخد أجراهُ

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم ... هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً ... يشيدون لنا مجداً أضعناه

ولقد كان تاريخهم أمراً يدرس في جامعات المسلمين بل والله في جامعات الكافرين يدرس منهج أصحاب رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- وحياة أصحاب رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- لأنه أمر من الأهمية بمكان في خلال ثلاث وعشرين عاماً يحول النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- بفضل الله جزيرة العرب ثم تبعت الدنيا بأسرها أنقذهم الله من براثين الفساد والكفر والإنحلال إلى نور الإسلام كما قال شاعر النيل :

أتطلبون من المختار معجزةً يكفيه شعباً من الأموات أحياه

أردت في هذه الخطبة أن أبعث القلوب وأن أحث القلوب على محبة محمدٍ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- عسى أن ييسر في خطبة قادمة في الردّ على المستهزئين بمحمدٍ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- وبيان عقوبة المستهزئين ، عسى الله أن ييسر ذلك .

إمام المسلمين فداك روحي وأرواح الأئمة والدعاة
رفعت منازلاً وشرحت صدراً ودينك ظاهر رغم العداة
وذكرك يا رسول الله زادٌ تضاء به أسارير الحياة
وغرسك مثمرٌ في كل صقعٍ وهديك مشرق في كل ذات
وما لجنان عدنٍ من طريقٍ بغير هداك يا علم الهداة
وأعلى الله شأنك في البرايا وتلك اليوم أجلى المعجزات
عليك صلاة ربك ما تجلى ضياء واعتلى صوت الهداة

يحار اللفظ في نجواك عجزاً وفي القلب اتقاد موريات
ولو سفكت دمانا ما قضينا وفاءك والحقوق الواجبات

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، أن يجعلنا هداة مهتدين وأن يعطنا ولا يحرمنا ، وأن يكن لنا ولا يكن علينا ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

عباد الله :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل ٩٠].

اذكروا يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ، وأقم الصلاة .

١٤ من شمائل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبعض أمور جهلها المسلمون

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

حديثنا معكم في هذه الجمعة لا سيما ونحن في بداية العام سواء كان العام الهجري منذُ هجرة المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يذكرنا بذلك التاريخ النبوي الشريف أو كان بالتأريخ الميلادي فها نحن في بداية العام فأحببت أن يكون حديثي معكم في هذه الجمعة عن بعض شمائل النبي محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تذكيراً واتعاظاً لمن أراد أن يتأسى وأن يقتدي بسيد البشر بالقائد العظيم بسيد الأولين والآخرين -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

إذا ملوك الورى صفوا موائدهم ... على شهي من الأكلات والأدم

صففت مائدة للروح مطعمها ... هدى من الوحي أو عذب من الكلم

كفاك عن كل قصرٍ شاهقٍ عمدٍ ... بيت من الطين أو كهفٌ من العلم

تبني الفضائل أبراجاً مشيدةً ... نصب الخيام التي من أروع الخيم

حديثي إليكم عن رجل لا يستطيع الواعظ أو الكاتب أو الأديب أن يحصر مناقبه وأوصافه وصفاته وشمائله إنه محمدٌ عليه الصلاة والسلام القائل: { إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق }[1] .

ذلكم الرجل الذي بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين أنار

(١) صحيح: رواه الحاكم(٤٢٢١) والبيهقي في الكبرى(٢٠٥٧١) والشهاب القضاعي في المسند (١١٦٥) ، وصححه الألباني انظر: الصحيحة(٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وعند أحمد(٨٩٣٩) والبخاري في الأدب(٢٧٣) والبيهقي في الشعب(٧٩٧٨) وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٢٣٤٩) والصحيحة(٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: { إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق }.

الله به عقول البشرية وزلزل به كيان الوثنية فكان أسوة في كل شيء يقول ربنا واصفاً إياه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة١٢٨].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب٢١].

حديثنا عن محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذلكم الرجل الذي يذكر اسمه مع اسم الإله كما قال حسان :

وشــق لــه مــن اسـمـه ليجله فذو العرش محمودٌ وهـذا محمدُ

أو ما سمعت المؤذنين يهتفون باسمه صباحاً ومساءً في كل أرجاء الدنيا

منائركم علت في كـل سـاحٍ ومسجدكم مـن الـعـبـاد خالي

أما سمعتهم يرددون : أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله لا شك أن هناك سراً عظيماً وراء هذه الكلمة المدوية شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فيا أمة الإسلام ويا أمة المختار يا من كنتم خير الأمم ببعثة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شرفكم الله على العرب والعجم والترك والبربر على أمة اليهود والنصارى وكانت أمتان تبعث منها الأنبياء أكثر من مائة وأربعة وعشرين ألف نبي كانوا من بني إسرائيل إلَّا أن رسالة هذا النبي نسخت تلك الشرائع كلها نسخت تلك الرسالات فيما أراد الله نسخه وأخذ الله العهد والميثاق على النبيين والمرسلين وأتباع النبيين والمرسلين إلى يوم الدين أن يؤمنوا بمحمدٍ

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقال لأمة اليهود ولأمة النصارى لا يقبل إنجيلكم ولا تقبل توراتكم بعد بعثة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإن تسموا بالنصارى أو بالمسيحيين أو بأي اسم أرادوه فتلك التسمية لا تغير من واقعهم شيئاً لا تنقلهم من النصرانية إلى أن يكون الله راضياً عن شريعتهم بعد بعثة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة٣].

فمن قال : إن رسوله موسى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كاليهود نقول : إن رسولنا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : { والذي نفسي بيده لو أن موسى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان حيا ما وسعه إلَّا أن يتبعني }[1] ولو قال قائل من أتباع المسيح -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما أكثر هؤلاء نقول : إن المسيح -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بشر بهذا النبي كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حاكياً عن عيسى بن مريم كلمة الله وروحه قال الله : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[الصف٦].

على أن هذا النبي الكريم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يقبضه الله بمعنى أنه رفع إلى الملكوت العليا هذه نصوص المسلمين وهكذا ما صحّ من نصوص التوراة في كثير من أناجيلهم ينزل آخر الزمان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويحكم بشريعة محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2] فلماذا كان الإتفاق من الأنبياء على نبوة محمدٍ

---

(١) حسن: رواه أحمد(١٤٦٧٢ ، ١٥١٩٥) وأبو يعلى(٢١٣٥) وابن أبي شيبة(٢٦٤٢١) والبيهقي في الشعب(١٧٦) عن جابر وحسنه الألباني: في الإرواء(١٥٨٩) والمشكاة(١٧٧).

(٢) روى البخاري(٢١٠٩، ٢٣٤٤، ٣٢٦٤) ومسلم(١٥٥) وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا وإماما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد}.

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان الخلاف من هؤلاء الأتباع الذين لم يعترفوا بنبوة محمدٍ عليه الصلاة والسلام والكون كله يعترف بنبوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد جاءت في كثير من الأخبار والبشرى التي تبشر بنبوته سواء كان ذلك عن طريق النقل أو عن طريق الجمادات قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن }[١] هذا حجرٌ إذا مرّ به رسول الله يقول : السلام عليك يا رسول الله فمن الذي أدراه وهكذا في حجة الوداع جمع الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مائة ناقة يريد أن يقربها قرباناً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فنحر ثلاثة وستين ناقة وكانت النوق والإبل تزدلف أي تقترب إلى رسول الله أيها ينحرها أولاً[٢] فمن أدرى هذه العجماوات أن هذا الذي ينحر إنما هو رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؟ .

معاشر المسلمين :

من أراد أن يرضى رضاءً لا سخط بعده في دينٍ فعليه بدين محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فليجعل شرعه قدوة وقيادة له في كل شيء من أموره فإن ذلك كفيل أن يغير مجرى حياته في كل شيء سواءً كان ذلك في أمور قلبية أو في أمور ظاهرية يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسولاً }[٣] فالطمأنينة كلها يوم أن تكون تابعاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام قال بعض الشعراء يرد على بعض المضطربين[٤]:

---

(١) رواه مسلم(٢٢٧٧) عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: مسند الإمام أحمد(١٩٠٩٨) وسنن أبي داود(١٧٦٥) وصحيح ابن خزيمة(٢٩١٧) ومستدرك الحاكم (٧٥٢٢) والإرواء(١٩٥٨) والمشكاة(٢٦٤٣) وكتب السير والتاريخ.
(٣) رواه مسلم(٣٤) عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) القائل: هو ابن الأمير الصنعاني كما في حاشية الروض الباسم لابن الوزير(٢/ ١١) وحاشية درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د : محمد رشاد سالم (١ / ١٥٩) .

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن والاه من كل عالم

فما خاب من يهدي بهدي محمد ولست ترى قارعاً سن نادم

أما شمائله فكفاه فخراً أن كان خلقه القرآن الكريم كما سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أخلاق محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالت: { كان خُلُقه القرآن }[1].

هذه العبارة حمالة لكل ما تعنيه من الفضائل ، فتأمل في القرآن ما أمر به القرآن وما نهى عنه القرآن فإن نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صارت شمائله منطلقة من هذا القرآن الكريم ، فلو أخذنا جانباً واحداً فإن القرآن يأمره بالصبر كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾[المدثر٧].

فكان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قدوة في باب الصبر متمثلاً أمر الله : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر٧].

مكث ثلاث عشر عاماً في مكة يؤذى من قبل القاصي والداني لا سيما بنو عمومته وأعمامه كأبي لهبٍ ومن شابهه فكانوا يضعون الأذى على بيته فإذا ما خرج يقول: { يا بني عبد مناف أي جوارٍ هذا؟ }[2].

فآذوه بكل ما يستطيعون وهو صابر صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبعد هذه الفترة يخرج من مكة مهاجراً إلى المدينة وحصل له في المدينة من الإبتلاء كان العدو في مكة ظاهرياً يكيد له العداوة ظاهراً فلما وصل إلى المدينة هناك تمثل عداءه في قوم تلبسوا بالإسلام ودخلوا في الإسلام دون أن يكونوا

(١) رواه مسلم(٧٤٦/ ١٣٩) وأحمد(٢٤٣١٤، ومواضع) وأبو داود(١٣٤٢) والنسائي(١٦٠١) وغيرهم.

(٢) انظر: البداية والنهاية(٣/ ١٢٢ـ ١٣٥) وطبقات ابن سعد(١/ ٢٠١) وتأريخ الطبري(١/ ٥٥٣) وسيرة ابن كثير (٢/ ١٢٢، ١٤٨) وسيرة ابن هشام(٢/ ٢٦٣).

مسلمين وإنما هم منافقون عياذاً بالله فأنزل الله سورة المنافقين ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[النساء ١٤٥].

وكان زعيم هؤلاء عبد الله بن أبي[١] هذا الرجل كان أستاذاً وممثلاً تتمثل فيه جماعة النفاق لأن الأوس والخزرج كانوا يريدون أن يجعلوا عبد الله بن أبي ملكاً لهم في المدينة وما بقي إلَّا أن يضعوا التاج على رأسه فلما قدم الرسول إليهم تركوا عبد الله بن أبي وأعطوا القوس باريها كان بعد ذلك احتفاؤهم واحتفالهم وقدوتهم محمداً -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكان ابن أبي يحقد كل الحقد على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فدخلوا في الإسلام بعد أن رأوا بعض الانتصارات في بدرٍ وما شابهها من الغزوات فكانوا يكيدون العداء ليلاً ونهار من أجل الفتك برسولنا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ورسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعرفهم ويعرف مخططاتهم ويعرف تحركاتهم وهو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صابر محتسب ، ولما مات عبد الله بن أبي خلع الرسول رداءه وأعطاه لابن أبي كفناً بل وصلى عليه على أن بعض الصحابة يستأذن أن يقتل عبد الله بن أبي فيقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {دعه لا تتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه}[٢].

فكان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يتحلى بالصبر ويتحلى به في المدينة أيضاً ، وهكذا في باب العفو والحلم فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: {كنت أمشي مع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه

(١) انظر: أخباره وكيده للإسلام والمسلمين في : سير أعلام النبلاء(١/ ٣٢١ ترجمة: ٦٥) وتاريخ خليفة(١١٤) والتاريخ الصغير(١ / ٣٥) والجرح والتعديل(٥ / ٨٩ – ٩٠) ومشاهير علماء الامصار(ت: ١٠٣) والاستيعاب(٦ / ٢٧٣) وأسد الغابة(٣ / ٢٩٦) وتهذيب الاسماء واللغات(/ ٢٧٦) ومجمع الزوائد(٩/ ٣١٧ – ٣١٨) والإصابة(٦ / ١٤٢ – ١٤٣) وتاريخ الخميس(٢/ ١٤٠) وإمتاع الأسماع(١/ ٩٩، ١٠٥، ١٢٠، ١٦٥، ٤٤٩، ٤٥٠) وغيرها.
(٢) متفق عليه: البخاري(٤٦٢٤، ٤٦٢٢، ٣٣٣٠)ومسلم(٢٥٨٤)عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم ضحك ثم أمر له بعطاء }[١].

وكان من تواضعه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يمشي مع المساكين ويأكل مع المساكين يعود المرضى ويشهد الجنائز يخصف نعله ويكنس بيته ويرقع ثوبه ويجلس لضيفه هذه كلها من أخلاق محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما أنه القائد العظيم فهو أيضاً الرجل المتواضع المتواجد مع أصحابه ومن صفاته وشمائله أن كان يحب الطيب ويكره الخبائث يكره الروائح الكريهة كرائحة البصل والثوم وما شابهها من الروائح حتى قال أنس رضي الله تعالى عنه: { ما شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- }[٢].

وكان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحب السواك[٣] ويكثر من استخدامه كان إذا قام من الليل يستخدم السواك[٤] وإذا أراد أن ينام يستخدم السواك وإذا دخل بيته أيضاً كان يستخدم السواك صلى الله عليه وعلى آله وسلم[٥] ومناقبه كثيرة :

ومنها : أن كان يقبل العذر إن جاء من يعتذر إليه قبل العذر منه وصفح عنه لأن الله يقول : ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾[الحجر٨٥].

---

(١) متفق عليه: البخاري(٥٤٧٢، ٥٧٣٨) ومسلم(١٠٥٧).
(٢) متفق عليه: البخاري(١٨٧٢، ٣٣٦٨) ومسلم(٢٣٣٠).
(٣) روى ذلك البخاري(٨٥٠ ، ٤١٨٤، ومواضع) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة مرض وفاته ودخول عبد الرحمن بن أبي بكر والسواك بيده . الحديث.
(٤) روى البخاري(٢٤٢، ٨٤٩، ١٠٨٥) ومسلم(٢٥٥) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن حذيفة قال: {كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك }.
(٥) روى مسلم(٢٥٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سُئلت:{بأي شيء كان يبدأ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا دخل بيته ؟ قالت بالسواك }.

وكان يسلم على من لاقاه لو تأملنا الآن في حال المسلمين ربما يمرّ عليك المارّ فلا يسلم عليك فكل واحدٍ منشغل بحاله وهكذا إن سلمت عليه ربما ردّ رداً بارداً إن قلت له : السلام عليكم ورحمة الله أنت تربح عشرين حسنة فيردّ عليك ليربح عشر حسنات يقول : وعليكم السلام[1] بل ربما صارت هذه عند بعض المسلمين من الموديلات القديمة يريدون غيرها من الألفاظ الدارجة أو مما غزينا به من قبل أعدائنا كمساك وصبحك بالخير وما شابهها من العبارات وترك هؤلاء أعظم تحية وهي تحية أهل الإسلام وتحية أهل الجنة قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾[الرعد٢٣ـ٢٤].

فإذا قلت لصاحبك : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته دعوت له بثلاث دعوات أما الدعوة الأولى فإنك تدعو له بالسلامة من كل شيء من كل آفة سلامة من الفقر ومن الذلة ومن النار ومن الخزي والعار فسرها بما شئت من أنواع السلام ثم تضيف إليه الرحمة بأن يرحمه الله ثم البركة أن يبارك الله في ماله وفي أهله وفي ولده ثلاث عبارات صار عند بعض المسلمين والعياذ بالله صار عندهم من الجهل لا تقول شيئاً آخر والله إنه الجهل لو علم المسلمون ما في ذلك من الخير لأكثروا بلغ ببعض الصحابة كعبد الله بن عمر رضي الله عنه أن كان يذهب إلى السوق دون أن يشتري شيئاً وإنما يجد الناس كثيرين في مجتمعهم فيقول : السلام عليكم فيسلم عليهم ليردوا عليه بالسلام[2].

(١) روى الإمام أحمد(١٩٩٦٢) وأبو داود(٥١٩٥) والترمذي(٢٦٨٩) والنسائي في الكبرى(١٠١٦٩) وصححه الألباني في: صحيح الترغيب(٢٧١٠) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال السلام عليكم . فرد عليه السلام ثم جلس فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- «عشر». ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال «عشرون». ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فرد عليه فجلس وقال «ثلاثون}.

(٢) صحيح: رواه مالك في الموطأ(١٧٢٦) والبخاري في الأدب المفرد(١٠٠٦) والبيهقي في الشعب(٨٧٩٠) وغيرهم عن الطفيل بن أبي بن كعب رضي الله عنه، وصححه الألباني في: صحيح الأدب المفرد(١٠٠٦)

وهكذا أيضاً كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أخلاقه الكرم والجود فقد كان جواداً كريماً حتى قال بعض من قال فيه قال : فليتق الله سائله ، بمعنى أنه كان إذا سئل عن شيء لا يرده أبداً حتى قال له قائل: وقد رأى عليه بردة يا رسول الله اكسنيها. فقال: نعم . فجلس النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال له القوم ما أحسنت سألتها إياه لقد علمت أنه لا يرد سائلا . فقال الرجل والله ما سألته إلَّا لتكون كفني يوم أموت }[1].وعلى أية حال يقول عبد الله بن عباس : {كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أجود بالخير من الريح المرسلة}[2]. ويأتيه ضيف مرة فيرسل إلى أبياته وكان له تسع بيوت فيسأل في بيته هل عندكم من عشاء لهذا الضيف ؟ فكل بيوته ليس فيها عشاءٌ لا لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا لضيف رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الرجل الذي اهتز به العالم.

قال شوقي :

أتطلبون من المختار معجزة يكفيه شعباً من الأموات أحياه

لم يجد لقمة عشاء في بيته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فينادي في أصحابه : { من يضيف ضيف رسول الله ؟} فيقول أبو طلحة : أنا . فيأخذه إلى بيته فيعشي الضيف ويبيت هو وأهله وأولاده جياعاً ليشبع ضيف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم }[3] وهكذا في فتح مكة وما شابهها من الفتوح كان يعطي من الإبل

(١) رواه البخاري(١٢١٨، ١٩٨٧، ٥٤٧٣، ٥٦٨٩) عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) متفق عليه: البخاري(٦، ١٨٠٣، ٣٠٤٨، ٣٣٦١، ٤٧١١) ومسلم(٢٣٠٨) وغيرهما
(٣) انظر: البخاري(٣٥٨٧، ٤٦٠٧) ومسلم(٢٠٥٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المائة ومن الغنم ما بين الجبلين حتى نادت الأعراب بعضها بعضاً : هلموا إلى محمدٍ فإنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وهو القائل لبلال: { انفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً }(١).

هذه حياة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهكذا حياته كلها حافلة بالخير والتضحية والبذل والتربية فيكفيه أنه ربى أصحابه رباهم على الخير حتى صار أصحابه رضوان الله عليهم تأريخاً يتحدث وإذا أردت ذلك فاقرأ في سير أعلام النبلاء لتجد القدح المعلا لأصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اقرأ في كتب السير تجد أن أعظم طبقة من الرجال بعد محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هم أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

كن كالصحابة في زهد وفي ورع القوم هم ما لهم في الناس أشباه

عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابدٍ دمعه في الخدّ أجراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

فحياة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طب القلوب والله وأنس الحياة والله فتباً لمن جهل حياة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولمن لم يرفع رأساً بتأريخ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتباً ثم تباً لمن لم يجعل حياة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قدوة وقيادة له فإنه في هوة سحيقة ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير(١٠٢٠) والبزار(١٩٧٨) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه الطبراني في الكبير(١٠٢٤، ١٠٢٥) والأوسط(٢٥٧٢) وأبو يعلى(٦٠٤٠) والبيهقي في الشعب(١٣٤٥) من حديث ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء من حديث بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني في الكبير(١٠٩٨) والبزار(١٣٦٦) ومن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البيهقي في الشعب(١٤٦٦).
وصححه الالباني في: صحيح الجامع(١٥١٢) والمشكاة(١٨٨٥) والصحيحة(٢٦٦١).

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾ الشورى٥٣ـ ٥٤].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم ، وانفعنا وإياكم بسنة سيد الأولين والآخرين ، هذا ما قلته لكم واستغفروا الله فيا فوز المستغفرين .

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

معاشر المسلمين :

إن الذي حصل عند المسلمين حينما رغبوا عن سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهديه إنما هو والله بسبب الجهل فصار أكثرنا عالماً بأمر دنياه لكنه جاهل في أمر الدين ويرضى من الدين باليسير مما انطلى على بعض المسلمين ما نشر في مجلة المستقلة العدد الأخير عن رجل ورسموا صورته على حقيقتها هذا الرجل يدعي أنه المهدي المنتظر وأجرت الصحيفة معه حوارات كثيرة وهو يجيب وكأنه بحر خضم من العلم ومن قرأ ردوده تبين أنه كذاب أفاك وعلم أيضاً أن تلك الصحيفة الله أعلم من يحركها لا يدرى ما هي الأيادي التي تعمل لها أو لصالحها هذه الجريدة جريدة المستقلة ترسم هذا الرجل أقول : تصوره ثم تحاوره على أنه المهدي المنتظر وهذه الحقيقة حقيقة المهدوية هي حقيقة شرعية نبوية لكنه قد تزعمها كثير من الكذابين ففضحوا في هذا الزمان وفي غيره من الأزمان فقبل تسعة وعشرين أو ثمانية وعشرين عاماً ظهر من يدعي المهدوية في أرض الحرمين وحصل ما حصل من القتال في بيت الله الحرام وهكذا يطلع واحدٌ في دول الخليج وآخر في مصر ويطلع في أمريكا هكذا ونبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وضع لذلك علامات وأمارات لا ينبغي أن تنطلي على العلماء والمثقفين فضلاً عن المسلمين الذين يعودون بقضاياهم إلى علمائهم وإلى مفتيهم يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي (من ولد فاطمة) [1] يواطئ اسمه

(١) عند أبي داود برقم(٤٢٨٤) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

اسمي و اسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جور} [١]. وأفصحت الأحاديث أنه خليفة لا أنه رجل من أجل حفنة من المال فيجب على المسلم أن يتقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في نفسه وفي مثل هذه القضايا أن يتواصل مع أهل العلم كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾[النحل٤٣ - والأنبياء ٧].

وهكذا قبل سنتين يظهر رجلٌ في منطقة عدن ويقول إنه نبي ثم أخذه بعض الشباب فأكرموه بالطعام فأكل الكثير وطيب القدور حتى قال له بعض الشباب ما كنا ندري أن هكذا شأن الأنبياء أن ينظفون ويلعقون الصحون إلى آخرها قالوا له : لما لا تخرج الآن تدعو الناس قال : الناس مشغولين الآن بالصيام وهكذا بكسوة العيد ولكن نبدأ بعد العيد نتحرك وما أكثر هؤلاء المدعين ورسولنا يقول :{ لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين ؛ كلهم يزعم أنه رسول الله }[٢].

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي }[٣].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود(٤٢٨٢) وروى بعضه أحمد(٣٥٧١، ومواضع) والترمذي(٢٢٣٠، ٢٢٣١) وغيرهم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: صحيح الجامع(٥٠٧٣، ٥٣٠٤، ٧٢٧٥، ٨١٦٠) والمشكاة(٥٤٥٢) والصحيحة(١٥٢٩).
فائدة: قد ذكر الكتاني في نظم المتناثر أحاديث خروج المهدي عن عشرين صحابيا ثم قال وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها متواترة والسخاوي ذكر ذلك في فتح المغيث ونقله عن أبي الحسن الآبري. انظر التعليق على المسند لشعيب(١/ ٣٧٦ حديث رقم: ٣٥٧١)

(٢) متفق عليه: البخاري(٣٤١٣، ومواضع) ومسلم(١٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه أحمد(٢٢٤٤٨) وأبو داود(٤٢٥٢) والترمذي(٢٢١٩) وابن ماجة(٣٩٥٢) وابن حبان(٧٢٣٨) والحاكم(٨٣٩٠) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(١٧٧٣، ٧٤١٨) والمشكاة(٥٤٠٦) والصحيحة(١٦٨٣). عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فختم الله النبوة والرسالة بمحمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفي عصر الدولة العباسية ظهر من هؤلاء الدجالون الكذبة الذين يفترون على الله الكذب بسبب بعض الأمراض التي تؤثر على عقولهم فيدعون النبوة والرسالة حتى إن واحداً أمر به هارون الرشيد أن يسجن في غرفة ثلاثة أيام وقال : أكلوه بيضاً ودجاجاً وبعد ثلاثة أيام قال له : هل أوحي إليك شيء ؟ قال : أوحي إلي أن لا أبرح هذه الغرفة فعلم هارون أنه رجل فقير فأعطاه شيئاً من المال ولم يعاقبه وإلا كان الأولى أن يضرب عنقه لأنه يدعي شيئاً مستحيلاً فلا نبي بعد محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا رسول بعد محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب٤٠].

فهذه العلامات الموجودة وما نحن فيه من الخير لا تؤذن في مثل هذه الأيام بظهور المهدي وإنما في آخر الزمان هو حقيقة لا ينبغي أن نتجاهلها كذلك أيضاً ليس بمهدي الشيعة الرافضة الذي يدّعونه وهو محمد بن العسكري الحقيقة لا أقول حقيقة وإنما السراب الذي تدعيه الرافضة رافضة إيران وينتظرون خروجه من سرداب سامرا هذه خيالات ليست بحقيقة أما مهدي المسلمين فيكون خروجه ثم يستمر سبعة أعوام ثم يكون عقبى ذلك نزول عيسى بن مريم وهذا يكون في آخر الزمان فلا ينبغي أن ينطلي مثل هذا الزور والبهتان على عقول المسلمين ولا زال المسلمون في خير الناس يملؤون المساجد والخير موجودٌ في هذه الأمة.

ومما ينبغي أن يتنبه له غفلة كثير من المسلمين عن دينهم وعن تعاليمهم وعن مستقبلهم الحقيقي في الدنيا والآخرة وهو دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

يا معاشر المسلمين :

أصبح الكثير منا ولا حول ولا قوة إلَّا بالله لا يبالي بمأكله ومشربه ولا يبالي بأمواله أمن حلال أو من حرام في كثير من الأحيان تجد من المسلّمات وتزاحم في ذلك المسلمون الذين يؤدون الصلوات الخمس في جماعة من ذلك قضية اليانصيب التي شغلت المسلمين اليوم وصار المسلمون يهرعون وراءها مثل ما هرع من هرع في دول الخليج بعد الأسهم فحصل لهم تلك العاصفة التي جعلت كثيراً منهم موتى في قبورهم وآخرين في المصحات ، بعضهم يعاني من جلطات ونوبات قلبية وهستيريا بل ومجانين وهكذا بسبب أنهم كانوا لا يقرّ لهم قرار إلَّا أن يدخلوا فيما يتعلق بمسألة الأسهم مسألة اليا نصيب في بعض الأمور يعني من اليا نصيب الذي هو قليل أو مدخله قليل تجد في كثير من الأسواق من المسلمين من جمع له بعض السلع وجعلها على كرتونه ثم جعل سهماً يدور عليها ثم تدفع أنت خمسين أو مائة ريال لتحظى مثلاً بمسجلة أو بسلعة قدرها ألف ثم هذا الشيطان يبرمجها على أشياء إذا دفعت المائة تأخذ سلعة بخمسة ريال أو بعشرة ريال فيقول : والله يعني حظك ما هو تمام وهكذا هذا من القمار لأن ضابط القمار كل لعبة يدخل فيها شخص غارم أو غانم فإذا غنم فهو قمار وإذا غرم فهو قمار يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة ٩٠ـ ٩١].

وهكذا ما يتعلق برسائل الجوالات التي أشغلت المسلمين فلان فاز بمليون وخمسمائة وآخر باثنين مليون وهكذا أيضاً ما يتعلق بالشرائك وما تعلنه فيما يتعلق بالإلكترونيات وفي المواد الغذائية ففتن المسلمون ولا حول ولا قوة إلَّا

بالله فيظل عاكفاً على مثل هذه الأشياء من أجل أن يربح ثم قد يخسر أكثر مما يربح فهذه أيضاً بارك الله فيكم ينبغي بل يجب أن تترك وأن تسأل الرزق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فخزائن الملك بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال عز من قائل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة١٨٦].

لو تأملنا في هذه الشركات مثلاً شركة تبيع البسكويت ثم هناك خمس شركات تبيع بسكويت من هذا النوع أو من أنواع أخرى فهذه الشركة جعلت لها دعايات وجعلت لها الدعايات في الصحافة في التلفاز في كثير من الجهات الإعلامية لترويج بضائعها فربما أثرت على إكساد بضائع الآخرين وكان الأولى أن يرزق الناس بعضهم بعضاً فكل واحدٍ يبيع قد يقول قائل : لماذا لا ينافس الآخر نقول : إن في ذلك غرر على كثير من المسلمين هناك تغرير عند كثير من المسلمين أذكر في مرة من المرات بعض شركات السيجارة جعلت لها دعايات في هذه السيجارة فاشتريت الكراتين الكبيرة من أجل أن يحظى بسيارة ثم بعد ذلك أتلفها بل أعطاها لمن يشرب السجائر هل يريد من وراء ذلك القربة هذا يعتبر من الإسراف ومن التبذير أيضاً ، شغل المسلمون ولا حول ولا قوة إلَّا بالله بهذه الدنيا ويا ليت كان أمراً مباحاً لكنهم شغلوا فيما لا تحمد عقباه فإن الواجب على المسلم أن يسأل العلماء وأن يعود إليهم في أموره صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها يسأل أهل العلم كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل٤٣ ، والأنبياء ٧].

فتواصلوا مع الشيخ العمراني مفتي اليمن وسلوه في مثل هذه القضايا ليعطيكم الفتوى الشرعية المدعمة بالأدلة من كتاب الله ومن سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلا ينبغي للمسلم أن يكون عالماً بالدنيا لكنه جاهلٌ

بأمر الدين على أنك سوف تترك هذه الدنيا أو تتركك هي فإما أن تغادر أنت منها وإما أن تصير صفر اليدين كما حصل عند الكثير من المسلمين أغناهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم لم يشكروا هذه النعمة فسلب الله الملك من بين أيديهم فصاروا صفر اليدين .

أَبُنَـي إن مـن الرجـال بهيـمة في صورة الرجل السميع المبصر

فطـن بكل مصيـبة فـي مـالـه وإذا يصاب بـديـنـه لـم يشعـر[1]

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح وأن يرينا الحق حقاً فيرزقنا اتباعه والباطل باطلاً فيرزقنا اجتنابه ، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا دينا إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته ، اللهم اكرمنا بسنة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، اللهم اصلح أحوالنا وأحوال المسلمين أجمعين يا رب العالمين ، اللهم اصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا واصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا واصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، اللهم اعطنا ولا تحرمنا ، اللهم انصر عبادك المؤمنين يا رب العالمين ، اللهم عليك باليهود الغاصبين ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين. وأقم الصلاة .

(١) انظر: أدب الدنيا والدين ص (١١١ - ١١٢) .

١٥ أهمية الوقف ومنافعه ومصارفه

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

عباد الله : لا يخلو مجتمع من ظروف طارئة تداهمه يختل فيها ميزان العدالة وتضطرب المستويات المعيشية عند بعض الناس لعجز ينزل بهم فيقعدهم عن العمل والإنتاج أو لقلة مواردهم الطبيعية أو الحروب أو الكوارث الخاصة أو العامة وقد يصل هذا الاختلال إلى حدٍّ قاسٍ ينعدم معه توفر الحدّ الأدنى من الكفاية المعيشية وهذا ما افترضه الإسلام ورتب له الحلول الإيجابية الحاسمة من أجل رأب الصدع وإعادة التوازن المعيشي قدر الإمكان في المجتمعات والنهوض بها نحو مزيد من التنمية الشاملة والعطاء المستمر وقد شرع لتحقيق ذلك أو شرع لتحقيق ذلك مجموعة من التدابير والأدوات والوسائل مثل زكاة المال وصدقة الفطر والوصية والكفارة وغير ذلك مما شرعه الإسلام في هذا الصدد ومما شرعه مسألة الوقف الخيري ومعنى الوقف : هو التنازل عن ملكية المال مؤبداً لله تعالى من أجل أن ينتفع به الناس وذلك كوقف المساجد ليصلي فيها الناس ووقف المدارس ووقف مياه الشرب في الطرق والأسواق وبداية أمر الوقف كان ذلك حينما ندب الإسلام إليه ورغب فيه واعتبره من أفضل الطاعات المستمرة التي يتقرب بها المسلم إلى خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال :{ إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلَّا من ثلاثة إلَّا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له }[1].

(١) رواه مسلم(١٦٣١) والبخاري في: الأدب المفرد(٣٨) وأحمد(٨٨٣١) وأبو داود(٢٨٨٠) والترمذي (١٣٧٦) والنسائي(٣٦٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وروى ابن ماجة(٢٤١) عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه: { خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة تجري يبلغه أجرها وعلم يعمل به من بعده } وصححه الألباني: صحيح الترغيب(٧٩، ١١٣)

قال أهل العلم: الصدقة الجارية هي الوقف، ولما هاجر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى المدينة لم يكن فيها ماء حلو عذب سوى بئر روما وكانت لرجل شحيح النفس يغالي في بيع مائها فرغب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في شرائها قائلاً: {من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتراها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ}(١). {بخمسة وثلاثين ألف درهم}(٢).

فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك}(٣) اجعلها سقاية ـ أي سبيلاً للمسلمين.

ثم شاع الوقف بين الصحابة وانتشر بعد ترغيب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى قال جابر بن عبد الله: لا أعلم أحداً من الصحابة كان ذا مقدرة وذا مال إلَّا وقف مالاً في سبيل الله، وكان من جملة ما أوقفوه المساجد والآبار والمزارع وبيوت ابن السبيل وأدوات الجهاد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أثنى على خالد بن الوليد حينما أخبر أنه منع الصدقة فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا فقد احتبس ـ أي أوقف ـ أدراعه وأعتاده في سبيل الله}(٤).

هذا فيما يتعلق بترغيب الإسلام بالوقف الخيري الذي يكون سبباً لتنمية

(١) صحيح: رواه الترمذي(٣٧٠٣) والنسائي(٣٦٠٨) وروى بعضه البخاري(٢٦٢٦) وعلق بعضه(٢/ ٨٢٧) في: كتاب المساقاة والشرب وفي(٣/ ١٣٥١) كتاب فضائل الصحابة: منا قب عثمان .عن عثمان رضي الله غنه

(٢) رواه الطبراني في الكبير(١٢٢٦) وعند الدرقطني (٤/ ١٩٤ رقم: ١)[أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشتراها بعشرين ألفا أو خمسة وعشرين ألفا] الشك من حصين بن عبد الرحمن أحد رواة الحديث.

(٣) صحيح: رواه أحمد(٥١١) والنسائي(٣٦٠٦، ٣٦٠٧) عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الألباني في: المشكاة (٦٠٦٦ / التحقيق الثاني) والمختارة (٣٣٠ - ٣٣١) صحيح.

(٤) متفق عليه: البخاري(١٣٩٩) ومسلم(٩٨٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

المجتمع وقبل ذلك هو قربة إلى الله يجري لصاحبها خيراً في الدنيا والآخرة ما جرت هذه الصدقة .

أما أهداف الوقف: فللوقف غايتان كليتان تتفرع عنهما غايات جزئية وهاتان الغايتان الكليتان : أولاهما : غاية دينية تعبدية كما أسلفت ، وغاية إجتماعية تنموية .

أما الغاية الدينية التعبدية : فتمنح المسلم مزيداً من الفرصة التي يمكنه من خلالها استدراك ما فاته والتقرب إلى الله تعالى بما يوفقه من أعمال البر التي يستفيد من ثوابها ما دام الناس ينتفعون بها .

أما صور ميادين الوقف في الإسلام قلما يجد الإنسان مع امتداد رقعة البلاد الإسلامية مدينة أو قرية ليس فيها وقف فقد بلغ المسلمون عبر العصور الذروة في التسابق على وقف المرافق الخيرية لتحقيق النهضة والتنمية الإنسانية في جوانبها المادية والمعنوية وأقبلوا رجالاً ونساءً على الوقف بحماسٍ وإخلاص ومما أوقفوه ما يلي :

أوقفوا أرضيات المساجد وهذا في كثير من بقاع المسلمين كالأزهر الشريف مثلاً وكجامع صنعاء أوقفوا المساجد ومرافقها ولوازمها وما يقوم ومن يقوم بها من إمامة وخطابة ونظافة وإضاءة وإصلاح ، كذلك أيضاً أوقفوا المدارس وتوابعها وأوقفوا أرضيات المستشفيات ومستلزماتها وأوقفوا المكتبات العامة كما هو حاصل في مصر والعراق ودمشق والقيروانة وتركيا واليمن وهذا معلوم لمن تأمله فهناك وزارات تسمى بوزارات الأوقاف إنما كانت هذه الوزارات وزارات حينما كان هناك أوقاف للمسلمين يوم أن رغبوا فيما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فأوقفوا تلك الأرض ملتمسين القربى من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والأجر والثواب

هذا ما يتعلق بالغاية التعبدية من الغايات المترتبة على الوقف الخيري .

أما الغاية الإجتماعية التنموية فبالوقف تغرس السعادة في نفوس الناس وذلك بتأمين احتياجاتهم وتوفير مطالبهم المعيشية وإعانتهم على تجاوز الظروف الصعبة التي نزلت بهم والإرتقاء بحياتهم وتيسير أسباب التنمية والإنتاج وتيسير أسباب الحياة الكريمة سواءً كان ذلك غذاءً أو علاجاً مسكناً أو علماً أو حياة مزدهرة ، وهذا ما ندب إليه الإسلام وحث عليه كما تقدم لكم في الحديث الصحيح : { إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث ومنها : صدقة جارية }[١].

وجاء في صحيح البخاري : أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر فأتى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يستأمره فيها فقال يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمر به ؟ قال: { إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها } . قال فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول}[٢].

بمعنى أنها لا تباع ولا توهب ولا يرثها وراث عمر وإنما هي وقف لله أما من حيث محاصيلها الزراعية فإنها تصرف: { في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول }

هذا يكون فيه عون لذوي الإعسار من المسلمين .

---

(١) في مسلم: وقد سبق قريبا.
(٢) متفق عليه: البخاري(٢٥٨٦، ومواضع) ومسلم(١٦٣٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أما ما يتعلق بأصناف الوقف : أباح الإسلام للإنسان أن يقف على أهله وذريته وأقربائه ليساعدهم على ما يواجههم في حياتهم من مصاعب ومفاجئات شريطة أن لا يكون هناك إضرار بالورثة ولا إضرار بالنساء فقد قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه }(١).

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { لا ضرر ولا ضرار }(٢) ولكن انطلاقاً من مفهوم: {الأقربون أولى بالمعرف }(٣) فيجوز للمسلم أن يوقف على أهله وذريته .

جاء في صحيح البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس فلما أنزلت هذه الآية ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾[آل عمران٩٢]. قام أبو طلحة إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال يا رسول الله إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾[آل عمران٩٢] . وإن أحب

(١) حسن: رواه أحمد(١٥٧٩٣) وأبو داود(٣٦٣٥) والترمذي(١٩٤٠) وابن ماجة(٢٣٤٢) وغيرهم عن أبي صرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في: الإرواء(٨٩٦) وصحيح الجامع(٦٣٧٢).

(٢) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أحمد برقم(٢٨٦٧، ٢٢٨٣٠) وابن ماجة برقم(٢٣٤٠، ٢٣٤١) من حديث ابن عباس وعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وأخرجه الدارقطني برقم(٢٨٨) والحاكم برقم(٢٣٤٥) والبيهقي في الكبرى(١١١٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
ورواه مالك في الموطأ (١٤٢٩) مرسلاعن عمرو بن يحي عن أبيه عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأسقط أبا سعيد . وانظر: صحيح الجامع(٧٥١٧) والصحيحة(٢٥٠) والإرواء(٨٩٦) وغاية المرام(٢٥٤) وغيرها.
قال الألأباني في الإرواء(٣/ ٤٠٨) روي من حديث عبادة بن الصامت وعبد الله بن عباس وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وجابر بن عبد الله وعائشة بنت أبي بكر الصديق وثعلبة بن أبي مالك القرظي وأبي لبابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

(٣) أخرجه السخاوي في: المقاصد ص(٣٤) وقال الألباني في: الضعيفة(٣٧٦) لا أصل له .
ويغني عنه قوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[البقرة١٨٠]وقوله تعالى:﴿ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة٢١٥] .وحديث أبي طلحة الآتي بعده { أرى أن تجعلها في الأقربين } .

أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين} . فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه }[١]. لا يتناولها غيرهم من المسلمين .

هذا يسميه الفقهاء بالوقف الأهلي أو بالوقف الذري وهو ما أرشد إليه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبا طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال له : { أرى أن تجعلها في الأقربين } .

كما شرع الإسلام الوقف على غير الأقارب وهو الحاصل عند المسلمين اليوم من عامة الناس حيث يبادر الراغب في فعل الخير إلى تقديم المنافع والخدمات المجانية إلى أصناف وفئات متنوعة من المجتمع كما فعل عثمان وعمر بن الخطاب أما عمر فحينما أوقف أرض خيبر[٢].

وأما عثمان فحينما وقف بئر روما لعامة سكان أهل المدينة[٣].

هذا ما يسمى بالوقف الخيري أو بالوقف العام تسمعون بعض تفاصيله في الخطبة الثانية إن شاء الله .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

---

(١) متفق عليه: البخاري(١٣٩٢، ومواضع) ومسلم(٩٩٨).
(٢) متفق عليه: وقد سبق قريبا.
(٣) صحيح: وقد سبق قريبا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

معاشر المؤمنين :

سمعتم إلى حرص الإسلام وحثه على الوقف الخيري وسمعتم بعض التفاصيل وغايات الوقف التعبدية والخيرية ، كذا عباد الله : أحاط الإسلام الوقف الخيري بتنظيم دقيق وضبطه بأحكام مفصلة من أجل حماية هذا الصرح الخيري من الأهواء والأطماع والأنانية التي تلاحظ في أصحاب النفوس الضعيفة الذين ينحرفون بالأعمال الخيرية عن مسارها النبيل ويحولونها إلى مصالحهم الخاصة لذلك أوجب الإسلام أن يتولى أمور الوقف الرجل القوي الأمين ذو الكفاءة والمقدرة والنزاهة وحسن السلوك والسيرة كما شرع الإسلام محاسبة هذا الرجل الأمين للتحقيق من سلامة إدارته للوقف وحسن استثمار أمواله وتحري العدالة في توزيع منافعه على مستحقيه ، هذا وقد أجاز الإسلام تأجير الوقف تنمية لموارده وتوجيهاً لها إلى المزيد من مجالات تحقيق الخدمة الإجتماعية التطوعية المجانية كما سمح ببيع الوقف الخرب أو المعطل الذي لا يمكن الإنتفاع به ثم شراء ما يقوم مقامه وتوجيهه لمنفعة الناس ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، كذلك يا أمة الإسلام مما هو مشاهد اليوم ما يندى له الجبين التلاعب بأوقاف المسلمين التي أوقفت منذ عصور متقدمة فمن الناس من لا يخاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ذلك فيخبط في ذلك خبط عشواء ، جاء الوعيد الشديد فيمن نهب أو اختلس أو حول مسار الوقف على غير تعيين واقفه

الصحيح فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾ [البقرة١٨١] وتأمل حينما ختم الآية بهذين الاسمين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سميع بما أوقف الواقف عليم بهذا الوصي أو الناظر هذا المسئول الذي حول مسار هذا الوقف عن نية أو إرادة صاحبه الواقف فذلك مقبور في أطباق الثرى وهذا يخبط بأمواله التي أوقفها ، لكن الله عَزَّوَجَلَّ قد علم نية ذلك الرجل فهو مأجور من حيث الأجر وهذا مأزور من حيث التغيير فالله المستعان فالواجب على المسلمين تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيمن كان قد بنى على أرضية وقف بنى بيتاً أو دكاكين أو أخذ ذلك عنوة مزرعة زرع فيها فليعلم أنه محاسب على ذلك بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ ولو كان هذا يحتج بأن الوقف خراب في خراب وأنه هناك من لا يرعى حقوقه فنقول : ادفعه إلى الجهات المختصة الذين مكنهم الله عَزَّوَجَلَّ من السلطان على الناس وأنت تكون قد أديت ما عليك فإذا أفسد غيرك فلن يكون عليك من الإثم شيء ، أما أن تأخذه أنت اختلاساً بحجة أنك إذا لم تأخذه أنت أخذه الغير يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[المائدة١٠٥].

كذلك أيضاً : نخاطب أهل اليسار من أهل الأموال والثراء أن يوقفوا أوقافاً لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد جاء في صحيح الإمام البخاري أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله. قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلَّا ماله أحب إليه قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر }[1].

والعكس أنك تجد الرجل يخلف أكثر مما يقدم فلمن يكون هذا الذي

(١) رواه البخاري(٦٠٧٧) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أخره؟ يخلفه لأهل الإرث ، على أنه لا بد من الجمع بين النصوص يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس }[1]. ولكن على حسب القدرة واليسار .

كذلك من مات أبوه وأراد أن يقدم له مصلحة فأحسن ذلك إيقاف الماء للمسلمين شرباً واستخداماً .

وجاء سعد بن عبادة إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال يا رسول الله إن أمي توفيت ولم توص أفينفعها أن أتصدق عنها قال: { نعم وعليك بالماء }[2].

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه والباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ، اللهم اعطنا ولا تحرمنا وكن لنا ولا تكن علينا ، اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته ، اللهم خذ بأيدينا إلى كل خير واصرف عنا كل شر وضير يا رب العالمين .

---

(١) متفق عليه: البخاري(٥٦، ١٢٣٣، ٢٥٩١، ٢٥٩٢، ٢٥٩٣، ٥٠٣٩، ٣٧٢١، ٤١٤٧، ٥٠٣٩، ٥٣٣٥، ٥٣٤٤، ٦٠١٢، ٦٣٥٢) ومسلم(١٦٢٨) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط(٨٠٦١) وصححه الألباني في: الصحيحة(٢٦١٥)وصحيح الترغيب(٩٦١) ورواه أحمد(٢٢٥١٢) وأبو داود(١٦٨١) والنسائي(٣٦٦٤) وابن ماجة (٣٦٨٤) وحسنه الألباني في: صحيح الترغيب(٩٦٢) ولفظه: أن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت يا رسول الله إن أمي ماتت فأي الصدقة أفضل؟ قال: الماء فحفر بئرا وقال هذه لأم سعد} وعند بعضهم بلفظ: { أي الصدقة أفضل ؟ قال سقي الماء }

عباد الله :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل ٩٠] .

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ، وأقم الصلاة .

١٦ حفظ المال

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين الكرام :

لقد اعتنى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بخلقه أعظم عناية حينما بعث إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب لئلا يكون للناس حجج بعد ذلك كما قال ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء١٦٥].

وكما قال جَلَّ وَعَلَا في محكم كتابه : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[المؤمنون١١٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل٨٩] وبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على وجه الخصوص امتنانه على هذه الأمة المحمدية بنبيها خاتم الأنبياء والمرسلين وهي خير أمة على وجه الأرض إلى قيام الساعة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾[المزمل: ١٥ـ١٩]

معاشر المؤمنين :

لقد أرسل الله الرسل إلى الأمم الماضية وكان حظ هذه الأمة بعثة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنزل الله الكتب وكان حظ هذه الأمة القرآن الكريم الذي جاء ناسخاً لكل الكتب التي سبقته فكان هذا الكتاب هداية ورحمة وشفاء للعالمين وإن من عنايته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن كان المراد من هذا الإنزال

ومن ذلك البعث حفظ ضروريات خمس يحتاج إليها البشر ففيها سعادتهم وفلاحهم في الدارين وبفسادها فيها خسارتهم في هذه الدنيا والآخرة هذه الضرورات عبر عنها العلماء بهذا الاسم حفظ الضرورات الخمس التي عليها قوام الحياة والمراد بها حفظ الدين وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ النفس وحفظ المال ، هذه الغاية من بعثة الأنبياء والرسل من أجل هذه الضرورات من أجل أن يسلم للناس دينهم .

الدين رأس المال فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

وحفظ العقل من أن يخالطه شيء من الريب والشك أو مما يزيغه من الخمور وغيرها ، وهكذا حفظ النسل من أن يتلطخ بقاذروات الزنا واللواط وحفظ النفس من القتل وحفظ المال من السرقة فإذا تأملت في مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجدت أن بعثة الأنبياء والرسل سعادة والله شهد بذلك ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشهد بذلك الراسخون من العلماء وشهد بذلك عقلاء كل أمة شهد بذلك العقلاء من كل أمة ففيهم العالم من المسلمين والعاقل من غير المسلمين شهدوا بأن هذا الدين هو سعادة للبشرية بأسرها .

والدين جاء لسعادة البشر ولانتفاء الشر عنهم والضرر

أردت في هذه الخطبة أن أتناول ضرورة من هذه الضرورات وبعدها يتبع إن شاء الله والمراد بذلك حفظ المال من السرقة ومن التبذر فيه في غير مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكن على وجه الخصوص أردت أن أتناول موضوع السرقة التي تساهل بها الكثير من المسلمين ، لا أقول من غير المسلمين لكن من المسلمين

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في محكم كتابه: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[المائدة٣٨] تفيد هذه الآية أن السرقة من كبائر الذنوب والآثام لما ترتب عليها من الحد في هذه الدنيا ولما كان في لفظ الآية من التنفير والقبح ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[المائدة٣٨] .

ولقد ذكر الإمام الذهبي في كتابه الكبائر: أن من كبائر الذنوب والآثام السرقة ، ويبين -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- فداحة ذلك بتصديره لعناً على من سرق فيقول كما في الحديث الصحيح: { لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده}(١).

ولقد سرقت امرأة زمن النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- هذه المرأة كانت من قبيلة قوية كانت المرأة مخزومية من أسرة خالد بن الوليد بن المغيرة قبيلة لها شرف وسؤدد لكن الدين سوّى في أحكامه بين الشريف والوضيع وهكذا الصغير والرفيع فالناس في دين الله كأسنان المشط لا فرق بين عربي على أعجمي ولا أسود على أبيض أو أحمر إلَّا بالإيمان وتقوى الله فهذا هو الفارق(٢).

هذه المرأة كانت تجحد المتاع إن استعارت متاعاً جحدته والمراد بالمتاع ما لا يسوى من الشيء أي شيء. شيء حقير لا يسوى شيئاً فإذا استعارت دلواً أو قصعة أو أقل من ذلك أو أكثر جحدته فرفعوا أمرها إلى رسول الله فقرر

---

(١) متفق عليه: البخاري(٦٤٠١، ٦٤١٤) ومسلم(١٦٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

(٢) كما قال تعالى﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات١٣].
وعند أحمد(٢٣٥٣٦) والبيهقي في الشعب(٥١٣٧) وغيرهما وصححه الألباني في: صحيح الترغيب (٢٩٦٣) والصحيحة(٢٧٠٠) أن النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال في أوسط أيام التشريق في خطبة الوداع: { يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلَّا بالتقوى إن أكرمكم عند الله}.

الرسول قطع يدها فأراد بعض الناس الاستشفاع إلى رسول الله عن طريق الوساطات حتى لا تقطع يد هذه المرأة لما لقومها من الشرف فقالوا : هذا أسامة بن زيد وأسامة كان محبوباً إلى رسول الله يحبه رسول الله كثيراً لما وقر في قلبه من الإيمان وحب الخير وإلا فقد كان عبداً أسود لكن ليس هذا الميزان عند الله ولا عند رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال بعضهم لبعض : اجعلوا أسامة يشفع إلى رسول الله فيذهب أسامة إلى النبي فيخبره فيغضب رسول الله ويقول: { أتشفع في حد من حدود الله) . ثم قام فاختطب ثم قال (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يده}[1].

فما نفعت هذه الشفاعة إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكنه قرر القطع فقطعت يد هذه المرأة وهكذا ما يحصل من الاعتراضات على مسألة القطع في كثير من قوانين البشر التي جاءت من قبل أعدائنا أعداء الإسلام معترضين على حكم الله رب الأرض والسماوات

إن القوانين فوق الناس تحكمهم والله أنزل قرآناً هجرناه

يعارضون حكم رب العالمين ناسين أو متناسين أن القطع حكم الله ففيه حسم للسرقة وفيه أمان للمال ولأهل المال كما قال ربنا الرحمن:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[البقرة١٧٩] هذا رجل من الشعراء اعترض على حكم رب الأرض والسماء حاله كحال المقننين في قوانينهم اعترض حكم رب البرية قائلاً :

(١) القصة رواها الجماعة: البخاري(٢٥٠٥، ٣٢٨٨، ٣٥٢٦، ٤٠٥٣، ٦٤٠٥، ٦٤٠٦، ٦٤١٥) ومسلم (١٦٨٨) وأحمد(٢٥٣٣٦) أبو داود(٤٣٧٣) والترمذي(١٤٣٠) والنسائي(٤٨٩٩) وابن ماجة(٢٥٤٧) وغيرهم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

تناقض ما لنا إلَّا السكوت له ونستجير بمولانا من النار [1]

إنه يورد إشكالاً واعتراضاً يقول : هذه اليد قيمتها خمس مئين عسجد بمعنى أن ديتها دية اليد الواحدة نصف الدية هذا في مقام الديات ما كان مثنى لابن آدم ففيه نصف الدية إذا أتلف وما كان مذكر كالأنف وما شابهه ففيه الدية الكاملة فيقول هذا المعترض :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

قال الفقيه المالكي : لما كانت أمينة كانت ثمينة ولما خانت هانت ، حينما كانت هذه اليد أمينة كان لها وزن ومثقال وكرامة وشرف ولما خانت هانت لما خانت اليد كانت قيمتها لا شيء

---

(١) القائل هو أبو العلاء المعري المشهور بالزندقة : كما في البداية والنهاية(١٢/ ٧٣) وإعلام الموقعين (٢/ ٨٢) وقد رد عليه كثير من العلماء :

روي أن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أجاب بقوله ...

هناك مظلومة غالت بقيمتها وهنا ظلمت هانت على الباري

وأجاب شمس الدين الكردي بقوله ...

قل للمعري عار أيما عار جهل الفتى وهو عن ثوب التقى عار

لا تقدحن زناد الشعر عن حكم شعائر الشرع لم تقدح بأشعار

فقيمة اليد نصف الألف من ذهب فإن تعدت فلا تسوى بدينار

ومنها قول القاضي عبد الوهاب مجيبا له:

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

ويروى:

وقاية النفس أغلاها وأرخصها وقاية المال فافهم حكمه الباري

وقال بعضهم: لما خانت هانت.

وقال ابن الجوزي لما سئل عن هذا لما كانت أمينة كانت ثمنية فلما خانت هانت .انظر: فيض القدير (١/ ٢٩٩)والإقناع للشربيني(٢/ ١٩٠)وإعلام الموقعين(٢/ ٨٢ـ٨٣)وغيرها من المراجع.

ذل الأمـانـة أغلاها وأرخصها عز الأمانة فافهم حكمة الباري

هذا كان اعتراض وما أشبه المعترضين والآية على وجه العموم وجاءت السُّنَّة في تفصيل ذلك وتبيينه فبين عليه الصلاة والسلام أن اليد تقطع في ربع دينار فصاعداً[1] والمراد بالدينار هو الدينار الذهبي زنته أربع جرامات ونصف من الذهب فإذا سرق العبد ما كان أقل من الدينار ربع دينار أي جراماً ما يعادل جراماً من الذهب فقد وجب على نفسه قطع يده هذا حكم رب العالمين لما يترتب على ذلك من الأضرار على السارق وعلى أموال الناس أما السارق فتترتب عليه الحد في هذه الدنيا والخزي والعار فيها يوم أن يتحدث الناس أن ابن فلان من آل فلان يسرق هو من السراق أو أنه أدخل السجن بسبب جريمة السرقة أو قطعت يده إنها والله إهانة وقد أمر الله بالعفاف وأمر الله أن يطلب المال من وجوهه واعلم أيها الرجل أن مالك موجود في هذه الدنيا ولن تخرج منها إلَّا وقد أخذت ما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ لك لا بد أن تأخذه بأكمله .

وأرزاق لـنـا مـتـفـرقـات فـمـن لم تـأتـه سـعـيـاً أتـاهـا

ومما يترتب عليه أيضاً بعد الخزي والعار والفضيحة في الدنيا وإقامة الحد عليه ما يكون في الآخرة من النكال فقد رأى النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- النار عرضت عليه النار ورأى فيها صاحب المحجن رجل سرق محجناً والمراد

(١) روى البخاري(٦٤٠٧) ومسلم(١٦٨٤) عن عائشة قالت: { كان رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يقطع السارق في ربع دينار فصاعدا }

بالمحجن عصا رآه يسبح في نهر من أنهار جهنم[١] عياذاً بالله.

ويقول عليه الصلاة والسلام في قصة رجل رجع من المعركة من ساحات الوغى فجاءه سهم لا يدرى من رماه فقال الصحابة : هنيئاً له الجنة فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا }[٢]

إنه أمر يسير نقول للمسلمين : اتقوا الله في أعراضكم أن يتناولها ألسنة الناس اتقوا الله في أجسامكم من أن تعرضوها لسخط الجبار فعلى الموظف أن يكون أميناً لا داعي للرشوة ولا داعي للإختلاس ولا داعي للتزوير ونقول كذلك للخازن لمن كان يشتغل في بقالة أو في معرض وقد استأمنه مسلم على ماله وعلى كل ما يتعلق بشأن المال : اتق الله في شأن المال واعلم أنه حلوة خضرة وأنه إلى الفناء والزوال وأن الدنيا بأسرها فانية إنها كلها كدر .

أحـــلام نـــوم أو كـظـل زائـل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

ونناشد ولاة الأمر أن يقيموا حكم الله عَزَّوَجَلَّ في من سرق حتى يكون عبرة وعظة للآخرين زجراً للآخرين ، إنهم مسؤولون عن ذلك وهنا تنبيه يجب التنبيه على هذا الأمر أن إقامة الحدود هو من شأن ولاة الأمر فهم الذين يتولون

(١) رواه مسلم(٩٠٤) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان ذلك في خطبة صلاة الكسوف ولفظ الحديث: يا أيها الناس إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس فإذا رأيتم شيئا من ذلك فصلوا حتى تنجلي. ما من شيء توعدونه إلّا قد رأيته في صلاتي هذه لقد جيء بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فطن له قال إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به.

(٢) متفق عليه: البخاري(٣٩٩٣، ٦٣٢٩) ومسلم(١١٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلا يتولاه الأب ولا الأخ ولا صاحب المال ولا شيخ القبيلة ولا شيخ البلد وإنما يتولاه المسؤولون أصحاب السلطة الذين هم مسؤولون عن هذه الرعية { كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته }[1].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا ما قلته لكم

وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

(١) متفق عليه: البخاري(٨٥٣، ومواضع) ومسلم(١٨٢٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ورضي الله عن أصحاب رسول الله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين :

عباد اللّه :

إن من آفات السرقة وإن كانت قليلاً تكون حاجزاً بينك وبين ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من قبول الدعاء فالسارق وإن سرق شيئاً يسيراً لا ترفع له دعوة فمهما دعا الله ومهما توسل ولو تصدق بالملايين حتى يتوب من هذه الجريمة والدليل على ذلك ما جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { إن الله طيب لا يقبل إلَّا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (المؤمنون٥١). وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ البقرة١٧٢).

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام و ملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له}[1] ، ذكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الرجل يطيل السفر في سبيل الله أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب فتأمل في هذه المؤهلات.

أولاً أنه مسافر في الطاعة ثانياً أنه قد اغبرت قدماه فهو أشعث أغبر ثالثاً أنه

(١) رواه مسلم(١٠١٥) وأحمد(٨٣٣٠) والترمذي(٢٩٨٩) والبخاري في رفع اليدين(٩٤) والدارمي (٢٧١٧) والبيهقي في الكبرى(٦١٨٧) والشعب:(١١٥٩) وعبد الرزاق:(٨٨٣٩) وغيرهم.

يمد يديه ومد اليدين إلى السماء سبب من أسباب إجابة الدعاء كما في الحديث: { إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً أو خائبتين }(١).

رابعاً أنه يتوسل بأحب الأسماء إلى الله يقول : يا رب يا رب إنه يهتف باسم الربوبية لكن مع ذلك تأمل إلى تقرير الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو تقرير من لا ينطق عن الهوى قال : { ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له } كيف يستجاب لمن كان هذا شأنه ؟ لا يمكن أن يستجاب لمن كان هذا شأنه ولو كان شيئاً حقيراً فإنه يدخل في مسمى السرقة فإن السرقة أن تأخذ المال وليس لك فيه حق عن طريق الخلسة تختلسه فمن كان قد وقع في ذلك فباب التوبة مفتوح تب إلى ربك يا عبد الله تب إلى ربك يا عبد الله ولا ينفع أن يقول : تبت إلى الله فإن هذا يكون بينك وبين الله أن تقول : تبت إليك يا رب توبة نصوحاً لكن السرقة تحتاج إلى توبة من وجه آخر وهو أن تعيد المال إلى أهله إما أن تعيده إلى أهله إن كنت مستطيعاً وإلا أصلحت النية ونيتك يا عبد الله على قدر عزيمتك .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكريم الكرائم

ويكبر في عين الصغير صغيرها وتصغر في عين العظيم العظائم

فسوف يعطيك الله المال حتى ترده إلى أهله وإن كنت لا تستطيع فاذهب إلى أهل المال وقل : لقد اختلست كذا وكذا فربما يسامحوك ربما يعفون عنك إن كنت

(١) صحيح: رواه أحمد(٢٣٧٦٥) وأبو داود(١٤٨٨) والترمذي(٣٥٥٦) وابن ماجة(٣٨٦٥) والحاكم(١٨٣١) وابن حبان(٨٧٦) وغيرهم عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٧٥٧) وصحيح الترغيب(١٦٣٥).

صادقاً في التوبة هذا رجل من المسلمين في زمن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقع على زوجته في نهار رمضان فتأملوا إلى هذه القصة البديعة العجيبة وقع الرجل على زوجته في حال الصيام فذهب إلى الرسول وقال: يا رسول الله احترقت بمعنى أن الذنوب والمعاصي حريقة تحرق صاحبها احترقت يا رسول الله وفي رواية : هلكت يا رسول الله قال: { ما أهلكك ؟ } قال :وقعت على أهلي في نهار رمضان إنه صادق إنه يريد الحل الشرعي من رسول الله يريد جواباً نافعاً فقال له الرسول : { هل تستطيع أن تعتق رقبة قال : لا قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا قال : فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟ قال : لا } .

ما يستطيع لهذه الكفارة التي تسمى بالكفارة المغلظة كفارة الظهار فقال الرسول : اجلس فجلس الرجل في مجلس رسول الله مجلس علم ووعظ وخير ووحي فإذا برجل يأتي بصدقة قليل من تمر مكتل فيه تمر فيقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {أين المحترق ؟ أين هذا السائل؟ قال : أنا يا رسول قال : خذ هذا فتصدق به قال : على غير أهلي ؟ والله ما بين لابتيها ـ أي حرتيها ـ أهل بيت أفقر مني فضحك الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى بدت أنيابه وقال : إطعمه أهلك }[1].

فتأمل في الفرج والمخرج جعل الله له فرجاً ومخرجاً في هذه الكفارة وعولجت قضيته يوم أن نوى وصدق في النية فإذا صدقت النية يا عبد الله صدقك الله وإذا خرجت من بيتك صباح يومك باحثاً عن الرزق من وجه الحلال يسر الله لك بالحلال وإن خرجت صبيحة يومك باحثاً عن الحرام تستدرج كما قال الله: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾[القلم: ٤٤ـ٤٥].

يتيسر لك الحرام لكن لا تظن أن ذلك شطارة وأنه ذكاء لا والله إنه ابتلاء

(١)القصة في الصحيحين: البخاري(١٨٣٤،ومواضع)ومسلم(١١١١)عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وربما زاد الله لك في ذلك حتى يقيم عليك الحجة وفي الحديث : { إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته).ثم قرأ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود١٠٢](١).

ولو كانت المسألة ريال خمسة ريال عشرة ريال تدخله في أموالك إنه يخرج المئات بل والله الألوف في مثل هذا الكلام يعتقده اليهود والنصارى في ديانتهم يعتقدونه في ديانتهم لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل لأن الديانات كلها مرتبة على هذا في ما يتعلق بحفظ المال فاتقوا الله أيها المسلمون اتقوا الله في أموالكم واتقوا الله في أموال عمالكم وعلى العمال أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في مال إخوانهم الذين استأمنوهم في أموالهم فإنهم مسؤولون عن ذلك بين يدي الله قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب:٧٢ـ ٧٣].

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته اللهم خذ بأيدينا إلى كل خير وجنبنا كل شر وضير.

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين وارفع درجاتنا في المهديين وأرنا الحق حقاً فأرزقنا اتباعه والباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأقم الصلاة .

(١) متفق عليه: البخاري(٤٤٠٩) ومسلم(٢٥٨٣) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٧ الذنوب هلاك الشعوب

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّه،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

معاشر المؤمنين:

يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم أمما من الناس من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام بينما كانت قرى عامرة بحصونها ومياهها وبساتينها وما أمدها الله عَزَّوَجَلَّ من الرزق وما بسط عليها من النعم لكن حينما عصت وتمردت وأبت أن تعترف لله بالنعم فتؤدي شكرها أخذ الله عَزَّوَجَلَّ تلك الأمم أخذ عزيز مقتدر فسلب منهم النعمة وأبادهم أيما إبادة لم يكن ذلك بظلم بل هو ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعدل العادلين قال جَلَّوَعَلَا : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[النحل ١١٨].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ }[فصلت ٤٦] .

ويقول الله في الحديث القدسي : { يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا }[1] لم يكن ذلك بظلم منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنه تنزه عن الظلم بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدل يأمر بالعدل كما قال جَلَّوَعَلَا : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل٩٠] .

فالله يأمر بالعدل لكن إذا شذ العباد وغيروا ما في أنفسهم هناك تحل العقوبة وينزل الله بأسه على الظالمين انتقام الله من الظالمين يقول جَلَّوَعَلَا حاكياً عن الأمم :﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ

(١) رواه مسلم(٢٥٧٧) والبخاري في الأدب المفرد(٤٩٠) وابن حبان(٦١٩) وغيرهم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٣٦ـ ٤٠]

هذه قرى تسمى بالمدائن أرسل الله إلى تلك المدائن نبياً عظيماً إنه نبي الله شعيب وكان هؤلاء الناس قد ابتلوا بقطع الطريق وابتلوا بتطفيف الميزان فذهب إليهم هذا النبي الكريم يدعوهم إلى التوحيد وإلى عدم الإفساد في الأرض وإلى عدم بخس الميزان قابلوه بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فأنزل الله عقوبته على قرى المدائن بأسرها أرسل الله إليهم الرجفة فحركت عليهم الأرض من تحتهم فأصبحوا وقد ماتوا عن بكرة أبيهم قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[العنكبوت:٣٦ـ ٣٧] .

وهكذا أمة هود عليه الصلاة والسلام وهي قرى قوم عاد أرسل الله إليهم نبيه هود عليه الصلاة والسلام داعية إلى التوحيد محذراً لهم من الشرك وكانوا قوماً قد أعطاهم الله من كمال الأجسام والقوة كما ذكر الله قصتهم في آية أخرى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[الشعراء: ١٢٨ـ ١٣٠] لكنهم قابلوا نبي الله هوداً بالتكذيب فأرسل الله عَزَّوَجَلَّ عليهم إعصاراً فخربت قريتهم

وأبادتهم أجمعين كما قال الله في كتابه الكريم ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾[الحاقة: ٦ـ٨].

حينما جاءتهم الرياح ظنوا بقوتهم أن يدفعوها عن ذريتهم وعن نسائهم فتحصنوا بين جبلين لكن الرياح أتتهم من أسفلهم فنكستهم على رؤوسهم كما قال الله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾[الحاقة: ٧ـ٨].

وهكذا نبي الله صالح أرسله الله إلى أمة ثمود أرسله إلى تلك القرى وإلى تلك المدائن يأمرهم بالتوحيد ويحذرهم من الشرك يأمرهم بالطاعة ويحذرهم من المعصية فأبوا أن يستجيبوا له قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [الحاقة: ٥].

ذلك بأنهم طالبوه بمعجزة عظمى فسأل ربه معجزة ليقابلهم بها فأخرج الله له ناقة من صخرة عظيمة فكانوا يشربون لبنها يوماً وهي تشرب من مياههم يوماً ويستغلون شرب الماء في اليوم الثاني لكنهم قابلوا ذلك بالتكذيب كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في القرآن إذ يقول لهم النبي الكريم:﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ [الشمس:١٣] فإذا بهم يعقرونها فدمدم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم أنزل أليم عذابه عليهم وخرب ديارهم حينما قابلوا نبيهم بالتكذيب قال الله :﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[الأعراف٧٧ـ ٧٨].

وهكذا فرعون كان يقول لأهل مصر ﴿ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[الزخرف٥١].

فأرسل الله إليه موسى داعية إلى التوحيد داعية إلى الخير بكل رفق وبكل بيان كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[طه٤٤]. لكنه أبى أن يستجيب وتفلسف أمام نبي الله موسى ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[طـه: ٤٩].

وقَالَ لموسى أيضا: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾[طـه:٥١].

فحينها دعا موسى ربه وأمن هارون على دعاء موسى فرفعت الدعوة إلى الله فاستجابها رب العباد فأهلك فرعون بالغرق قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[يونس:٨٨ـ ٩٢] فهذا الطوفان وهذا الغرق وهذه الأمواج إنما حلت بفرعون بعد أن أرسل الله إليه موسى فوجهه توجيهاً إلى الله لكنه أبى أن يتابع موسى وأن يكون من أتباعه فتجبر وتكبر عياذاً بالله فبغضه الله وبغضه جبريل حتى إن جبريل يقول لمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة }[1].

(١) صحيح: رواه أحمد(٢٨٢١) والترمذي(٣١٠٧) وأبو داود الطيالسي(٢٦١٨) وغيرهم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٤٣٥٣، ٥٢٠٦) والصحيحة (٢٠١٥)

وذلكم قارون الذي أمده الله بأصناف المال لكنه لم يؤدّ شكرها بل إنه قابلها بالكفران وقابلها بالجحود والنكران فسلبها الله عَزَّوَجَلَّ منه ولم يكن بذلك من الشاكرين فأخذها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منه .بل زلزل الأرض من تحت قدميه وخسف به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حينما طغى وتجبر وتعالى على أرحم الراحمين قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص: ٧٦ـ ٨٢].

أي عجباً لا يفلح الكافرون أبداً إن أُعطي النعم قابلها بالجحود.

ويبين ذلك نبينا في حديث رواه البخاري ومسلم قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به الأرض

فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة}[1].

وهكذا ما حصل من قوم لوط أرسل الله إليهم نبيه لوطاً عليه الصلاة والسلام وحذرهم فداحة الجريمة التي يقومون بها من الشذوذ الجنسي لكنهم استهزءوا به وسخروا به وبدعوته فماذا كان من الله ؟ أرسل الله ملكاً من ملائكته العظام فيرفع قرى قوم لوط إلى عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديكتهم قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٥٨ ﴾[الشعراء١٧٣، النمل٥٨] وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤ ﴾[الحجر٧٤].

جعل الله عاليها سافلها فكانت عقوبتهم من أعظم العقوبات ومن أبدع العقوبات لأنهم جاءوا بجريمة بديعة لم يسبقوا إليها عكسوا الفطرة التي ما أذن الله عَزَّوَجَلَّ بعكسها فكان انتقام الله من الظالمين كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدِۢ ﴾[هود ٨٣] .

ولقد أمد الله قوماً من الناس[وهم قوم سبأ] بأصناف من المال لكنهم قابلوه بالنكران ولم يؤدوا شكر النعم فأرسل الله عَزَّوَجَلَّ سيلاً أخذ ثمارهم وخرب حصونهم وأباد مزارعهم فكانوا عظة وعبرة إلى قيام الساعة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبّٞ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ ﴾[سبأ: ١٥-١٧].

(١) متفق عليه: البخاري(٥٤٥٢) ومسلم(٢٠٨٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه البخاري(٣٢٩٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجاء عند وعن غيرهما.

مزق الله مملكة سبأ وما كان عندهم من أصناف الأرزاق والأموال ولقد ذكر بعض علماء التفسير أن المرأة كانت تنطلق صباح يومها ومكتلها على رأسها فلا تعود إلَّا وقد امتلأ ذلكم المكتل من أصناف الثمار التي تتساقط إلى المكتل دون أن تتعب المرأة أو الرجل بقطفها لكنهم لم يشكروا تلكم النعم والنعمة إذا شكرت قرت ، وإذا كفرت فرت .

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم٧] .

عباد الله :

هدد الله عَزَّوَجَلَّ عباده هددهم الله بإرسال الطوفان والغرق وبضرب الزلازل والإبتلاءات إن خالفوا أمره قال جَلَّوَعَلَا : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾[الملك١٦].﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾: أي ءأمنتم مكر الله الذي هو القاهر فوق عباده أن يزلزل الأرض من تحت أقدامكم وكان هذا عبارة عن عبر وعظات يرسله الله تخويفاً إلى الخلق لا كما يقوله بعض الطبائعيين أو من لا علم عنده : إنها براكين أو زلازل طبيعية كلا والله إنها عقوبات ربانية إنه عذاب يرسله الله على من شاء من عباده تخويفاً كما قال الله : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الإسراء٥٩].

ما يرسل الله عَزَّوَجَلَّ بالآيات إلَّا من أجل تخويف عباده ولقد جاء في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ

﴿ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ . قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (أعوذ بوجهك). قال:﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾.قال:(أعوذ بوجهك). ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام ٦٥].قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {هذا أهون أو هذا أيسر}(١).

وبلغ من خوف نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أن يهلكه بالزلازل أو أن تخسف الأرض من تحت قدميه أن كان يستعيذ بالله صباحاً ومساءً من الزلزلة ومن الخسف من تغير الحال روى الإمام أبو داود في سننه وكذا ابن ماجة أيضاً من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا أصبح أو أمسى يقول : {اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي}(٢)

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): والمراد بالإغتيال من تحتي أن تصفو الزلازل

هكذا بلغ الحال بنبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يستعيذ بالله من الخسف ويستعيذ

---

(١) رواه البخاري(٤٣٥٢، ٦٨٨٣، ٦٩٧١) وغيره

(٢) صحيح: رواه أحمد(٤٧٨٥) وأبو داود(٥٠٧٤) والنسائي في الكبرى(١٠٤٠١) وابن ماجة(٣٨٧١) وابن حبان(٩٦١) والحاكم(١٩٠٢) والبخاري في الأدب(٦٩٨، ١٢٠٠) وصححه الألباني في: صحيح الترغيب(٦٥٩) والكلم الطيب(٢٧)

(٣) الإمام الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي ـ أبو عبد الله ـ الإمام عالم العصر فقيه الملة نسيب الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وابن عمه فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة سنة(١٥٠هـ٧٦٧م) وحمل إلى مكة وهو ابن ست سنين، وقصد مصر سنة(١٩٩هـ) فتوفي بها سنة(٢٠٤هـ٨٠٤م) .أشهر كتبه الأم في الفقه والمسند في الحديث، وأحكام القرآن، والرسالة في أصول الفقه. ينظر: تذكرة الحفاظ(١/ ٣٢٩)، وتهذيب التهذيب(٩/ ٢٥) وسير الأعلام (١٠/ ٥ ترجمة(١) ومقدمة الأم للشافعي.

به من الزلزلة ذلك أمر الله الذي عناه بكتابه :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الرعد١١].

فإذا حصل التغيير من القلب وإذا ترجم ذلك إلى الواقع أو لم يترجم فإن الله يرسل عقوبته على من شاء من عباده نسأل الله أن يصرف عنا الزلازل والفتن ما ظهر منها وما بطن أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين :

عباد الله :

اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وراقبوه واعلموا يا عباد الله أن ما حصل من الزلازل والفيضانات في كثير من دول الشرق في الهند وأندنوسيا وفي سريلانكا وكثير من بلاد العالم الإسلامي وغيره إنما هو ابتلاء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعذاب أرسله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم٤١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[السجدة٢١].

ولقد أخبرنا من يتابع شبكة المعلومات الدولية شبكة الإنترنت أن هذه الفيضانات إنما عمت كثيراً من السواحل التي كان فيها من البارات والفساد وأخبرني شاهد آخر بأنه قال لي : لقد رأينا المساجد العامرة في أندنوسيا وفي بلاد الهند لم يحصل لها ولا لمن فيها شيء إلَّا مسجد أصيب ببعض الشقوق إن دل هذا فإنما يدل على أن الفساد إن حل في الأرض أرسل الله عقوبته هذا أمر.

أمر آخر إنه من علامات قرب قيام الساعة إرسال الزلازل كما قال النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب

الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج ـ وهو القتل }[١] وقال نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { إنها لن تقوم الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك ناراً تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم }[٢] فهذا الخسف الحاصل ليس بعلامة كبرى من علامات قيام الساعة لكنه من العلامات التي تحصل قبل قيام الساعة من أجل أن يرعوي الناس من أجل أن يتوب الناس من أجل أن يرجعوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنه بكثرة الفساد وبكثرة الفحشاء والمنكر ينزل البلاء وتكثر الزلازل والفتن فتوبة عباد الله توبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهناك بعض الدراسات تقول : إن بعض الدول الإسلامية التي على مشارف البحار كعدن وما جاورها مهددة أيضاً بالفيضانات وهذا أمر إن أراده الله كان فلا يحتاج إلى دراسة أو نظرية فإن أمر الله بين الكاف والنون فعودة إلى الله عباد الله محافظة على الصلاة محافظة على أداء الزكاة محافظة على أعمال البر توبة نصوحة .

قدم لنفسك توبة مرجوة قبل المعاد وقبل حبس الألسن

بادر بها غلق النفوس فإنه ذخر وغنم للمنيب المحسن

---

(١) رواه البخاري(٩٨٩) ومسلم(١٥٧) بعضه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الجماعة إلاَّ البخاري: فقد رواه مسلم(٢٩٠١/ ٣٩) وأحمد(١٦١٨٨) وأبو داود(٤٣١١) والترمذي(٢١٨٣) والنسائي في الكبرى(١١٣٨٠) وابن ماجة(٤٠٥٥)عن حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فائدة: في مسلم(٢٩٠١/ ٤٠) [ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس] ومعناه من أقصى قعر أرض عدن وعدن المدينة المعروفة المشهورة.

عباد الله :

اتقوا الله عَزَّوَجَلَّ واعلموا أنه يا عباد الله في مثل هذه الأوضاع الراهنة التي يعيشها العالم الإسلامي هناك بعض الجرائد في مثل هذه الأوضاع لا تزال تعلن سفاهتها وتعلن قبح قولتها على صحابة رسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- هذا حاصل في كثير من الصحف التي تنشر أسبوعياً في بلدنا الحبيب فواجب على الكتاب والأدباء أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ سواء عند الظروف القاسية أو عند غيرها فإن النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يقول : { تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة }[1] فوقت الرخاء يجب على المسلمين أن يتعرفوا إلى ربهم فإذا ما نزل البلاء ورفع الدعاء كانت الإستجابة من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ .

عباد الله : وإن الكثير من دول العالم لا سيما دول الخليج قد تفاعلت مع هذه الأوضاع ومع هذه الزلازل والضحايا بالتبرعات ولقد جاءتنا رسالة قبل أن أصعد على منبري هذا من شركة سبيستل تعلن بأن بعض دول الخليج قد بلغ تبرعها اثنين وثمانين مليوناً دولاراً فهذا مبلغ طيب لإخواننا الذين أصيبوا بالزلازل والفيضانات وإن حكومتنا الراشدة ندبت المسلمين في هذا البلد أن يتعاونوا لإخوانهم ويتبرعوا لهم فإن النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يقول : {مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى}[2] ولا ننسى عباد الله ما حصل من الزلازل في الثمانينات في بلدنا هذا وما حصل من التبرعات من كثير من دول

---

(١) صحيح: وهو جزء من حديث أخرجه أحمد(٢٨٠٤) والحاكم(٦٣٠٣، ٦٣٠٤) والطبراني في الكبير(١١٢٤٣) والبيهقي في الشعب(١٠٧٤) وصححه الألباني في: الظلال(٣١٨) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وفي صحيح الجامع(٢٩٦١) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) البخاري(٥٦٦٥) ولفظه:(ترى المؤمنين) ومسلم(٢٥٨٦) وأحمد(١٨٣٩٨، ومواضع)عن النعمان بن بشير

العالم فإننا يا عباد الله إنه الجزاء من جنس العمل فإذا ما حصل لا سمح الله لنا أو لغيرنا كان إخواننا يعاملونا بنفس المعاملة .

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرفع عن المسلمين الزلازل والفتن وأن يرفع عنا الغلا والزنا والربا وأن يرفع عنا كل بلاء اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته اللهم احفظ عبادك المؤمنين اللهم احفظ عبادك المؤمنين اللهم احفظ عبادك المؤمنين اللهم احفظنا واحفظ بلادنا اللهم احفظنا من فوقنا ومن تحتنا وعن أيماننا وعن شمائلنا اللهم إنا نعوذ بك من السوء ومن يوم السوء ومن جار السوء ومن ساعة السوء اللهم اصرف السوء عن عبادك المؤمنين اللهم من أراد بالمسلمين سوءاً فأشغله في نفسه واجعل كيده في نحره اللهم من أراد الخير للإسلام والمسلمين فثبته يا أرحم الراحمين واجعل له ذكراً في العالمين .

عباد اللّه :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل ٩٠].

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

١٨ عواقب الذنوب والمعاصي

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّه،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون : اتقوا الله ربكم وراقبوه وأطيعوه دوماً ولا تعصوه .

عباد الله :

لقد من الله على هذه الأمة فجعلها أمة هداية وقيادة وسيادة اختارها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأشرف رسالاته واجتباها فبعث فيها أفضل رسله وأنزل عليها أعظم كتبه ووعدها النصر إن هي نصرت دينه ووعدها الكرامة والعزة إن هي تمسكت بكتاب الله وسنة نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد كان لهذه الأمة شرف قيادة العالم قروناً طويلة ثم انتزعت قيادتها ودانت دويلاتها وتداعى عليها أعداؤها وتتابعت عليها المصائب وتلاحقت عليها المحن تلاحقت عليها المحن والنوائب ولقد شغل هذا الواقع المزري والوضع المتردي بال الغيورين من هذه الأمة المتطلعين لمستقبلها المشرق وغدها المبهج بإذن الله ثم هناك سؤال: ما الذي دهانا معاشر المسلمين ؟ وما الذي أصاب أمتنا فذلت وهانت وما الدواعي والعوامل التي أوصلتها إلى حضيض الغبراء ؟ بعد أن كانت في ذرا العلياء وما الذي جرها إلى هذا المنحدر العميق وطوح بها في أعماق هذا الواقع السحيق ؟ .

والجواب الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن سبب ذلك كله الوقوع في الذنوب والمعاصي ومما لا يقبل الجدل أن لله تعالى في هذه الحياة الدنيا سنناً لن تتغير في الكون والخلق ولن تتبدل أيضاً في حياة الأفراد والأمم والشعوب ولن تتحول أبداً فالأمة التي تسير على شرع الله وعلى نهج رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا شك أنها تصل إلى مبتغاها وتنال مناها فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد وعد وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده بالنصر والتمكين حينما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾[محمد٧] وهذا وعد من الله لن يتغير ولن يتبدل أبداً ما دام المسلمون قد قاموا بشرط الله الذي اشترطه والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمنه وكرمه يسدد هذه الأمة وينصرها ويرعاها وليس بين الله وبين أحد من خلقه حسب ولا نسب وأما إذا تركت الأمة أمر ربها وخالفت أحكام دينها وتنكبت

سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سلك الله بها طريق العناء والشقاء حتى تراجع دينها وما أهون الخلق على الله إن هم أضاعوا أمره وجاهروا بمعصيته وقصروا في أحكام دينه وهل عذبت أمة من الأمم في القديم والحديث إلَّا بسبب ذنوبها وتقصيرها مع ربها قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد١١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[الشورى٣٠].

وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول : { إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله }(١).

فيا عباد الله : ما يكون من المخالفة إن حصل التقصير من قبل العباد الذين خلقهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لغاية عظيمة ثم بعد ذلك تنكبوا تلك الغاية التي خلقوا لها لا شك أنهم في ذلة وهوان .

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها (٢)

---

(١) متفق عليه: البخاري(٤٩٢٥) ومسلم(٢٧٦١).

(٢) هذان البيتان لابن المبارك ضمن أبيات يقول فيها :

رأيت الذنوب تميت القلوب ويتبعها الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل بدل الدِّين إلَّا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا وفي البيع لم يغل أثمانها
لقد وقع القوم في جيفة بيّن لذي العقل أنتانها

وانظر: حلية الأولياء(٨/ ٢٧٩) وشعب الإيمان(٧٣٠٠) وتأريخ دمشق(٣٢/ ٤٦٧) .

فيا أمة الإسلام ويا أمة العقيدة والتوحيد ويا أهل القرآن :

إن للذنوب والمعاصي أثراً بالغاً على الأبدان والقلوب وشؤمها واضح والله في حياة الأمم والشعوب قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] كما في كتابه الجواب الكافي[٢] لمن سأل عن الدواء الشافي قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلاماً خلاصته قال: فمما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر ولا شك أن ضررها على القلوب كضرر السموم في الأبدان وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلَّا سببه الذنوب والمعاصي فما الذي أخرج الوالدين من الجنة وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه وبدله بالقرب بعداً وبالرحمة لعناً وبالجمال قبحاً وبالجنة ناراً تلظى وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء على رؤوس الجبال زمن نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[غافر٤٦] وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً قتلوا الرجال وسبوا الذراري والنساء ونهبوا الأموال وهكذا عاقبة كل باغٍ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾[الفجر١٤].

---

(١) ابن القيم: هوا لإمام الجليل الحافظ أحد المحققين علم المصنفين نادرة المفسرين / محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي أبو عبد الله شمس الدين الشهير بابن قيم الجوزية(٦٩١ــ ٧٥١).

انظر البداية والنهاية(١٤/ ٢٣٤) والرد الوافر للدمشقي(ص٦٨) ومقدمة كتابه الفوائد(١٣ـ ٢٢).

(٢) انظر: الجواب الكافي ص(٢٧).

عباد الله : تفهموا معنى هذا الكلام قبل أن يكون الندم حين لات مندم

غـيري جنى وأنـا المعذب فيكم فكأننـي سبابــة المتنـدم

فالمتندم يعض أصبعه ولا ذنب لهذه الأصبع إنما كان لزاماً عليك أن تحاسب نفسك وأن تراقب الله في السر والعلن لتتحرز من الذنب فالذنب اقترافه شؤم والبعد عنه راحة وطمأنينة فالذنوب والمعاصي لها عقوبات عقوبات عاجلة وآجلة فاسمعوا يا رعاكم بعض عقوبات هذه المعاصي والذنوب.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من تلك العقوبات[1] حرمان الرزق والوحشة والعسر والظلمة ووهن القلب والبدن وحرمان الطاعة ومحق البركة في الرزق والعمر وهوان العبد على الله ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[الحج١٨] وفساد العقل وضعف العزيمة والختم على القلوب وإطفاء نار الغيرة وذهاب الحياء وزوال النعم وإحلال النقم والخوف والرعب والقلق وعمى البصيرة ومنع القطر من السماء وحصول أنواع العذاب والبلاء والنكال والشقاء في الدنيا والقبر وفي عرصات القيامة وهكذا المعصية تطارد صاحبها في دار الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [السجدة١٢].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

---

(١) انظر: الجواب الكافي ص(٣٤) وما بعدها بتصرف.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلَّا على الظالمين ولا أمل ولا رجاء إلَّا في الله رب العالمين اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد :

عباد اللّه :

اعلموا أن المعاصي ما حلت في ديار إلَّا خربتها ولا في قلوب إلَّا أعمتها ولا في أجساد إلَّا عذبتها ولا في أمة إلَّا أذلتها ولا في نفوس إلَّا أفسدتها ولا في مجتمعات إلَّا دمرتها .

أيها الأخوة في اللّه :

إن المسؤولية لصد وباء الذنوب وعواقبها الوخيمة على الفرد والمجتمع تقع على عاتق كل مسلم ومسلمة فقد قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {كُلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته }[1] فكل يقوم نفسه ويحفظ أسرته ويربي أولاده على حب الخيرات وترك المنكرات ويسعى حسب استطاعته وقدرته إلى تطهير مجتمعه ومحيطه من أدران المعاصي فالرئيس في دار رئاسته والمحافظ في محافظته والمدير في ناحيته وكل في عمله كان ذلك في وسائل الإعلام أو في أمر الصحافة أو كان ذلك في الكهرباء والمياه والتلفون أو كان ذلك فيما يتعلق بالقطاعات الخاصة صغيرها وكبيرها فكل على حسب استطاعته فالمحيط الذي تعيش فيه حاول

(١) متفق عليه: رواه البخاري(٨٥٣، ومواضع) ومسلم(١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أن تطهره ما استطعت إلى ذلك سبيلاً فكل واحد مما ذكر وغيرهم مسؤول عما استرعاه الله أحفظ أم ضيع هذا أمر من الأهمية بمكان أنك مسؤول عبد الله عما استرعاك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنت مسؤول عن ذلك وإلا كنت غاشاً في الدنيا معذب في الآخرة إن أهملت أو قصرت في هذا الواجب لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { من استرعاه الله رعية ثم لم يحطهم بنصحه إلَّا حرم الله عليه الجنة }[1] وهكذا أمرنا بالنصح والمراد بالنصح أو النصيحة هو اعتناء الناصح بالمنصوح واجتهاده له فيما يصلح حاله وشأنه فقد جاء في صحيح مسلم أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: {الدين النصيحة ـ يكررها ثلاثاً[2] ـ قال الصحابة : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم }[3].

فرحماك ربنا رحماك واعلموا رحمكم الله أنه ما نزل بلاء إلَّا بذنب ولا رفع إلَّا بتوبة فلتلهج الألسنة بالإستغفار والتوبة النصوح التي تحققت فيها الشروط وانتفت عنها الموانع لعل الله أن يتوب وأن يعفو و أن يتجاوز فقد وعد عباده بذلك فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر٥٣].

فالله يفرح بتوبة عبده يفرح سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتوبة العبد بل إنه يحبه وإذا أحبك الله فقد حزت بخيري الدنيا والآخرة .

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري(٦٧٣١) ومسلم(١٤٢) من حديث معقل بن يسار المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: {ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلَّا لم يجد رائحة الجنة }. وفي رواية: { ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلَّا حرم الله عليه الجنة }.

(٢) هذه الرواية عند أحمد وأبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم.

(٣) رواه مسلم(٥٥) وأحمد(١٦٩٨٢) وأبو داود(٤٩٤٤) والنسائي(٤١٩٧) وعلقه البخاري:في الإيمان: باب قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدين النصيحة. ورواه الترمذي:(١٩٢٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾الأحزاب٥٦].

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ،ولا هماً إلَّا فرجته، ولا ديناً إلَّا قضيته ،ولا عسيراً إلَّا يسرته ،اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وكن معنا ولا تكن علينا، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ،وقنا عذاب النار.

وأقم الصلاة .

١٩ أضرار القات

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

كل عامٍ وأنتم بخير ، وازدياد من التوفيق والإستقامة والهداية ، أذن الله بذلك جَلَّوَعَلَا ، فهذه دعاؤنا للمسلمين وفي هذه الوقفة أريد أن أطبق شيئاً من قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الذاريات٥٥].

فأردت أن أذكركم بشيء عسى الله أن ينفعكم به ولا غنى عن ذلك للمتكلم أبداً وهكذا أردت أن أبين شيئاً مما يجب على الدعاة والعلماء وطلاب العلم حينما أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس الخير ويحذروهم من الشر كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ :﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[النساء: ١٢٨].

وذكر الله عن خطيب الأنبياء أنه قال لقومه : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود٨٨].

ويقول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-:{ الدين النصيحة قلنا: لمن؟، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم }(١).

وجاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : سمعت النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يقول : {من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم

(١) رواه مسلم(٥٥) وأحمد(١٦٩٨٢) وأبو داود(٤٩٤٤) والنسائي(٤١٩٧) وعلقه البخاري:في الإيمان: باب قول النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- الدين النصيحة عن ابي تميم الداري. ورواه الترمذي (١٩٢٦) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان}[1].

أردت في هذه الوقفة المباركة أن أتناول شيئاً من أضرار القات وقد آثرت أن يكون الكلام مكتوباً لأن للسان زلات ولا يسلم أحدٌ من الزلة فأردت أن يكون ذلك مكتوباً مستمداً من أقوال بعض الأخصائيين في هذا الباب لنتأمل أيها المؤمنون عظم أضرار هذه الشجرة التي صارت من المألوفات في بلادنا وكأنه أمر لا غبار عليه ويصيح صائحهم قائلاً : أصبر على الطعام والشراب ولا أصبر على القات والدخان فكم حصل فيها من مشاكل وأضرار بين ذلك لكل ذي عينين من مجتمعنا اليمني فأقول مستعيناً بالله .

معاشر المؤمنين :

حديثنا اليوم عن أمر معروف لدى المجتمع اليمني حديثنا عن شجرة القات عن تلك الشجرة التي غزت بلاد اليمن بسرعة فائقة وتسربت إلى البلاد المجاورة وربما سارت إلى أماكن بعيدة من العالم نسأل الله العافية من كل بلية وسوف نتطرق بإذن من الله في الحديث عن أضرار الشجرة من الناحية الصحية والنفسية والإجتماعية وحكم الإسلام فيها :

---

(١) رواه مسلم(٤٩) وأحمد(١١٠٨٨) ومواضع وأبو داود(١١٤٠، ٤٣٤٠) والترمذي(٢١٧٢) والنسائي (٥٠٠٨، ٥٠٠٩) وابن ماجة(١٢٧٥، ٤٠١٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
فائدة: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : وأما قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- [فليغيره] فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين.انظر: شرح صحيح مسلم(٢/ ٢٢).
وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : هذا الحديث أصل فى صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلا. انظر: شرح مسلم(٢/ ٢٥).
وقال الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أن هذا الحديث يصلح أن يكون نصف الشريعة لأن أعمال الشريعة إما معروف يجب الأمر به أو منكر يجب النهي عنه فهو نصف بهذا الإعتبار. انظر: التعيين (ص٢٩٢).

أما الأضرار الصحية فمنها :

فقدان الشهية وما يتبع ذلك من أمراض سوء التغذية من فقر الدم وغيره وبالتالي يصبح الجسم عاجزاً عن مقاومة الأمراض المختلفة.

ومنها اليبس يعني الإمساك المزمن، وكذلك أضرار الأسنان نتيجة للمضغ المستمر، وكذلك التسمم بالمواد الكيماوية التي تستخدم في رش القات ولا يغسل جيداً فيؤدي ذلك إلى التسمم فينتج عن ذلك الإسهال والطرش وربما أدى إلى الوفاة وهذا مشاهد بين وقت وآخر وكلنا يعلم جيداً بأن تناول القات يصاحبه التدخين المتواصل عند الكثير من المدمنين وتخزين القات يتطلب إغلاق الغرفة إغلاقاً محكماً مما يؤدي إلى أمراض القلب وجهاز التنفس وسرطان الرئة هذا ما يتعلق بالجانب البدني.

وأما الأمراض النفسية:

فيلاحظ أن هناك نوعاً من أنواع التعود الجسمي والنفسي بحيث إن الشخص المخزن في وقت الظهيرة يتسلل إليه الخمول وأوجاع المفاصل والحمى وإذا قام بالتخزين انتهت تلك الآثار ومن ذلك قلة النوم وإذا تأخر القات في وقت التخزين تلاحظ على المخزن المدمن أنه حادّ الطبع فيصاب بانتعاش ثم اكتئاب ومن ذلك أيضاً تأثيرات للقات على الجسم، سرعة ضربات القلب وخفقانه وارتجافه وزيادة ضغط الدم وازياد التنفس وارتفاع درجة حرارة الجسم والتعرق واتساع حدقة العينين وربما اتسعت عين واحدة وهي صاحبة الشق المليء بالقات فيكون عنده ميول في جهة واحدة تخاف من منظره لا سيما إذا كان الحشو كثيراً جداً ومن ذلك التهاب الفم والمعدة والإمساك وهو من أعظم أعراض تعاطي القات وتليف الكبد وفقدان الشهية

وذلك يؤثر على طاقاتهم العملية ومن ذلك فقدان الرغبة الجنسية عند الكثير من المخزنين وحدوث السيلان المنوي المعروف عند الكثير بالسلس.

وأما التأثيرات العصبية:

فمنها الإنتعاش الوقتي وزيادة اليقظة وتحبيذ الإتصال الإجتماعي الثرثرة التي لا معنى لها عند البعض وزيادة النشاط والهيجان والقلق والأرق .

وأما الأضرار الإجتماعية للقات:

فمنها الرشوة بالنسبة لأصحاب الرواتب القليلة خاصة والتسيب والإهمال الإدراي والمحسوبية والتفكك الأسري والإنحراف الأخلاقي عند البعض وجنوح الأطفال لأكل القات مما يشاهدونه من الكبار والسرقة وشهادة الزور وحوادث المرور وهناك حوادث كثيرة كان السبب في ذلك بعد تقدير الله عَزَّوَجَلَّ أكل القات وانخفاض المستوى العلمي بالنسبة للطلاب وانتشار بعض الأمراض وتلويث البيئة العامة هذه الآثار السلبية بسبب تعاطي القات كما أن ارتفاع سعر القات يؤدي إلى قصور الإنفاق على الأسرة طعاماً وشراباً وكساءً ودواءً وقد شاهدنا في شهر رمضان من يأتي وفمه مليء بالقات ومعه أولاد صغار يسأل الكسوة لهم أو الطعام فبسبب ارتفاع سعر القات يؤدي ذلك إلى قصور الإنفاق على الأسرة طعاماً وشراباً وكساء ودواء وسكنى وحاجات الأطفال كما أن عملية مضع القات من أربع ساعات إلى ست ساعات تذهب سدى غالباً هذا بعض أضراره من الناحية الإجتماعية.

أما الأضرار الإقتصادية:

فإن المساحة المزروعة من الأرض تصل حوالي نصف الأرض المستغلة في الزراعة هذا كان في أوائل الثمانينات ولا شك أنها بعد عام ألفين قد ازدادت

حسب الدراسات من قبل جمعية أصدقاء بلا قات وغيرها من الدراسات المعتبرة من اليمن وخارجها وأما نسبة متعاطي القات فقد قرر الأخصائيون بأن أكثر من ثلاثة أرباع سكان الجمهورية اليمنية يتعاطونه ذكوراً وإناثاً بمختلف الأعمار والفئات الإجتماعية كما يقوم على خدمة القات إنتاجاً وتسويقاً حوالي ثلث الطاقة البشرية العاملة في الجمهورية.

إن هذه الشجرة طغت على كثير من المحاصيل الزراعية الأخرى كالذرة والحبوب والبن وحلت محلها لسرعة محصولها وكثرة الربح المادي الذي يفوق ربح البن بعدة أضعاف وبهذا فقدت اليمن دخلاً عالمياً فقد كان البن اليمني مشهوراً في كثير من أسواق العالم ، هذا مما يؤسف له والله كل يمني عنده مثقال ذرة من علم وعقل وفكر وحضارة ولو أردنا استقصاء أضرار القات لطال بنا الحال وربما احتاج إلى أربع خطب ولكن أشرنا بهذا إشارة على أن الكثير من المسلمين المخزنين لا نقول إنهم قد خرجوا من دائرة الإسلام لكن على أقل الأحوال نقول : هذا من باب الإسراف المنهي عنه والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[الأنعام١٤١] .

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء٢٦ـ ٢٧].

وهكذا { نهى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن قيل وقال، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال }[1].

وهذا أمر ملاحظ عند الكثير من المخزنين المنصفين فهم يشهدون بأنهم في إسراف لكنهم يقولون نحن مدمنين مبتلين وهم يشهدون بذلك وهم يعرفون

(١)متفق عليه: البخاري:(١٤٠٧، ٢٢٧٧، ٥٦٣٠، ٦١٠٨، ٦٨٦٢)ومسلم:(١٢/٥٩٣) ولفظ الحديث: { إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال } عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ما عنده من الأضرار أكثر من الخطيب أو المحدث أو الفقيه .

أما حكم الإسلام في أكل القات :

فنحيل الفتوى على كبار علماء اليمن فقد ذكر الفقيه أبو بكر إبراهيم المقرئ الحرازي الشافعي وقد ألف كتاباً بعنوان تحريم القات هذا الرجل العالم الكبير قال : كنت آكل هذه الشجرة في سن الشباب ثم اعتقدتها من المشتبهات وقد قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديث الصحيح : { فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه}[1] قال : ثم إني رأيت من أكلها الضرر في بدني وديني فتركت أكلها فمن ضررها أن آكلها يرتاح ويطرب وتطيب نفسه ويذهب حزنه ثم يعتريه قدر ساعتين من أكلها هموم متراكمة وغموم متزاحمة وسوء خلق عند البعض وكنت في هذه الحالة إذا قرأ عليّ أحد طلابي يشق عليّ مراجعته أرى مراجعته جبلاً وأرى لذلك مشقة عظيمة ومللاً وإنه يذهب شهوة الطعام ولذته ويطرد النوم ونعمته ومن ضرره في البدن أنه يخرج من أكله شيء بعد البول كالودي لا ينقطع إلَّا بعد حين وطالما كنت أتوضأ فأحس بشيء منه وأعيد الوضوء تارات وأحس به في الصلاة بحيث أتحقق خروجه فيها فأعيده وسألت كثيراً ممن يأكلها فقد ذكروا ذلك عنها وهذه مصيبة في الدين وبلية للمسلمين ، هذه فتوى أحد علماء اليمن المتقدمين .

أما من العلماء المعاصرين وهو الشيخ العالم الجليل محمد سالم البيحاني ذكر ذلك في كتاب له بعنوان : إصلاح المجتمع والكتاب يباع في الأسواق فقد ذكر كلاماً طويلاً آخذ بعضاً منه ويمكن أن تراجعوا كتابه فكتابه موجود في المكاتب الإسلامية في اليمن وغيرها ، الشيخ محمد سالم البيحاني رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في كتابه إصلاح المجتمع قال : ضرره أي ضرر القات قريب من الخمر والميسر

(١) متفق عليه: البخاري (٥٢، ١٩٤٦) ومسلم(١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لما فيه من ضياع المال وذهاب الأوقات والجناية على الصحة وبه يقع التشاغل عن الصلاة وكثير من الواجبات المهمة إلى أن قال : ومعلوم من القات أنه يؤثر على الصحة البدنية ويحطم الأضراس ويهيج الباسور ويفسد المعدة وله كلام طويل؛ ثم قال في آخر كلامه :

عزمت على ترك التناول للقات صيانة ... عرضي أن يضيع وأوقاتي

وقد كنت عن هذا الخبيث مدافعاً ... زمناً طويلاً رافعاً فيه أصواتي

فلما تبينت المضرة وانجلت ... حقيقته بادرت بالمناوات

طبيعته اليبس الملم ببردة ... أخا الموت كم أفنيت منا الكرامات

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الكريم وعلى آله ومن والاه إلى يوم الدين :

عباد الله :

اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما خولكم فيه من النعمة فإن الله يقول : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم٧] .

ويقول القائل :

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

معاشر المؤمنين :

هناك حوادث مرورية كثيرة سببها تعاطي القات وهناك أيضاً أسرٌ كثيرةٌ تهدمت وحالات طلاق أمور كثيرة يطول شرحها سبب ذلك أكل القات فيجب علينا معاشر المسلمين أن نتقي الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسنا ومن كان لا بد أن ينفق مال فليبني له قصوراً في الجنة فلينفق على الأيتام والأرامل والضعفاء هناك بعض العقلاء كان يخزن بمبالغ باهظة ثم بعد ذلك وفر أمواله فاشترى عقارات وزرعها وترك أكل القات فعوضه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بغض هذه

الشجرة وهكذا بعض الناس كان مدمناً فأقلع وأعانه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكن الأمر المتعارف عليه عندنا معشر اليمنيين : أن من ليس بمخزن يتهم بأنه بخيل أو جبان أو أنه ليس كالرجال هذه أمور لا محل لها من الإعراب أبداً بل إن الذي لا يخزن هو أفضل من الذي يخزن لأن الذي يخزن ينفق أمواله بما لا فائدة منها فأي فائدة وأنت تحشو بطنك وفمك بهذه الشجرة فأقول : اتقوا الله عَزَّوَجَلَّ اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما أعطاكم من الخير وتأملوا معاشر المسلمين : لو استفدنا درساً واحداً من شهر رمضان وذلك أنك لا تأكل القات في نهار رمضان ولا تشرب الدخان هذا أمر لا زال المسلمون محافظون عليه في يمننا وفي غير يمننا والأمر راجع إلى العزيمة فإذا كان عند الإنسان عزيمة قوية والله لا تستطيع الجبال الشم الشامخات أن تهدهدها أبداً فإذا كنت ذا عزيمة فأنت على خير فاحرص على مالك فوفره لزواجك أو زواج أبنائك أو إصلاح بيت وإن كنت ذا مال كثير عريض فإن عليك حقاً في هذا المال أن تعطي منه للفقراء والمساكين كما أمرك الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم وكما وجهك نبيك محمدٌ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهكذا أيضاً ننصح لإخواننا المسؤولين فإن بعضهم يستحي أن يقول يريد حق الطعام لكنه من السهل أن يطلب حق القات هذه والعياذ بالله ذلة ومهانة أنزلت من قدر هذا الرجل المسؤول أن يطلب حق القات فلولا هذه الشجرة لما مدّ يده إذن فهذه ذلة يجب علينا أن نترفع عنها يجب علينا أن نسمو بأنفسنا وأن لا نهينها إلى هذا المستوى وهناك بعض الناس يقول : لولا هذه الشجرة لما استطعنا أن نحل مشاكلنا نحن الشعب اليمني مشاكل أكثر من غيرنا وهناك في شعوب كثيرة من الشعوب الإسلامية وغيرها ربما كانت مشاكلهم أقل من مشاكلنا ومع ذلك لا يأكلون هذه الشجرة .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ، اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى اللهم اعطنا ولا تحرمنا وكن معنا ولا تكن علينا اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة .

٢٠ قصة موسى مع فرعون وأقسام الناس في يوم عاشوراء

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في محكم كتابه حاكياً عن أوليائه وأتباع أمره وشرعه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف١١١].

فمن أراد أحسن القصص فليأخذها من القرآن ومن أراد أحسن الحديث فليأخذه من القرآن فإنه صدق كله صدق في أخباره عدل في أحكامه وتشريعاته ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت٤٢] إنه القرآن الكريم معجزة محمدٍ سيد الأولين والآخرين فيه خبر من قبلنا ونبأ من بعدنا ففي هذا الكتاب المبارك يتحدث رب العالمين بصيغة الإستفهام إلى خاتم النبيين إلى الرسول الأمي المبعوث رحمة للعالمين يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ ﴾[طه ٩] هل تريد يا محمد أخبار ذلك النبي الذي بعثه الله إلى أطغى رجل في الأرض في ذلك الزمان فهذه الآية المباركة تتحدث عن قصة عجيبة إنه قصة كليم الرحمن الذي نجاه الله من الذبح في صغره ثم كان رسولاً نبياً مكلماً يرسله الله إلى بني إسرائيل ليدعوهم إلى الصراط المستقيم فموسى في الصحراء يعود من عند الرجل الصالح[1] الذي زوجه إحدى ابنتيه ليأجره ثماني سنوات في رعي الأغنام وغيرها فيعود مع أهله بعد أن قضى المدة ووفى بالشرط[2] لصاحبه عصاه بيمينه وقد أنهكه وعثاء السفر فيستظل تحت شجرة ثم كان ما كان من أمر رب العالمين إنها فتوحات ربانية إصطفاء من رب العزة والجلال فاسمع إلى ربك وهو يصور

(١) قيل انه النبي شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل أنه رجل صالح من الصالحين كان رئيس لأهل مدين.
(٢) وفى بأتمه وأكمله العشر الحجج.

ذلك الموقف العجيب في تلك الصحراء المباركة قال جَلَّوَعَلَا : ﴿ مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[طه: ٩ـ١٥].

إلى أن قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[طه١٧] ورب العالمين أخبرعنه أنه قال :﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[طه:١٨ـ٢٠].

هذه بداية القصة وهو بداية الإصطفاء والإختيار فكان هذا الرجل يفاجأ بمثل هذا الكلام فإذا به يطلب من ربه حينما أعلمه بالمهمة قال :﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[طه: ٢٤ـ٣٤]

هذه مطالب موسى من رب العالمين، ولو تأملت في قضايا هذه القصة لرأيتها ثلاث قضايا من أم القضايا أو هي أم القضايا مسألة التوحيد ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[طه١٤] ثم قضية البعث واليوم الآخر﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[طه:١٥] .

فقضية التوحيد من أجلها بعث الله الأنبياء ولأجلها خلق الله الجنة والنار ولأجلها خلق الله الإنس والجن فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ

إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦ـ٥٨]. حتى يكون المؤمن عارفاً بربه متكلاً عليه واثقاً بما عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم قضية الصلاة التي فرضت على كل الأمم ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[طه١٤].

فالصلاة عمود الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن ضيعها فقد ضاع أولاً ثم ضاع دينه والعياذ بالله يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر}(١)، وفي حديث آخر يقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة}(٢).

فمن صلى كان من المؤمنين ومن لم يصلّ عياذاً بالله يكون قد تشبه بإخوانه الكفار الذين لم يؤدوا فريضة فرضها الله عليهم.

ثم قضية اليوم الآخر وهي من أصول هذا الدين كما في أحاديث كثيرة: {وأن تؤمن باليوم الآخر }(٣). وسمي باليوم الآخر لأنه آخر أيام هذه الدنيا فلا يوم بعده إنما هو يوم واحد ثم يصرف الناس إلى جنة أو إلى نار ﴿ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾[الشورى ٧] فإذا استقرت هذه القضايا في قلوبنا عرفنا حقيقة هذه الدنيا وعرفنا حقيقة أنفسنا إنها عقيدة راسخة تقود العبد إلى رضا الله بخلاف من تعلق بهذه الدنيا وظن أنها باقية بين يديه وهي زائلة وربي .

(١) صحيح:رواه أحمد(٢٢٩٨٧) والترمذي(٢٦٢١) والنسائي(٤٦٣) وابن ماجه (١٠٧٩)عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٤٣) والمشكاة (٥٧٤) وصحيح الترغيب (٥٦٤) .

(٢) رواه مسلم(٨٢) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) جزء من حديث جبريل المشهور: رواه مسلم(٨) وأحمد):٣٦٧) وأبوداود(٤٦٩٥) والترمذي (٢٦١٠) والنسائي (٤٩٩٠) وابن ماجة(٦٣) وغيرهم. والحديث قد جاء عن أبي هريرة عند البخاري:(٥٠، ٤٤٩٩) ومسلم:(٩ ، ١٠) ، وجاء عن أنس وابن عباس وأبي عامر وأبي ذر وابن عمر وابن مسعود والحارث الأشعري وجرير بن عبد الله. انظر: تفاصيلها في (الأضواء السماوية) ص/ ٥٢ ـ ٥٣) والإرواء رقم(٣).

أنت القوي فقد حملت عقيدة أمـا سـواك فحـامـل أسـفـار
يتعلقـون بهـذه الدنيـا وقـد طبعت على الإيـراد والإصـدار
دنيا وبـاعـوا دونهـا العليا فيا بؤساً لبيـع المشتري والشاري

هذه هي الدنيا وحقيقتها إنما هي أيام فمن آمن باليوم الآخر وصار ذلك معتقداً في قلبه هانت عليه المصائب والملمات لأنه يعلم أنها حياة زائلة وأنها قد جبلت على الأنكاد وعلى المصائب والهموم والأحزان فكل شيء من الآفات فيها بخلاف الدار الآخرة فإنه لا وصب فيها ولا نصب ولا حزن ولا شيء هذه هي دعوة الأنبياء من لدن نوح عليه الصلاة والسلام إلى سيد ولد عدنان محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دعوة إلى التوحيد دعوة إلى إقامة الصلاة ودعوة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، ثم كان التكليف لموسى عليه الصلاة والسلام بأن يحمل أعباء الرسالة ليرسله الله إلى فرعون قال : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[طه٢٤، النازعات١٧] بمعنى أنه تجاوز الحد ادعى الربوبية فقال لأهل مصر إنه ربهم الأعلى وقال : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾[الزخرف:٥١ـ٥٢].

ففرعون تتطاول على الله وتطاول واستهزأ بموسى عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾[الزخرف: ٥٢].

أي لا يكاد يفصح ثم كان الغرور بهذا الرجل أن تجاوز حده مع ربه ومع النبي الذي أرسل إليه وتجاوز الحدود أيضاً أن قتل الأطفال الأبرياء قتل

الأطفال الأبرياء واستحيا أمهاتهم في الأعمال وقطع أعناق رجال بني إسرائيل واستعبدهم فرعون وكان أهل مصر في ذلك الزمان يظنون أن فرعون هو ربهم الأعلى عياذاً بالله كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الزخرف٥٤]. فيذهب موسى إلى فرعون كما أمره ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[طه٤٤]. فموسى يرسل إلى هذا الطاغية لم يذهب لحربه ولا لأخذ ملكه وإنما ليدعوه إلى الله بالقول اللين:﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[طه٤٤]. فما كان منه التذكير وما كان منه الخشية لرب العالمين بل عاند فرعون وتحدى موسى وهارون وجمع السحرة من أقصى بلاد مصر من أجل مناظرة بينهم وبين موسى عليه الصلاة والسلام فجمع السحرة ومناهم فرعون بالجوائز والأعطيات إن هم غالبوا ما جاء به موسى ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[الشعراء٣٨] ثم أحضر موسى عليه الصلاة والسلام فـ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الشعراء٤٣] فألقوا ما عندهم من السحر ثم يلقي موسى عصاه فإذا بها تلتهم ما كان بحولها فعلم السحرة أن هذا أمر خارق للعادة فليس بسحر وإنما هو أمر رباني إلهي هناك ألقي السحرة ساجدين قالوا: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٢١ـ ١٢٢، الشعراء:٤٧ـ٤٨].

قال لهم فرعون: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾[طه٧١].

هذا تهديد من فرعون لمن كان قبل قليل يمنيهم بالأعطيات لقد آمنوا برب العالمين وتبعوا موسى وهارون أما فرعون لا زال في غيه وفي عناده وتهددهم

فرعون أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ؛ قالوا : ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه٧٢ـ٧٣] فنكل بهم فرعون وأنزل بهم الأفاعيل عياذاً بالله ثم تستمر المناظرة والمواجهة ورب العالمين يمهل فرعون وهو لا زال في غيه لكنه يمهل ولا يهمل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود ١٠٢] طالب موسى من فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل فما طالبه بملكه ولا بأمواله ولا بما كان له من الجبروت أن يتركه وإنما فقط أن يرسل معه بني إسرائيل رفض هذا الطلب فرعون أيضاً وما بالى بموسى عليه الصلاة والسلام فقرر موسى الخروج والهروب من ديار مصر لا قوة معه ولكن معه قوة رب العالمين أراد موسى أن يفر من فرعون لكن فرعون أبى إلَّا أن يدمر موسى ومن معه أيضاً فترقب فرعون خروج موسى وجمع لأمر أراده الله جمع أصحابه من كل ديار مصر لهذا اليوم الذي سيتابع فيه موسى لإزالته وإزالة دعوته فيخرج موسى مع نفر قليل وتخرج الدنيا في ذلك الزمان مع فرعون لأمر أراده الله حتى يصل موسى إلى البحر الأحمر فإذا بالجمعين يتراءيان كما قال الله : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾[الشعراء:٦١ـ٦٢]. أي لا تخافوا من فرعون فمعنا عناية الله ومعية الله قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء:٦٣]. أي كالجبل فيبس الله البحر ليمشي فيه موسى وقومه حتى خرج آخرهم من البحر ثم كان الإغراق والإهلاك لفرعون وقومه بدعوة موسى ولما كان له من حسن اللجوء إلى الله قال الله:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ

ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[يونس:٨٨ـ٩٠]. ملاحقة ومطاردة من أجل إنهائه لكنه أمر رب العالمين أن يبس البحر لموسى وقومه ثم كان الإغراق والإهلاك على فرعون فلما أحس هذا الرجل بأنه في هلاك هناك هتف بتوحيد الله لكنه لا ينفع الندم ولا التأسي حينها لأنه إذا حصلت الأحداث والتغيرات فأراد التائب أن يتوب فلا قبول لتوبته قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[يونس:٩٠]. فقيل له: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[يونس٩١]. فلا ينفع الإيمان حينها فمن كان مستقيماً على المعاصي ثم إذا رأى الموت يأخذ أطرافه فأراد أن يتوب حينها فلا قبول للتوبة لهذه الآية التي تليت ولقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر }[1].

حتى إن جبريل يقول لنبينا محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة }[2].

فقد كان فرعون معروفاً في السماء بأنه محارباً لله وفي الأرض كذلك محارباً لله ثم بعد ذلك أورث الله بني إسرائيل ما كان جمعه فرعون من الثراء قال

(١)حديث حسن: رواه أحمد(٦١٦٠) والترمذي(٣٥٣٧) وابن ماجة(٤٢٥٣) وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وحسنه الألباني في: صحيح الجامع(١٩٠٣) وصحيح الترغيب(٣١٤٣).
(٢)صحيح: رواه أحمد(٢٨٢١) والترمذي(٣١٠٧) وأبو داود الطيالسي(٢٦١٨) وغيرهم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٤٣٥٣، ٥٢٠٦) والصحيحة (٢٠١٥).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾[الدخان:٢٥-٢٨] . هذه الجنات والعيون والزروع كانت ميراثاً لبني إسرائيل أورثهم الله عَزَّوَجَلَّ إياها وقتل عدوهم وزلزل ملك فرعون واستمرت الحياة بعدها في خيرٍ وسلام وهكذا لكل ظالم نهاية فمهما طالت الأيام مهما طالت الليالي والأيام فإذا جاء الليل لا بد أن يشرق الصباح فالصباح يطارد الليل وهكذا النور يطارد الظلام فالظلم يندحر ويولي ويكون بعد ذلك بدلاً عنه القسط والعدل والخير فما تجبر أحد على الله إلَّا لقي مصرعه فاقرؤوا في القرآن قصة هذا الرجل وهكذا النمرود بن كنعان وهكذا ثمود وما كان من قوم عاد وهكذا ما حصل لأهل مكة وما حصل لأهل مأرب في ذلك الزمان وهكذا دواليك فما ترفع أحدٌ على رب العالمين إلَّا لقي مصرعه .

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

فأين الفرار والهروب والله هو الطالب فكان النصر والتأييد لموسى عليه الصلاة والسلام في مثل هذا اليوم في يوم عشرة من شهر الله المحرم فلقد وصل نبينا -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وصل المدينة النبوية في تأريخ عشرة من شهر ربيع الأول ثم لما كان من العام المقبل رآهم يصومون العاشر من محرم فقال : { ما هذا؟. قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله نبي إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال : فأنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه }[1] .

وكان صوم يوم عاشوراء مفروضاً قبل شهر رمضان فلما فرض رمضان

(١) متفق عليه: رواه البخاري(١٩٠٠، ٣٢١٦، ٣٧٢٧، ٤٤٠٣، ٤٤٦٠) ومسلم(١١٣٠) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

نسخ إلى الإستحباب سئل عن صوم يوم عاشوراء { أحتسب على اللهأن يكفر السُّنَّة الماضية }[١].

ويقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { لئن عشت إلى قابلٍ لأصومن التاسع }[٢] يعني مع العاشر .

فهنيئاً لمن كان في هذا اليوم صائماً محتسباً الأجر على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليكون قد أخذ بسنة النبيَين موسى عليه الصلاة والسلام ونبينا محمدٌ عليه الصلاة والسلام ، أما أمة اليهود في هذا الزمان فقد صارت لهم فيه أفراحٌ فقط ، وأما الشيعة الرافضة الإثناعشرية ستسمعون كيف يتعاملون في هذا اليوم في الخطبة الثانية إن شاء الله .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين .

(١) رواه مسلم(١١٦٢) وغيره عن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه مسلم(١١٣٤) وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا الكريم وعلى آله ومن والاه إلى يوم الدين :

معاشر المؤمنين :

الناس في هذا اليوم على ثلاثة أقسام :

أما القسم الأول : فهم المتبعون لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصومون التاسع والعاشر من شهر محرم محتسبين الأجر على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

أما القسم الثاني: فهم اليهود فيظهرون في هذا اليوم الفرح والسرور ويظنونه عيداً باعتبار أنه كان نجاتهم من فرعون في مثل هذا اليوم وليس لهم في ذلك سنة وإنما هو اتباع الهوى وأسفاً لبعض المسلمين في غير هذا البلد يظهرون الفرحة والسرور ويطبخون الكثير من الحبوب ويوزعون كثيراً من الحلوى باعتبار أنه يوم عيد تأسياً بما يرونه ويشاهدونه من أمة اليهود .

أما القسم الثالث: فهم الشيعة الرافضة في مثل هذا اليوم يعقدون المآتم والنياحة والأحزان ففي مثل هذا اليوم يخرجون هناك في إيران في طهران يتوجهون إلى إلى قبر الحسين وليس الحسين إلَّا في العراق لكنهم يجعلون له هناك مقاماً فيذهبون إلى موضع هناك فيكثرون من النوح والبكاء ويكثرون من ضرب أنفسهم أو يضرب بعضهم بعضاً بالسكاكين ويظهرون النوح زاعمين أنه يوم مظلم لأنه اليوم الذي قتل فيه سيدنا الحسين بن علي بن فاطمة

بنت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أهل السُّنَّة يتولونه ويحبونه ويدعون له ويترحمون ويتبرؤون ممن قتله أو ساهم في قتله هؤلاء هم الذين كاتبوا الحسين وكان في مكة كاتبوه على أن يقدم إلى العراق ليبايعوه على الخلافة بعد أبيه فحذره عبد الله بن عباس حذره ابن عمر من الخروج قال له : إن القوم يريدون لك الكيد والقتل ، ولما لقي الفرزدق قادماً من العراق قال : كيف وجدت الناس هناك ؟ قال : وجدتهم قلوبهم معك وسيفهم عليك وأنا ناصحك أن لا تفد إليهم فإن صممت إلَّا الذهاب فتعال أعانقك معانقة مفارق لا لقاء بعده لما يعلمون لما عند أهل العراق من الغيظ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ ولما وصل أهل العراق زمن ابن عمر يستفتونه في بعض المسائل في الحج قال : قاتلكم الله تسألوني عن دم البعوض أيفسد الحج أم لا ؟ وقد قتلتم ابن بنت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-[1].

الرافضة الإثنا عشرية صارت لهم قنوات وصار لهم نفوذ وصارت لهم تحركات في الدول العربية؛ بل صار هناك تطبيع بينهم وبين دول الجوار هؤلاء هم الذين أذاقونا المرَ في هذا البلد هم الذين حصل ما حصل منهم من القتل والتدمير وإذا تأملت في تأريخهم لا ترى والله إلَّا الويلات عقيدة الرافضة عقيدة عبد الله بن سبأ اليهودي[2] ، إنهم ينهجون نهجه وإن سموا أنفسهم

(١) رواه البخاري(٣٥٤٣، ٥٦٤٨) وأحمد(٥٥٦٨، ومواضع) والترمذي(٣٧٧٠) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(٢) عبد الله ابن سبأ (٠٠٠ - نحو ٤٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٦٠ م) عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي: رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل: كان يهوديا وأظهر الاسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة. ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته. ومن مذهبه رجعة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب برجوع محمد ! ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بويع علي قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الارض وبسطت الرزق ! فنفاه إلى ساباط المدائن، حيث القرامطة وغلاة الشيعة. وكان يقال له « ابن السوداء « لسواد أمه. وفي كتاب البدء والتاريخ:

بالإسلاميين وعجباً لبعض المسلمين حينما ظهر ذلكم الرجل الذي يسمى بما تعرفون وتشاهدونه وكانت ترفع له الشعارات والصور وكان يسمى بسيد العرب وجبن الخطباء والعلماء من أن يتحدثوا لأن الناس معهم إذ أنهم يرفعون الشعار الموت لإسرائيل والموت لأمريكا ثم بعد ذلك ماذا حينما ظهر هذا الرجل وتكلم على الرئيس صدام حصل عند كثير من المسلمين تغير في نظراتهم وكان طلاب العلم والعلماء والدعاة يحذرون من هذا الرجل يقولون : إنه على مبدأ الرافضة الإثناعشرية يسب أصحاب محمدٍ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يسب الشيخين أبي بكر وعمر فلا يلتفتون لمثل هذا وحينما تكلم على صدام وأسمع المسلمين كلاماً مقذعاً فيه تغيرت نظراتهم .

فيا أمة الإسلام ويا أمة العقيدة والتوحيد :

الواجب علينا أن نرجع في قضايانا إلى علمائنا وأن لا نحب أو نبغض إلَّا على ضوء فالمسلمون في هذا اليوم صائمون في مشارق الأرض ومغاربها لكن الرافضة يظهرون مآتم وأحزان وهكذا في ثمانية عشر من ذي الحجة هناك في صعدة باعتبار أن مركزهم هناك يحتفلون احتفالاً عالمياً كما يقال وربما أدى إلى قتل بعضهم باعتبار أنه يوم الغدير غدير خمّ يظنون أنه اليوم الذي بايع فيه محمدٌ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- الولاية لعلي وهو راجع من مكة إلى المدينة وما حصل من ذلك شيء وإنما لما رجع الرسول من مكة نزل في منطقة يقال لها : غدير خمّ لكثرة الأشجار فحصل ما حصل بشأن السرايا والسبي التي كانت عند عليّ في اليمن ، فأبغضه بعض الصحابة فأراد رسول الله أن يزيل ما في قلوبهم قال:

يقال للسبئته « الطيارة » لزعمهم أنهم لا يموتون وإنما موتهم طيران نفوسهم في الغلس، وأن عليا حي في السحاب، وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا: غضب علي ! ويقولون بالتناسخ والرجعة. وقال ابن حجر العسقلاني:ابن سبأ، من غلاة الزنادقة. انظر: تأريخ دمشق(٢٩/ ٣) والأعلام للزركلي(٤/ ٨٨) والبداية والنهاية(٧/ ١٨٨) والبدء والتاريخ(٥/ ١٢٩) ولسان الميزان(٣/ ٢٨٩) وعقيدة الشيعة(٥٨ و ٥٩) وتهذيب ابن عساكر(٧/ ٤٢٨) وغيرها.

{ من كنت مولاه فعليٌ مولاه }[1] هذه العبارة قالها عليه الصلاة والسلام: {من كنت مولاه فعليٌ مولاه } ومن الذي لا يحب عليَّ بن أبي طالب أهل السُّنَّة هم الذين يحبون علياً لكنهم لا يؤلهونه ولا يقولون إنه نبي ولا يرفعونه فوق منزلته بل والله إن عليّ بن أبي طالب لا يريد من أحد أن يرفعه فوق منزلته ، إن كثيراً من المسلمين عقيدتهم في عليّ أنه مقبور بين السماء والأرض من أين تسرب هذا ؟ من قبل الشيعة الرافضة الإثناعشرية فالواجب على المسلم أن يكون ملماً بمثل هذه الأخبار وأن يعلم أن العقيدة الصحيحة هي عقيدة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القرآن الذي بين يديك وصحيح البخاري ومسلم وبقية أحاديث رسول الله وهذا ليس عند الشيعة منه شيء أعني الرافضة الإثناعشرية لأنهم على قسمين : رافضة اثناعشرية بمعنى أنهم يعتقدون عصمة اثني عشر إماماً.

أما الشيعة الذين يقال عنهم زيدية فهم على ما نحن عليه لكن الذين واجهوا الدولة في اليمن وفعلوا ما فعلوا ولا زالوا في عراك معها إلى يومنا هذا ليسوا من الزيدية ولا من الشيعة الذين هم زيدية وإنما هم رافضة اثناعشرية لهم دولة تدعمهم ولهم قنوات وهكذا صار لهم نفوذ في المملكة السعودية وفي ما جاورها من دول الخليج فقد صار لهم علم يرفع وكأنهم في طهران في قمّ هذا الفرقة الرافضية يجب على المسلمين معرفتها وإننا إن تكلمنا بهذا والله لا نريد إلَّا النصرة للمسلمين لا نتزلف به إلى الحكام ولا نريد من ورائه

(١) صحيح: رواه أحمد(٦٤١، ومواضع) والترمذي(٣٧١٣) والنسائي(٨١٤٥، ومواضع) وابن ماجة(١٢١) وابن حبان(٦٩٣١) والحاكم(٤٥٧٦، ومواضع) وغيرهم.
وقد ورد الحديث من حديث زيد بن أرقم وسعد بن أبي وقاص وبريدة بن الحصيب وعلي بن أبي طالب وأبي أيوب الأنصاري والبراء بن عازب وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. وانظر: تفاصيلها في: الصحيحة(٤/ ٢٤٩ رقم ١٧٥٠) والظلال(من حديث(١٣٥٤) إلى حديث(١٣٨٧).

متجراً ولا مكسباً ولا مغنماً كما يعلم الله وإنما من باب قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { الدين النصيحة قلنا : لمن يا رسول الله قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم } [1] وجرنا الحديث إلى هذا لأنه هو اليوم الذي يصوم فيه المسلمون لكنهم بخلاف المسلمين فهم لا يتمشون مع المسلمين وإنما لهم طقوس وأحوالٌ يختصون بها فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرينا الحق حقاً فيرزقنا اتباعه والباطل باطلاً فيرزقنا اجتنابه ، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم اصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا واصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر اللهم اعطنا ولا تحرمنا وكن لنا ولا تكن علينا يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعلنا من عبادك المنصورين في الدنيا والآخرة اللهم انصر عبادك المؤمنين يا رب العالمين اللهم كن لهم نصيراً ومعيناً يا أرحم الراحمين اللهم عليك باليهود الغاصبين وعليك بالنصارى الضالين ، اللهم من كان من أمة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على باطل ويظن أنه على حق فاهده الصراط المستقيم اللهم اهدنا الصراط المستقيم يا رب العالمين

(١) رواه مسلم:(٥٥) وأحمد:(١٦٩٨٢)وأبو داود:(٤٩٤٤) والنسائي:(٤١٩٧) وعلقه البخاري:في الإيمان: باب قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدين النصيحة. ورواه الترمذي:(١٩٢٦) عن أبي هريرة.

فائدة: قال أبو داود: هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه وقال الحافظ أبو نعيم هذا الحديث له شأن عظيم وذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أرباع الدين.جامع العلوم (ص٧٧).

وقال ابن رجب: وقد أخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الدين النصيحة فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وسمى ذلك كله دينا. جامع العلوم(ص٧٨).

وقال النووي: هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام وأما ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه بل المدار على هذا وحده. شرح مسلم(٢/ ٣٧)

، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

عباد الله :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل٩٠] .

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون وأقم الصلاة .

(٢١) ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين :

يحكي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في محكم كتابه قصة عجيبة ونبأً غريباً عن نبي من أنبيائه الكرام النبي بن النبي سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام الذي جمع الله له بين عز الدنيا والآخرة فلقد كان ملكاً يُسمع ويُطاع له وأيده الله بكثير من الخوارق والمعجزات وكان نبياً مرسلاً أيده الله بالعلم والحكمة فكان الجزاء أن شكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ففي موقف عظيم وموقف مهيب يقول جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٧ـ ١٩] ثم يجلس سليمان في مملكته وحوله جنوده من الجن والإنس ومن الطير وهو الإمام المطاع والنبي المجتبى في ذلك الزمان وكانت مملكته في بلاد فلسطين وكانت أوامره تنفذ إلى جميع أقطار الأرض فهو ملك ذلك الزمان وهو الرسول الذي أرسله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسله بالهدى ودين الحق فبينما هو في مملكته وكان من ضمن جنوده أحد الطيور المعروفة لكنه طائر خاص يسمى بالهدهد له مجلس معلوم إن جلس يراه سليمان وفي هذا اللقاء والإجتماع لم يكن هذا العضو حاضراً بل كان غائباً وما قطع سليمان بغيابه وإنما التمس له العذر وهكذا شأن أهل الإيمان يعذرون ولا يستعجلون فيقول بألطف عبارة : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [النمل: ٢٠ـ ٢١].

بمعنى إن كان غيابه لأمر شرعي وحجته قوية كان معذوراً وإن لم يكن كذلك فلقد حدد العقوبة نبي الله سليمان وكان حازماً في مملكته يسوس بني إسرائيل ويحل مشاكلهم ويقوم بشأن الرعايا كما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء }[1] ، فهذا النبي الكريم يصدر هذا القرار العظيم على أحد أعضاء مملكته وجنوده يتهدده بالعقوبة قال بعض المفسرين في قوله: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ ﴾: المراد بذلك نتف ريشه[2] بأن يأمر بنتف ريشه فتأكله الدواب والهوام فلا يستطيع الطيران ﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [النمل:٢١] فلما جاء الهدهد يقول ربناَ: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [النمل٢٢]. بمعنى أن غيابه كان قليلاً يمكث الهدهد أمام سليمان عليه الصلاة والسلام فيقول: ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل٢٢].

ففي بداية السياق القرآني تتحدث نملة فيسمع سليمان كلامها فيتعجب من قولتها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ [النمل:١٨] وها هو الآن يتكلم مع الهدهد إنه لملك عظيم لكن ذلك ما حمله على الطغيان ولا على الكبرياء وإنما تواضع لرب الأرض والسماء وهكذا شأن العظماء فكلما زاد ملكهم وزادت أموالهم وثراؤهم زاد تواضعهم فعلى ما يكون التكبر وقد جرى ابن آدم من مجرى البول مرتين فأنت ضعيف يا ابن آدم فهذا النبي الكريم يسمع إلى خطاب الهدهد وهو يقول: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾

(١) متفق عليه: البخاري(٣٢٦٨) ومسلم(١٨٤٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٩/ ٥٠٥) وتفسير ابن كثير(٣/ ٤٧٨) وتفسير القرطبي(١٣/ ١٦٢) وغيرها من كتب التفسير ورواه الحاكم في المستدرك (٣٥٢٦) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[النمل٢٢]. دليل على أن الأنبياء ما كانوا يعلمون الغيب على علوّ مراتبهم وكثرة علومهم وعلى تلقيهم الوحي صباحاً ومساءً فهم لا يعلمون الغيب هدهد من الطيور يقول لسليمان: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾[النمل٢٢]. وما ها هنا نافية ينفي أن يكون سليمان قد أحاط بما أحاط به من العلم والمعرفة في جزء يسير وفي بقعة من بقاع الأرض قال: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل٢٢]. بمعنى أنه جاء إلى أرض اليمن إلى مملكة بلقيس التي كانت في أرض مأرب فدخل في تلك المملكة ورأى القصور ورأى عرش بلقيس وتأمل ما عندهم من حظوظ الدنيا وحضارتها فظل يسرد لسليمان ما رآه من أعاجيب رحلته ذكر له ما رآه من أمور الدنيا ثم ما كان من أمر الدين﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل:٢٢ـ ٢٣]. هذا ما يتعلق بأمر الدنيا.

أما ما يتعلق بأمر الدين قال: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾[النمل:٢٤ـ٢٦] .

هذا استنكار من الهدهد لهؤلاء الذين صرفوا العبادة لغير الله والله هو الذي خلق وهو الذي رزق وهو الذي أعطى كل شيء فهدى فلذا يرفع الله من شأن الهدهد وجعل قولته كلاماً يتلى إلى يوم القيامة لأنه غار على أمر التوحيد ونبذ الشرك وما كان عند أولئك الأقوام من التبابعة السبئيين من السجود لغير الله وذلك أنهم كانوا على دين المجوس فخشي سليمان أن يكون هذا استعذار من الهدهد وأنه شيء ألقاه الشيطان من أن يخرج من سخطة سليمان هروباً من

الذبح ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[النمل:٢٧ـ٢٨]. ثم كتب كتاباً له قال : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل:٣٠ـ ٣١].

فينطلق الهدهد من أرض فلسطين يحمل رسالة من سليمان بن داود إلى ملكة سبأ وأعضاء مملكتها يطالبهم بالإسلام أولاً دون تهديد أو وعيد وإنما يطالبهم بالدين فيدخل الهدهد مملكة سبأ ويتأمل أين تمكث ملكتهم فيلقي بذلك الخطاب ثم يتولى بعيداً بمنآى يريد ماذا يكون الرد على رسالة سليمان عليه الصلاة والسلام فإذا بالملكة تأخذ الرسالة إنه أمر مدهش فمن الذي ألقاها إنها لا تدري لكن تلك المرأة كان عندها من حصافة العقل والفطنة ما يؤهلها أن تفهم رسالة سليمان لا سيما وأنها مختومة بخاتم الملك وكان الختم مهيلاً معظماً عند الملوك والخلفاء فتأخذ الرسالة وتجمع أعضاء مملكتها من أجل المشاورة من أجل تفهم الخبر :﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[النمل: ٢٩].

هكذا تصف الكتاب إنه كتاب كريم و﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[النمل:٣٠ـ ٣١]. ثم قالت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل: ٣٢].

فإذا بالجنود يجيبونها وأعضاء دولتها يثنون على أنفسهم وعلى ملكتهم وما أوتوا من القوة والعتاد: ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[النمل: ٣٣].

وهذا يدل أيضاً على أدبهم إذ أنهم ألقوا بالمشورة دون أن يقطعوا بأمر من قبلهم وهكذا من استشير يأتي برأيه ما يراه ناصحاً لمن استشاره ويتقي في ذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم يترك الأمر لمن استشاره ولا يكون كلامه كنص قرآني أو حديث نبوي يريد من ذلك تطبيق كلامه دون كلام غيره من الناس على أنه رأي وضرب من الإجتهاد فهؤلاء يقولون: ﴿ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [النمل:٣٣]. تريدين أن نحارب وأن نقاتل فنحن أهل لذلك نسارع ونقاتل من أجل مملكتنا ومن أجل وطننا من أجل ما عندنا من الخيرات في بلدنا هذا فكانت المرأة أعقل منهم فقالت: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[النمل:٣٤ـ ٣٥].

فإذا بها تجمع هدايا من أغلى وأنفس التحف والهدايا وهي تريد من وراء ذلك أن تختبر سليمان أهو يفرح بأمر الهدايا بأمر المال والثراء من أجل أن يسقط من عينها لتعلم أنه صاحب دنيا فترسل مجموعة من الرجال مع رجل يسوس هؤلاء من أرض سبأ إلى أرض فلسطين ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ ﴾ أي منتظرة ﴿ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ ﴾[النمل:٣٥ـ٣٦] جاءوه بهذه التحف. ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[النمل:٣٦ـ٣٧].

فعلمت حينها أن هذا الملك إنما هو صاحب دين وأنه يدعوها إلى الإسلام وأن الدنيا لا تساوي عنده شيء وأنه قد أوتي من حظوظها ما لم تعطاه بلقيس ومملكتها إذ أن الله سخر له الريح تأخذه من مكان لآخر وسخر له الجنود من الجن والإنس والطير فكان هذا تسخيراً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلما عاد الرسل

من أرض فلسطين علمت هذه المرأة أن هذا الرجل إنما يريد منها الإسلام فحركت قومها وحركت أفراد دولتها من أجل الهجرة والإنتقال والمفاهمة فانتقلت من أرض سبأ إلى أرض فلسطين فلما علم سليمان بتحركها كان في تشاور مع أمرائه مع أعضاء دولته فقال: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النمل٣٨]. وهم بينما هم في الطريق وكان عرش بلقيس في سبعة أبيات كل بيت فيها جنود يحرسون هذا الملك العظيم الذي هال الهدهد حينما قال لسليمان: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣]. أي سرير تجلس عليه من أجل قضايا الناس قد رصع بالذهب والفضة والياقوت فيقول سليمان من أجل أن تكون مفاجأة لملكة سبأ ولتعلم أن ملكها ليس بشيء بالنسبة لملك سليمان ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[النمل:٣٨ـ٣٩]. والمراد بذلك أن يحضر هذا السرير من أرض سبأ إلى فلسطين في قرابة ست ساعات من حين يقوم سليمان في سياسة أمور بني إسرائيل إلى قبيل الظهر ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[النمل:٣٨ـ٣٩] فيقول شخصٌ آخر صال عليه بالعلم فبعضهم يقول : مؤمن من الجن وبعضهم يقول من الإنس والله أعلم بحقيقة ذلك لكن عنده علم من الكتاب علمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ﴾ [النمل ٤٠]. بمعنى في ومضة عين يا سليمان وأنت تراه بين يديك فما أن رفع جفنه ووضعه وإذا به يرى سرير بلقيس أمامه مشاهداً قد جيء به من أرض اليمن من بلاد مأرب ليكون في أرض فلسطين فلما رآه سليمان تعجب وعظم الله قال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[النمل ٤٠].

هكذا كان الشكر والإسترجاع فلم يكن الغرور والكبرياء وإنما هو التواضع لرب الأرض والسماء ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[النمل ٤٠].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

أما بعد :

فإن سليمان عليه الصلاة والسلام أراد إختبار هذه المرأة ورجاحة عقلها فإنها ملكة تسوس شعباً كاملاً فقال لجنوده: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[النمل ٤١]. فغيروا بعض مواضع الزينة فلما وصلت إلى فلسطين قيل لها ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ ﴾[النمل ٤٢].

إذ أنها لو نفت أن يكون عرشها لقيل لها : كيف تصعدين على سرير لا تعرفينه ولو أنها قالت : نعم هو لاتهمت بالحمق وسذاجة العقل فمن الذي أتى به من أرض اليمن لكنها كانت سريعة البديهة وذكية العقل فأجابت بقولها: ﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ ﴾ فأجاب الله لسليمان قال : ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل ٤٢]. ثم أراد سليمان أن يبهرها بموضع آخر وبعلامة أخرى فبينما هو في جنده إذ طلب مقابلتها طلب مقابلة هذه المرأة فقال كما قال الله : ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ ﴾[النمل ٤٤]. من أجل استقبال سليمان ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ ﴾[النمل ٤٤]. وذلك أن سليمان كان عنده من الجن من قد جعل له مسبحاً وجعل في هذا المسبح الماء وجعل فيه من الأسماك وغير ذلك من الحيوانات المائية وكان ممرداً بالزجاج فلما دخلت المرأة حسبته لجة يعني مجمع ماء فكشفت عن ساقيها فقال لها سليمان : ﴿ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النمل ٤٤].

قال تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النمل٤٣]. أي: نشأت في مجتمع كافر فلقد كانت هي من آخر ملوك التبابعة قيل كان قبلها سبعون ملكاً يخلف كل ملك آخر فلما كان في زمنها لم يكن من الرجال من يأخذ بأمر أبيها وأجدادها ولم يكن أحدٌ من الرعية قادراً على ذلك فبرزت للحكم هي فأسلمت هذه المرأة في نهاية المطاف وهناك قصص وأعاجيب ذكرت في هذا المكان ولكن ينبغي الإكتفاء بأمر القرآن على أن ملكة سبأ أسلمت لله رب العالمين مع سليمان بن داود وتأمل في لفظتها: ﴿مَعَ سُلَيۡمَٰنَ ﴾[النمل٤٤]. وهكذا ينبغي للعبد أن يكون حريصاً على أن يكون مع الصالحين .

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي وإن كنا سوياً في البضاعة

أسلمت هذه المرأة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حتى إن رجلاً من القرشيين قال لرجل من أهل اليمن : ما فعلت عجوزكم يا أهل اليمن ؟ قال : أسلمت مع سليمان لله رب العالمين وأما عجوزكم يا قرشي فحمالة الحطب دخلت النار مع الداخلين والمراد بعجوزهم ما عناها الله بقوله : ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾ ﴾[المسد:١ـ٥].

هذه المرأة دخلت النار مع الداخلين وملكة سبأ لم تغتر بمملكتها وإنما اتهمت نفسها أنها مخدوعة بالملك والشهرة والرياسة وأنها غافلة عن الإسلام فأسلمت لله رب العالمين وقد يقول قائل : فكيف كانت امرأة تسوس شعباً كاملاً ؟ ،

والجواب على ذلك أن ذلك كان في شريعة المتقدمين كان من الجائز أن تكون المرأة هي التي تلي أمور الناس أما في شريعة محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فلقد حدث أن بنت كسرى لما وليت الحكم بعد موت أبيها قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : {لن يفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأة } [1] بل كانت هذه المرأة التي وليت أمر الرعية بنت كسرى خرجت إلى الناس ثم قالت قولة مشهورة قالت :

ما كانت العذراء لتبدي سترها لو كان في هذي الجموع رجال

لو كان هؤلاء رجال ما كان يحق للعذراء أن تخرج لتكون هي المقننة وهي التي يرجع إليها ويتحاكم إليها فإن هذا من أمور الرجال على أن هذه امرأة كافرة.

أما في شريعة محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإنه قال : { لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة }[2]. فلنا عبرٌ وعظات في هذه القصة المباركة وهو أن يكون العبد متعظاً بما وعظه القرآن الكريم وأن يكون متأثراً بما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ من المعجزات ومن الحكم البالغة في هذا الميدان وهكذا أيضاً لنعلم جميعاً أن هؤلاء مع ما أعطاهم الله من بسط العيش والثراء ما كان ذلك حاجزاً لهم عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلقد كان سليمان عليه الصلاة والسلام ملكاً وكان نبياً أيضاً وكان يسوس بني إسرائيل وكان يقوم بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأمر الملك لا شك أنه مشغول في كثير من القضايا لكن ما شغله ذلك عن طاعة الله فكل ما يشغل عن الله باطلٌ يا عباد الله إنه و الله باطل ما أشغلك عن الله وعن دين الله وعن أمر الله فهو باطل فلم يشغل سليمان بالملك والثراء عن أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

(١) رواه البخاري(٤١٦٣، ٦٦٨٦) وأحمد(٢٠٤١٨، ومواضع) والترمذي(٢٢٦٢) والنسائي (٥٣٨٨) وغيرهم. عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: المرجع السابق.

وهكذا يجب على المسلم إذا ولي أمراً من أمور المسلمين أن لا يحجبه ذلك عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأين سليمان أين سليمان بن داود ومملكته العظيمة ؟ وأين ملكة سبأ وما كان عندها من جنود التبابعة إنهم خرجوا من هذه الدنيا .

أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت لهم عزة في الملك قعساء

نالوا يسيراً من اللذات وارتحلوا برغمهم فإذا النعماء بأساء

وهكذا .

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الحياة كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

يجب على المسلم أن يكون كيساً فطناً وأن يكون متقياً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وأن يكون شديد المراقبة لله حتى لا يفاجئه الموت وهو على غير ذلك .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا وكن معنا ولا تكن علينا ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى ، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب٥٦].
وأقم الصلاة .

(٢٢) مواعظ من سورة الواقعة

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المصطفى على جميع النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فأيها الناس اتقوا الله تعالى وتدبروا كتاب ربكم الذي أنزله رحمة بكم

وموعظة لكم وإصلاحاً لدينكم ودنياكم فتدبروا القرآن .

فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن (١)

ولا تعرضوا عنه فتبوء بالخسارة وقسوة القلوب والبعد عن خشية علام الغيوب إن القرآن موعظة من ربكم وشفاء لما في صدوركم ولا شيء أبلغ موعظة منه لمن تدبره وتفكر في معناه يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد ٢٤] .

أيها المسلمون الكرام :

إن من أعظم المواعظ ما جاء في سورة الواقعة تلك السورة العظيمة التي تحدثت عن أحوال الناس يوم القيامة وحالتهم عند مفارقة الدنيا لقد ابتدأ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه السورة بجملة شرطية عن وقوع الساعة حدث جوابها ليذهب الذهن في تقديره كل مذهب ويسلك في تفخيمه كل طريق يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ ﴾ [الواقعة١] وهو يوم القيامة يعني إذا وقعت رأيت أهوالاً عظيمة وأحوالاً متباينة ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ ﴾ [الواقعة٤] أي رجاً عظيماً ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ ﴾[الواقعة٥]. فتفتت تفتيتاً دقيقاً ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾}[الواقعة٦]. بعد أن كانت جبالاً متماسكة صلبة ثابتة لا تتزحزح عن أماكنها وفي هذا اليوم العظيم ينقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام : سابقون ، وأصحاب ميمنة ،وأصحاب مشأمة -عياذاً بالله-.

١ـ فالسابقون في هذه الدنيا إلى الطاعات هم السابقون يوم القيامة إلى الكرامة والجنات وهم المقربون إلى فاطر الأرض والسماوات في دارٍ لا يفنى

(١) هذا بيت من نونية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: متن النونية ص(٤٩).

نعيمها ولا يبلى جديدها ولا يتكدر صفوها نعيمها دائم وسرورها قائم: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ ﴾[الواقعة: ١٥ـ١٩]. هذا شرابهم.

أما طعامهم فقال تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ ﴾[الواقعة:٢٠ـ٢١].وأما نساؤهم فقال الله: ﴿ وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ ﴾ [الواقعة:٢٢] حور ذو بياض حسن حسناوات العيون منظراً وخلقة ﴿ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُؤِ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ ﴾[الواقعة:٢٣] في صدفه في غاية الصفا أما مجتمعهم فمجتمع كامل. ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ ﴾[الحجر:٤٧].﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا ﴾ [الواقعة:٢٥]: من القول وهو ما لا فائدة فيه ﴿ وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ ﴾[الواقعة:٢٥]: أي لا يقولون كلاماً يأثمون بل كلامهم ذكرٌ لله وتسبيح لله وتحدث بينهم بما أنعم الله عليهم في الدنيا ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ ﴾[الزمر٧٤].

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ ﴾[فاطر:٣٤ـ ٣٥]

هؤلاء هم السابقون إلى طاعة ربهم يقومون بالواجبات ويعطفون عليها المستحبات ويتركون المحرمات مع المكروهات فكان نعيمهم أكمل النعيم وأحوالهم أكمل الأحوال.

٢ـ وأما الصنف الثاني فهم أصحاب اليمين وهم من أهل الجنة ولكنهم

أقل حالاً من السابقين: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾[الواقعة٢٨]. شوكه ليس فيه شوك ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الواقعة٢٩] من التمر من أسفله إلى أعلاه وهذا السدر والطلح ليس مشابهاً لما في الدنيا فالاسم هو الاسم ولكن الحقيقة غير الحقيقة قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: { أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : واقرءوا إن شئتم :{فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}(السجدة ١٧)[1].

ولأصحاب اليمين نعيم دائم قال تعالى:﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[الواقعة:٣٢ـ ٣٣] يعني لا تنقطع في وقت من الأوقات كما تنقطع فواكه الدنيا ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أي لا تمنع عن مبتغيها كما تمنع فواكه الدنيا.

وأما جلوسهم فقال تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[الواقعة: ٣٤]. وأما نساؤهم فقال الله: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٥ـ ٣٧]. فقد أنشأ الله الحور منهن إنشاءً بدون ولادة وأنشأ نساء الدنيا من أهل الجنة إنشاءً جديداً فجعلهن ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ يتحببن إلى أزواجهن بالتلطف والمداراة وأما قوله : ﴿ أَتْرَابًا ﴾ أي في سن متحد حتى لا تفخر واحدة على الأخرى أو ترى نفسها دون أختها.

٣ـ وأما الصنف الثالث وهم أصحاب الشمال أعاذنا الله والمسلمين من ذلك فلا تسل عن أحوالهم إنها حالة البؤس والشقاء والعناء في سموم هواء حارٌّ من النار يلفح وجوههم ويدخل في مسام جلودهم وليس عندهم ما يبرد هذا السموم سوى ماء حميم شديد الحرارة ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾

(١) متفق عليه: البخاري(٣٠٧٢، ٤٥٠١، ٤٥٠٢، ٧٠٥٩) ومسلم(٢٨٢٤) من حديث أبي أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحج:١٩ـ ٢٢]. كلما ارتفع واحدٌ منهم وهو في غمرات النار جاءه مقمع نيراني فأعاده إلى مكانه عياذاً بالله كما أنهم ليس لهم ما يحجب هذا السموم سوى﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ﴾[الواقعة٤٣] واليحموم هو الدخان الأسود الحالك ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[الواقعة٤٤].

ليس فيه وقاية فهذا مكانهم وموضع إقامتهم.

وأما طعامهم فإن الله يقول :﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الواقعة:٥١ـ٥٣]. وهو شجر خبيث الطعم قبيح المنظر منتن الريح ليس فيه ما يحبب الأكل منه ولذلك يتزقمونه تزقماً فيبتلعونه بشدة ومشقة فيملؤون منه بطونهم وحينئذٍ يحترقون عطشاً فيستغيثون ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾[الكهف٢٩] إذا دنا منها ويقطع أمعاءهم إذا حل فيها عياذاً بالله: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[محمد١٥]. وإنهم ليشربون هذا الماء الحميم ﴿ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ [الواقعة:٥٥] وهي الإبل المصابة بهيام الماء فهي تشرب ولا تروى أبداً ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الواقعة: ٥٦] .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا أمل ولا رجاء إلَّا في الله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله ولي الصالحين وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله سيد الأولين والآخرين بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى أصحابه الغر الكرام الميامين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين :

عباد الله :

أما في آخر سورة الواقعة فقسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الناس عند حضور الأجل وانقطاع الأمل وتلاشي الحيل والرحيل من دار العمل قسم الله الناس إلى ثلاثة أقسام فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[الواقعة:٨٨ـ٩٦].

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من السابقين والمقربين ومن التالين لكتابك والمنتفعين اللهم ارزقنا الزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

عباد الله :

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ

عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل٩٠] .

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون وأقم الصلاة .

٢٣ ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين:

يذكر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم حاكياً عن الناس أجمعين في مشهدٍ من مشاهد يوم الدين يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات٢٤]. وهذا إنما يكون في عرصات القيامة يوم يجمع الله الأولين والآخرين السابقين واللاحقين يجمع الأمة أجمعين من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آخر بنيه من ذكور أو إثاث ينظر بعضهم إلى بعض قد حفيت أقدامهم وانكشفت رؤوسهم وعريت أجسامهم لا يكون هناك أي شيء يسترون به هذا مشهد عظيم يجمع الله به الخليقة بأسرها يا ترى لماذا ؟ من أجل الحساب من أجل أن يتأمل رب العالمين من فاز في الإمتحان ومن كان من الراسبين في دار الإبتلاء فها أنت يا عبد الله ما زلت على قيد الحياة تستطيع أن تصحح المسار فلا تقدم على ربك إلَّا وقد تأملت فيما يقال لذا يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنبياء٤٧]. إنه ميزان العدل ومن الذي يتولى الحساب والنقاش أملك من الملوك رئيس من الرؤساء أهو نبي من الأنبياء أم ملائكة من ملائكة السماء ؟ كلا إن الحساب يتولاه رب العالمين كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[الفجر٢٢].

إن الله وحده هو الذي يتولى النقاش وهو الذي يتولى الحساب وهو الذي يبدأ بالسؤال أسئلة كثيرة توجه للعالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فأما ما كان من الحقوق بين الناس وبين ربهم فأول ما يحاسبون عليه ما يتعلق بأمر الصلاة فإن كان العبد مصلياً صلاةً كما أرادها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كانت الصلاة

نافعة وكان ما سواها أيسر وأهون لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقد نفعته صلاته في الدنيا وها هي تنفعه بين يدي الله فأول سؤال يسأل به الإنسان عن هذه الصلاة(١).

أما ما كان بين الناس فيما يتعلق بأمر المظالم فأول شيء يكون في الدماء(٢) فيمن أراق دماً حراماً أو روع مسلماً أو ساعد على قتل مسلم لذا يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً }(٣).

ويقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم(٤).

إنها مظالم عظيمة مظلمة الدماء فلحرمة دماء المسلمين كان أول سؤال في ما يتعلق بما يكون بين الناس من الحقوق ما يتعلق بأمر الدماء نسأل الله السلامة والعافية ثم بعد ذلك فيما يتعلق ببقية المظالم وببقية الحقوق ما يكون بين الله وبين الإنسان إن كان قد تاب ونزع واستغفر وأناب وندم فالله غفور رحيم يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان ٧٠].

---

(١) لما رواه الترمذي(٤١٣) والنسائي(٤٦٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني:صحيح الجامع (٢٠٢٠) أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: {أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح و أنجح و إن فسدت فقد خاب و خسر}.
وفي رواية عند الطبراني في الأوسط(١٨٥٩) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٥٧٣) أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: {أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله و إن فسدت فسد سائر عمله}.

(٢) لما روى البخاري(٦١٦٨، ٦٤٧١) ومسلم(١٦٧٨) وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء }.

(٣) رواه البخاري(٦٤٦٩) وغيره عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) صحيح: رواه الترمذي(١٣٩٥)والنسائي(٣٩٨٦، ومواضع)والطبراني في الأوسط(٤٣٤٩) والبزار(٢٣٩٣) ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه ابن ماجة(٢٦١٩) عن البراء بن عازب. وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٥٠٧٧، ٥٠٧٨).

فهذا ظلم يغفره الله فكل ما دون الإشراك به يغفره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أما الشرك فإنه لا يغفره كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء ٤٨، ١١٦]. فإذا لقي العبد ربه بكل مظلمة بينه وبين ربه حري بربنا أن يغفر لكن مظلمة الشرك وهو تعلق القلب بغير الله أو رجاء او دعاء غير الله أو توكلاً على غير الله استغاثة وإنابة بغير الله هذا يكون في عداد المشركين يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة٧٢].

أما ما يتعلق بغير جريمة الشرك فإن كان العبد قد تاب فإن الله يغفر بنص الآية السابقة فإن لقي ربه وقد تلطخ ببعض الذنوب فإنه داخل تحت مشيئة الله كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي والمشركين ﴿ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان٣١].

فالمشركون لا يغفر لهم في ذلك اليوم لكن الظالمين مظالم بينهم وبين ربهم فهم داخلون تحت مشيئته أما إن كان العبد قد تاب في هذه الدنيا فإن الله يغفر له في هذه الدنيا ويمحو عنه الذنب فإن وصل إلى الله كان من المغفورين روى الإمام الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله عن رب العالمين قال الله في الحديث القدسي: { قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي

شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة }[١].

هذا كرم من رب العالمين يغفر الذنب ويستره لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كريم ورحيم وغفور وعظيم غني عن تعذيب العالمين ما أراد الله منهم إلَّا العبادة ووعدهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالإحسان والكرم ثم بعد ذلك عدة سؤالات فيما يكون بين الناس وبين ربهم وهي المظالم التي لا يتركها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدة أسئلة لا يتركها الله ولا يغفرها الله إلَّا أن يكون العبد تائباً فالإنسان مسؤول عن مظالم إخوانه في ذلك اليوم العظيم يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ؛ حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء}[٢].

ويقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : { مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ

---

(١) صحيح: رواه الترمذي(٣٥٤٠) وتفرد به عن أصحاب الأمهات الستة، ورواه الطبراني في الأوسط(٤٣٠٥) وأبو نعيم في الحلية(٢/ ٢٣١) وصححه الألباني في: صحيح الترمذي(٢٨٠٥) وصحيح الجامع(٤٣٣٨) والصحيحة(١٢٧)
ورواه أحمد(٢١٥١٠، ٢١٥٤٤) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه شعيب في تحقيق المسند
فائدة: قال ابن دقيق العيد في شرحه(ص١٠٨): في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم عظيم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرأفة والرحمة والإمتنان.
وقال ابن رجب: وقد تضمن حديث أنس المبدوء بذكره أن هذه الأسباب الثلاثة يحصل بها المغفرة: أحدها: الدعاء مع الرجاء، فإن الدعاء مأمور به وموعود عليه بالإجابة كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(غافر٦) وفي السُّنن الأربعة عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: [إن الدعاء هو العباده] ثم تلا هذه الآية... لكن الدعاء سبب مقتض للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه.
السبب الثاني للمغفرة: الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت الكثرة عنان السماء.
السبب الثالث من أسباب المغفرة: التوحيد وهو السبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتي بأعظم أسباب المغفرة قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء٤٨) فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة لكن هذا مع مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة.
انظر: جامع العلوم(ص/ ٣٩٢ـ٣٩٨) بتصرف .

(٢) رواه مسلم(٢٥٨٢) وأحمد(٧٢٠٣) ومواضع والترمذي(٢٤٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِوَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ }(١).

ففي ذلك اليوم كل خبيئة وكل مظلمة سواء كان ذلك في الأمور الحسية أو الأمور المعنوية أما الأمور المعنوية كالغيبة والنميمة والقذف والسباب والشتام هذه مظالم عظيمة عند رب العالمين.

وأما ما يتعلق بالأمور الحسية كأخذ الأموال بغير حق والتعدي على الناس بالسرقات هذه مظالم أيضاً تظهر في ذلك اليوم العظيم ثم بعد ذلك كان الناس جميعاً متفقون على أسئلة خمسة توجه إليهم أجمعين دون الأنبياء والمرسلين فإن دعواهم يوم القيامة اللهم سلم سلم ، فكل واحد على حسب مظلمته وعلى حسب جريرته ولا يظلم الله أحداً ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت٤٦].

لكن هناك خمسة سؤالات هذه السؤالات يلتقي فيها العالم والجاهل الصغير والكبير الذكور والإناث الحكام والمحكومون يسألون عنها في ذلك اليوم العظيم فتأملوها يا رعاكم الله لتحضروا لها أجوبة ولا بد أن تكون الجوابات صائبة لأن السائل هو الله ولأن المسؤول أنت يا عبد الله فماذا تجيب ربك غداً يقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما رواه الإمام الترمذي من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: { لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسئل عن خمس عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما

(١) رواه البخاري(٢٣١٧، ٦١٦٩) وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

علم}[1]. فتأملوا يا رعاكم الله إلى هذه السؤالات الخمس وهي توجه لا توجه إليك في قاعة الإختبار اختبارات من اختبارات الدنيا وإنما في يوم عظيم يجمع الله الأولين والآخرين فأول سؤال يوجه لك وأنت في عرصات القيامة دون أن يحكم بك إلى جنة أو نار حتى تظهر آثار نعمة الله عليك إن كان قد أعطاك الله علماً أو أعطاك مالاً كذا أنه أعطاك صحة أعطاك جسماً وأعطاك عمراً وأعطاك شباباً أيضاً فإن الأعمار أمانة وكذا الأجسام أمانة يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون١١٥-١١٦].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾[القيامة٣٦].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾[المزمل١٥، ١٦]. فما كان الله ليتركنا سدى أو أن يهمل أمرنا وإنما تولانا برعايته وزودنا بكل نعمة أسداها علينا وبعث إلينا رسولاً وأنزل علينا كتاباً بين لنا طريق الهداية من طريق الغواية ؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم:﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾}[البلد١٠]. أي طريق الخير وطريق الشر فأول سؤال يكون سؤالاً عاماً للناس أجمعين يسألون عن أعمارهم عن عمره فيما أفناه ففيم أفنيت عمرك يا عبد الله هل أفنيت عمرك فيما يعود عليك بالنفع في الدنيا ويعود عليك بالنفع في الآخرة إن

(١) صحيح بشواهده: رواه الترمذي(٢٤١٦) وأبو يعلى في مسنده(٥٢٧١) و الطبراني في الكبير (٩٧٧٢) والصغير (٧٦٠) والبيهقي في الشعب (١٧٨٤) وصححه الألباني لشواهده في: المشكاة (٥١٩٧) وانظر: الصحيحة (٩٤٦).

الكثير من المسلمين ولا حول ولا قوة إلَّا بالله فكأنه خالد مخلد وكأنه لم يخرج إلَّا لهذه الدنيا فإن كان أمراً يتعلق بأمر الدنيا يقوم له من آخر الليل لكن أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتهاون به وكأنه لا شيء لما حصل هذا ؟ حينما جهل الإنسان دينه وجهل تعاليم الإسلام على أنك لو تأملت إلى أمة اليهود والنصارى لقد فاقوا المسلمين فيما يتعلق بأمور الدنيا ه وصار المسلمون ولا حول ولا قوة إلَّا بالله أذل أمة في هذا الزمان لا لأنهم مسلمون لأنهم تخلفوا عن تعاليم الإسلام وصار الواحد من المسلمين إن باع قطعة لأخيه المسلم يتحين كيف يخدع أخاه وكيف يوقعه في خسارة ولا بد إنها والعياذ بالله نتيجة الجهل ونتيجة الحرص على هذه الدنيا فتأملوا يا رعاكم الله وقد أعطاكم الله أعماراً ففيما تعملون بهذه الأعمار وقد قضيتم ستين أو سبعين عاماً أو ثمانين فإن بلغت إلى المائة فماذا تريد بعد الثمانين ، ماذا تريد بعد ثمانين عاماً إن من بلغ سن الثمانين يسأم من حياته ويأس من عمره ولا يريد البقاء على وجه هذه الدنيا إنه يريد الخروج من هذه الدنيا هذا إذا لم يخرف ويصير إلى أرذل العمر لكن الحليم الذكي الكيس هو الذي يغتنم عمره هذا ويعلم إنما هو أيام كما قال الحسن البصري : يا ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يومك ذهب بعضك[1].

كذلك مرحلة الشباب وهي من أحسن ما يكون في مرحلة العمر ففيما أفنينا شبابنا هل أفنيناه فيما يعود على أمتنا وعلى أنفسنا وعلى أولادنا بالخير هل أفنينا شبابنا فيما يعود علينا أو على أمتنا أو على ديننا أو على وطننا بالخير أو أننا أفنيناه مثلاً في شرب السجائر ولعب الكورة وفي أكل القات وفي المعاكسات وهنا وهناك إن هذه المرحلة من أفضل مراحل الإنسان فعليه أن يستغلها لذا يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك و صحتك قبل

(١) انظر: حلية الأولياء(٢/ ١٤٨) وروى البيهقي في الشعب(١٠٦٦٣) نحوه من قول أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سقمك و فراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك و غناك قبل فقرك}[١].

هذه المرحلة مرحلة عظمى يجب على الشخص أن يتأملها وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله { إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه }[٢].

وأما السؤال الثالث والرابع فأنت مسؤول عن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته إن كنت قد اكتسبته من حلال فهل أنفقته في حلال إن كنت قد اكتسبته من حرام ففيما أيضاً أنفقته إن كنت قد أنفقته في حلال فذلك أيضاً تحاسب عنه فليس مبرر أن تأخذ المال من الحرام ثم تنفقه في الحلال ليس هذا بمبرر أبداً كما قيل :

بنى مسجداً لله من غير حله فكان بحمد الله غير موفق

ككافلة الأيتام من كسب فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

---

(١) صحيح: رواه الحاكم(٧٨٤٦) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب(١٠٢٤٨) وابن أبي الدنيا في قصر الأمل(١١١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (٢) وأبو نعيم فى الحلية(٤/ ١٤٨) والبيهقى فى الشعب(١٠٢٥٠) وابن أبى شيبة (٣٤٣١٩) والقضاعى(٧٢٩) عمرو بن ميمون . قال الحافظ فى الفتح(١١/ ٢٣٥): أخرجه ابن المبارك فى الزهد بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون . وانظر: صحيح الجامع(١٠٧٧) وصحيح الترغيب(٣٣٥٥).

(٢) متفق عليه: البخاري(٦٢٩، ١٣٥٧، ٦٤٢١، ٦١١٤) ومسلم(١٠٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فبعض الناس ربما أخذ المال من الحرام قال : نعطيه للأولاد أو لأننا محرومون وما إلى ذلك ، فلقد كان بعض السلف يخرج من بيته جائعاً فتقول له زوجته : إياك والحرام فإننا نصبر على جوع الدنيا ولا نستطيع أن نصبر على حرّ جهنم[١].

هذه مسألة من أخطر ما يكون حتى قيل لبعض العلماء[٢]: ألف كتاباً في الزهد قال : قد ألفت كتاباً في البيوع. ، فمن أعظم ما يكون أن يتأمل الإنسان في مأكله وفي مشربه فإن أكل الحلال ينعكس صحةً على البدن وأيضاً طمأنينة على القلب وانشراحاً للصدر وراحة البال من خلال أخذ الحلال وأما الحرام فإنك تزرع الحرام ليكون أولادك أولاد حرام وتتلطخ أنت بالحرام ثم إن رفعت يديك تريد إجابة الدعاء لا يقبل لك دعاء ولا يبالى بك الله لأنك تأكل من الحرام وقد ذكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأصحابه رجلاً يطيل السفر في طاعة الله أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يريد من الله أن يقبل دعاءه ولا تقبل له دعوة فعلل ذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقوله: { ومطعمه حرام ومشربه حرام و ملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له }[٣].

فرزق الحلال وإن كان يسيراً يجعل الله القليل كثيراً ويبارك الله ثم أيضاً على الفقير أن يتأمل للغني بوجه إنصاف لا بوجه إعجاب ثم يتأمل لمن هو أفقر منه ليأخذ العبرة والعظة يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :{ انظروا إلى من هو أسفل منكم

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين(٢/ ٥٨).

(٢) هو محمد بن الحسن الشيباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في تعليم المتعلم» للزرنوجي (ص٢٨) وحلية طالب العلم ص( ).

(٣) رواه مسلم(١٠١٥) وأحمد(٨٣٣٠) والترمذي(٢٩٨٩) والبخاري في رفع اليدين(٩٤) والدارمي(٢٧١٧) والبيهقي في الكبرى(٦١٨٧) وفي الشعب(١١٥٩) وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

و لا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم}[١].

فبعض الناس ربما ينظر إلى من هو فوقه وربما فسر ذلك بأنه علامة رضا واختيار واصطفاء من الله وأن الله يحب هذا العبد حينما أعطاه هذا الشيء فأمر الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب والدنيا بأيدي الكفار أكثر ما تكون بأيدي المسلمين منذُ قديم الزمان لأنهم مشغولون في هذه الدنيا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ـ١٦].

فالكفار أحسن أجساماً وأطول أجساماً وأكثر أموالاً وعندهم من التقنية والدنيا ما ليس عند المسلمين فهل معنى ذلك أنهم أفضل من المسلمين ؟ كلا والله وألف لا لا يمكن أن يكون ذلك أبداً وقد دخل عمر الفاوق على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف . فقال: يا رسول الله : ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله . فقال : « أو في شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيبتاتهم في الحياة الدنيا » . وفي رواية : « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ }[٢].

---

(١) رواه مسلم(٢٩٦٣/ ٩) وأحمد(٧٤٤٢، ١٠٢٥١) والترمذي(٢٥١٣) وابن ماجة(٤١٤٢) وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وفي البخاري(٦١٢٥) ومسلم(٢٩٦٣/ ٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: { إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه}.

(٢) انظر: البخاري(٨٩، ٢٣٣٦، ٤٦٢٩ ، ٤٦٣٠، ٤٦٣١ ، ٤٨٩٥ ، ٤٩٢٠ ، ٥٥٠٥ ، ٦٨٢٩ ، ٦٨٣٥) ومسلم(١٤٧٩) عن ابن عباس عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

فهذه سُنَّة رسول الله وهذه حياة رسول الله بل خُيِّر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين أن تكون جبال مكة ذهباً إذا أصبح الناس وجدوا جبال مكة كلها ذهباً حتى تكون معجزة وأمارة على نبوته أو أن يغفر الله لأمته إن هم أذنبوا ؟ فاختار -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الثانية لأن الناس يقعون في الذنوب والمعاصي وهم مساكين يحتاجون إلى رحمة الله أما كونه يثبت معجزةً لكفار قريش على أنه قد آمن به من آمن من صناديد قريش لكن الشيطان كان لبعضهم بالمرصاد وهذا من اختيار الله لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اختار -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يغفر الله لأمته وأن يرحم الله أمته فاعلموا يا عباد الله أن أمر هذه الدنيا قليل ومتاعٌ زائل فعلى الإنسان أن يتأمل فيها حق التأمل وأن يعلم أنه لا بد أن يأخذ العبرة والعظة ممن كان يعاصرهم ثم ذهبوا إلى غير رجعة ذهبوا إلى عالم القبور فعلى الإنسان أن يعلم أن أعظم موعظة موعظة القرآن ثم موعظة الموت إنها من أعظم المواعظ التي يجب على الإنسان أن يتأثر بها .

وأما السؤال الخامس : أن يسأل عن علمه فيما عمل به ؟ وقد يقول قائل : إنما هذا من اختصاص العلماء أو طلاب العلم إن المسلم يعلم كثيراً من الدين يعلم مثلاً بأنه يجب عليه بأن يوحد الله ويعلم أيضاً بوجوب الصلاة ووجوب إخراج الزكاة وبوجوب الحج ويعلم بوجوب الصيام يعلم أيضاً بأن الله حرم الربا يعلم أن الله حرم الزنا هذه معلومات كما يقول العلماء من الدين بالضرورة أنت مسؤول عن علمك هذا فيما عملت به فإن كنت قد علمت أن الصلاة واجبة ولا يجوز لك أن تصلي في البيت لا سيما الفجر والعصر فاعلم أنك آثم ومسؤول عن علمك هذا وإن كنت تعلم أن الربا حرام وقد استمعت إلى فتاوى العلماء وهي النسبة المحددة في بداية العقد أن تتعاقد مع شخص تعطيه مائة لتستلم مائة وعشرة في آخر الشهر كما كان ربا الجاهلية أو ما عليه أكثر

المسلمين الآن في كثير من البنوك يضمنون النسبة في بداية العقد وقد سمعت فتاوى العلماء هذا من العلم الذي تسأل عنه بين يدي الله وهكذا إن كنت تعلم أن الله أوجب عليك برّ الوالدين ثم صار منك عدم الإنشراح والتبرم وعدم الرضا من كلمة سمعتها من أبيك أو أمك فاعلم أن ذلك عقوق فأنت محاسبٌ عليه بين يدي الله وأيضاً آثم من جهة ومحاسبٌ من جهة أنك تعلم فإذا كنت لا تعلم فالله لا يؤاخذك إلَّا بعد العلم فمن كان مثلاً لا يعلم بوجوب الزكاة ثم مرت عليه سنين وهو لا يؤدي الزكاة ولا يخرجها باعتبار أنه لا يدري على أن هذا أمر لا يكون إلَّا في بلدةٍ كافرة أما في بلد مسلم وقد سمع من العلماء والنصحاء ومن الجلساء والفاقهين في دين الله لكن نقول تنزلاً وإرخاءً للعنان لو كان لا يعلم لا يلزمه شيء كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء١٥].

فأي شيء في خطبة جمعة أو في محاضرة أو من عالم من خلال المذياع أو التلفاز أو سمعت نصيحة من شريط سمعت ذلك فاعلم أن هذا من العلم الذي تسأل عنه بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، فإياك إياك أن تتشاغل أو تتناسى أو تتجاهل أو تقول : هذا لا يلزمني إنما هو يلزم فلان أو علان من الناس فاعلم أنك مطالب بشرع الله ومطالب بسُنَّة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومطالب بكتاب الله أي شيء تعلمه ، فأنت مسؤول عنه بين يدي الله، من كان يجهل ثم ارتكب حراماً ثم نبئ بعد ذلك ، لكنه يجهل هذا لا يحاسب على ذلك لكن من كان يعلم ثم يرتكب الإثم بعد العلم فعليه أن يعلم أن العقوبة عقوبتان عقوبة مضاعفة ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نساء النبي : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[الأحزاب٣٠].

فلذا كان العلماء وأهل العلم وطلاب العلم أشد عقوبة يوم القيامة من الجاهلين لماذا ؟ لأنهم يعلمون.

بل أول من تسعر بهم النار ثلاثة : ومنهم العالم الذي كان لا يعمل بعلمه .

وعـــالم بـعـلـمـه لم يعملن مـعـذبٌ مـن قبل عـبـاد الوثن

فأول من تسعر بهم النار ثلاثة : المجاهد الذي يريد الفخر والرياء وهكذا المتصدق الذي يريد أن يقال عنه بأنه جواد بأنه كريم وهكذا العالم الذي يريد أن يقال له : هو عالم أو قارئ للقرآن[1] لكنه مفرط ومضيعٌ للصلوات مضيعٌ لما أوجب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه فتكون العقوبة مضاعفة فعلينا أن نعلم أنه ما من مسلم إلَّا وهو يعلم كثيراً من الدين فهو مسؤول عن هذا بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف٤٤]. أي تسألون عن هذا الدين وعن رسول هذا الدين وعن تعاليم هذا الدين ، فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرينا الحق حقاً فيرزقنا اتباعه والباطل باطلاً فيرزقنا اجتنابه اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر الله لنا ولكم .

(١) انظرفي قصة هؤلاء في: مسلم(١٩٠٥) وأحمد(٨٢٦٠) والنسائي(٣١٣٧) والترمذي(٢٣٨٢) وابن خزيمة (٢٤٨٢) وابن حبان(٤٠٨) والحاكم(١٥٢٧) وصحيح الجامع(١٧١٣) وصحيح الترغيب(٢٢، ١٣٣٥) وفي غيرها.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ومن تبعهم بأحسانٍ إلى يوم الدين :

معاشر المسلمين :

اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حق التقوى واعلموا أنه لا فلاح ولا نجاح في الدنيا والآخرة إلَّا بتقوى الله كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[الطلاق: ٢ـ ٣].

أيها المسلمون :

فقط مجرد تنبيه ، إن كثيراً من المسلمين يحتفلون في شهر رجب بما يسمى بالإسراء والمعراج مسرى ومعراج النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعتقدون أنه في شهر رجب في سبعة وعشرين من رجب والجواب على ذلك أنه لم يثبت أن الإسراء والمعراج كان في شهر رجب أو أنه في ليلة سبع وعشرين من رجب وعلى حدّ أنه قد ثبت لو قال قائل : بل قد ثبت في أنه في رجب وفي ليلة سبعة وعشرين نقول : إن الإحتفال بمعراج النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لو سألنا هؤلاء المحتفلين : ماذا تريدون ؟ يقولون : نريد بذلك التقرب إلى الله والتقرب إلى رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، نقول : هذه عبادة والعبادة لا تكون إلَّا بدليل من الشرع فمن ذبح في شهر رجب من أجل الإسراء والمعراج ومن اشترى القات

وأتعب نفسه فليعلم أنه قد ارتكب إثماً وأنه قد ابتدع في دين الله بدعة لم ينزل الله بها من سلطان لماذا ؟ لأن القرون المفضلة انقرضت ولم تحدث هذه البدعة وهكذا علماء المسلمين إلى يومنا هذا لم يحتفلوا بهذا الأمر على أن يهودياً من اليهود قال لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت - لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال : أي آية ؟ ، قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة٣]. قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو قائم بعرفة يوم جمعة[1] .

لكن الصحابة لم يتخذوا ذلك اليوم عيداً فليس لنا معشر الإسلام في دين الإسلام إلَّا عيد رمضان وهكذا عيد الأضحى المبارك وهكذا يوم الجمعة هو عيد الأسبوع ثم بعد ذلك من الأعياد أعياد مبتدعة ما أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها من سلطان فالواجب على المسلمين أن يتوبوا وربما بعض الناس يقول : هؤلاء لم يجتمعوا على فيديو ولا على خلاعة ولا على سينما ولا على مزمار ولم يجتمعوا على غيبة أو نميمة وإنما اجتمعوا في مديح النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نقول : إن التحديد والتخصيص يحتاج إلى دليل فلما لا يكون الإجتماع كل يوم يكون الإجتماع مثلاً بعد العشاء لقراءة سيرة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو أحاديث من رياض الصالحين فإذا جاءت ليلة سبعة وعشرين من رجب كانت ليلة كغيرها من الليالي لكنا إذا خصصنا كنا مطالبين بإثبات الدليل وليس لنا دليل وأول من يزدحم عند حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المبتدعة والرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يرفضهم ويطردهم من على حوضه ولا يسمح لهم أن يشربوا من يده لماذا ؟ لأن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حذرنا من البدع قال: { وإياكم ومحدثات الأمور

(١) متفق عليه: البخاري(٤٥، ٤١٤٥، ٤٣٣٠، ٦٨٤٠) ومسلم(٣٠١٧) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة }[١] { وكل ضلالة في النار }[٢].

والجاهل لا يفقه يرى أن هذا خير وأن هذه قربة والأمر ليس كذلك فالبدعة معناها الإبتداع الإختراع الإستدراك فكأنك تستدرك على الشرع كأنك تستدرك على أرحم الراحمين والله يقول:﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة٣]. وكأنك تستدرك على رسول الله وهو يقول: { اللهم هل بلغت اللهم فاشهد }[٣]. فالذين يحيون هذه الشعيرة يطالبون بدليل وأقول ولله الحمد : لا يمكن أن يأتوا بدليل لا دليل صحيح ولا ضعيف ولا يستطيعون أن يأتوا بعالم من علماء المسلمين الموثوق بعلمهم وبتقواهم وبأنهم ثقة عند المجتمع بأنه أحيا هذه الليلة ولكن يتعللون ببعض العلل مثل ما ذكرته لكم يقولون : هذه محبة الرسول وهذه قربة ولسنا في أغاني ولا سينما هذه تعليلات عليلة لا محل لها من الإعراب فعلى المسلم أن يعلم أن دين الله هو دين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو دين الجهاد وهو دين الصدق وهو دين الحكم بما أنزل الله إنه دين الصلاة ودين الزكاة ودين الخير ليس دين الدروشة ودين البدع ودين الخرافات هذه أمور قد عفا عليها الزمان وصارت في خبر كان ،

---

(١) صحيح: رواه أحمد(١٧١٨٤، ١٧١٨٥) وأبو داود(٤٦٠٧) والترمذي(٢٦٧٦) وابن ماجة(٤٣، ٤٢) والحاكم (٣٣٢) وابن حبان(٥) والدارمي(٩٥) والبيهقي في الكبرى(٢٠١٢٥) والشعب(٧٥١٥) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٢٥٤٩) والصحيحة(٢٧٣٥) والإرواء(٢٤٥٥) والمشكاة(١٦٥).
وقال الشيخ مقبل الوادعي: في الدلائل (ص٤٧٦): الحديث حسن لغيره وله طرق يرتقي بها إلى الصحة.

(٢) صحيح: وهي زيادة في خطبة الحاجة التي كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يفتتح بها خطبه عند النسائي(١٥٧٨) وابن خزيمة(١٧٨٥) وانظر: صحيح الجامع(١٣٥٣) وخطبة الحاجة ص(٢٥) وإصلاح المساجد ص(١١).

(٣) متفق عليه:البخاري(٦٧، ١٠٥، ١٦٥٤، ٣٠٢٥، ٤١٤٤، ٤٣٨٥، ٥٢٣٠، ٦٦٦٧، ٧٠٠٩) ومسلم(١٦٧٩)عن أبي بكرة وهو عند البخاري(١٦٥٥، ومواضع) ومسلم(٦٦) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

فيجب على المسلم أن يعلم أنه مسلم وكفى ومعنى مسلم استسلام لله بالظاهر والباطن .

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضى ، وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته اللهم أصلح أحوالنا يا أرحم الراحمين اللهم أصلح أحوال المسلمين يا أرحم الراحمين اللهم أصلح أحوال المسلمين يا أرحم الراحمين ، اللهم أصلح أحوال إخواننا في فلسطين ، وأصلح أحوال إخواننا في العراق ، وأصلح أحوال إخواننا في الأفغان ، اللهم أصلح أحوال إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم من كان في صلاحه صلاح للإسلام والمسلمين فأصلحه ووفقه يا أرحم الراحمين ومن كاد للمسلمين فكده واجعل تدبيره تدميراً عليه .

عباد الله :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل ٩٠] .

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ، وأقم الصلاة .

٢٤ وقفة مع توديع العام

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

معاشر المؤمنين:

اتقوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وتبصروا في هذه الليالي والأيام فإنها مراحل تقطعونها إلى الدار الآخرة .

نسير إلى الآجـال في كـل لحظة وأيـامـنـا تـطـوى وهـن مراحل

تفكروا يا رعاكم الله في أمر الليل والنهار فما أسرعه فإنه ينطوي وكأنها لحظة واحدة ثلاثمائة وثلاثة وستين يوماً منذُ أن رقينا هذا المنبر المبارك لنودع عاماً ثم نستقبل هذا العام الذي لم يبق منه إلَّا أقل من القليل فيا لله ما أسرع هذه الأيام فإنها قد طويت بصحائفها بما فيها من أعمالنا إن خيراً فخير وإن شراً فشر يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الحديث القدسي :{ يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلَّا نفسه }(١).

وفي حديث نبوي شريف يقول سيد الأولين محمدٌ صلى الله عليه وعلى آله وسلم :{ كل الناس يغدو – أي كل الناس يعملون – فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها }(٢).

إننا عشنا عاماً كاملاً فيه شهر رمضان وفيه الأحزان والأفراح فيه ما لذ وطاب ثم ما حصل فيه من الهموم والأحزان ثم تولت تلك الليالي والأيام وكأنه سلك انقطع نظامه لنقف مرة ثانية لنودع هذا العام الذي استقبلناه فها نحن نودعه ثم نستقبل عاماً جديداً يقول الله وهو أصدق القائلين:﴿ قَلَ كَمْ

(١) رواه مسلم(٢٥٧٧) وابن حبان(٦١٩) والبخاري في الأدب المفرد(٤٩٠) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه أحمد(٢١٤٠٥، ٢١٥٨) والترمذي(٢٤٩٥) وابن ماجة(٤٢٥٧) بإسناد فيه شهر بن حوشب وشهر ضعيف.

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) وغيره عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[المؤمنون: ١١٢ـ ١١٦].

هذه هي حال الدنيا فما أسرع زوالها وانقضائها لكن اهكذا أمر طبيعي ولا حسبان عليه كلا والله فما تطلع الشمس ولا تغيب إلَّا لأمر عظيم فما يتقلب الليل والنهار إلَّا لحكمة بالغة يعلم بذلك العلماء والعقلاء ما كان هذا الكون أن يكون سدى ولا هذا الخلق أن يكون عبثاً قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران١٩٠]. ومعنى آيات أي علامات واضحات ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ أي يخلف بعضه بعضاً ﴿ لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الفرقان٦٢].

فتأمل في بداية الشهر حينما يختفي الهلال ثم يبدو يسيراً ثم يتكامل شيئاً فشيئاً إلى ليلة النصف فإذا استدار القمر ثم بدأ يأخذ بالنقص حاله حال الوليد حينما ينزل جنيناً من بطن أمه .

ولدتك أمــك يا ابـن آدم باكيـاً والناس حولك يضحكون سروراً

فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا فـي يوم موتك ضاحكـاً مسـروراً

تأمل إلى الوليد وقد أخرجه الله من موضعه فينزل إلى عالم جديد تغير العالم الذي كان فيه فنزل إلى أرض غير موقعه الأول فإذا به يزيد صراخاً وعويلاً لأنه فارق الموضع الذي ألفه نزل إلى هذه الدنيا المليئة بالهموم والغموم والأحزان.

حكم المنية البرية ساري ما هذه الدنيا بدار قرار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذار والأكدار
ومكلف الأيام غير طباعها متطلب في الماء جذوة نار

تطالب بأمر مستحيل وأنى لك ذلك فما صفا كدر الدنيا للأنبياء والأثرياء ثم بدأ الصغير في النمو حتى طر شارباه ثم بدأ يتكامل نموه فبلغ أشده فإذا ما بلغ الأربعين فجاوزها بدأ شعر رأسه ولحياه يملؤه البياض ثم صار إلى النقص وإلى التراجع حاله حال القمر إذا انبثق وليداً وحاله كحال الزرع حينما تنظر إليه في بداية أمره ما أجمله من منظر خلاب فما هي إلَّا أشهر وإذا به يخرج حبه وفراخه فما هي إلَّا أيام وإذا به يصفر ثم يعود إلى اليباس فإذا لم تحصل له آفة كان نتيجته إلى الحصاد والجذاذ .

أيا ابن آدم لا تغررك عافية عليك شاملة فالعمر معدود
ما أنت إلَّا كزرع عند خضرته بكل شيء من الآفات مقصود
فإن سلمت من الآفات أجمعها فأنت عند كمال الأمر محصود

هذا حالنا يا بني الإنسان هذا حالنا يا ابن آدم فإنما أنت أيام كلما ذهب يومك ذهب بعضك هذه حالة الدنيا هذه حالة الليالي والأيام إنها سنة الله في خلقه أن يموت الأمير والصغير والكبير رغم الأنوف فلا يمكن لأحد البقاء إلَّا ذو العزة والجبروت ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص٨٨]. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرحمن٢٦ـ٢٨].

معاشر المؤمنين :

طويت صحائف الأعمال وأيما يوم غربت شمسه فلا يمكن أن يعود إليك لقد طويت صحائف الأعمال وهنا وقفتان اثنتان :

أما الوقفة الأولى : فهي دعوة للمحاسبة لنحاسب أنفسنا أمام عام كامل هل كنا فيه زارعين الخير أم زارعين الشر عياذاً بالله يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الحشر١٨].

ويقول نبينا -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- في حديث صحيح: { أتانى جبريل فقال لى يا محمدُ عِشْ ما شئتَ فإنك مَيِّت وأحببْ من شئت فإنك مُفَارِقُه واعمل ما شئتَ فإنك مُجْزَى به واعلم أن شرفَ المؤمن قيامُه بالليل وعِزُّه استغناؤه عن الناس}[1] اعمل ما شئت فكما تدين تدان والجزاء من جنس العمل ويقول الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: { حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا}[2].

قطعنا عاماً كاملاً وأودعنا في سجلاته من الأعمال فطويت صحائفه ولا

(١) حسن: رواه الحاكم(٧٩٢١) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى. والطبراني في الأوسط (٤٢٧٨) والبيهقى فى الشعب (١٠٥٤١) وأبو نعيم فى الحلية (٣/ ٢٥٣) من حديث سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.
ورواه أبو داود الطيالسي(١٧٥٥) والبيهقى فى الشعب(١٠٥٤٠) وأبو الشيخ فى طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٢٨١) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ .
ورواه الطبراني في الأوسط(٤٨٤٥) والصغير(٧٠٤) وأبو نعيم فى الحلية(٣/ ٢٠٢) من حديث على بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٧٣، ٤٣٥٥) والصحيحة(٨٣١) وصحيح الترغيب(٦٢٧، ٧٢٤).
(٢) أخرجه أحمد فى الزهد ص(١٢١) والترمذي تحت حديث(٢٤٥٩)وابن المبارك فى الزهد (٣٠٦) وابن أبى شيبة(٣٤٤٥٩) وأبو نعيم فى الحلية(١/ ٥٢) وابن أبى الدنيا فى محاسبة النفس (٢).

يمكن أن نفتحها لنتأمل فيها فإنها قد طويت بما فيها من الكتاب كما في حديث صحيح : { رفعت الأقلام وجفت الصحف }[١] .

انتهى كل شيء لكن يتأمل الذكي من المسلمين ما الذي أودعه في هذه السجلات فهذه السجلات ستفاجأ بها في يوم من الدهر في ذلك اليوم العظيم يوم يجمع الله الأولين والآخرين هناك يقول المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الحاقة: ١٩ـ ٢٧]. يفاجأ بهذا الكتاب.

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣ـ ١٤]. فتنشر هذه السجلات ويتأمل المتأمل ما كان يعمل فيها من الحسنات أو السيئات .

من يعمل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٧ـ ٨].

هذه الوقفة الأولى وقفة للمحاسبة والمراجعة وكل واحد أدرى بنفسه .

أما الوقفة الثانية فهي تصحيح المسار وتجديد العهد بيننا وبين ربنا

(١) صحيح: رواه أحمد(٢٦٦٩) والترمذي(٢٥١٦) والحاكم(٦٣٠٣) وأبو يعلى(٢٥٥٦) وغيرهم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٧٩٥٧) والشيخ مقبل الوادعي في: الصحيح المسند(٦٩٩).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كانت الوقفة الأولى لما مضى وأما الوقفة الثانية فلما تستقبله من عمرك فتأمل فيما مضى كم نلت من شهوة ولذة فيه قد لا تستيطع إحصاءها فأين اللذات لقد انتهت كلها أين من أتعب نفسه في الطاعة ؟ لقد نسي ذلك التعب أين من متع نفسه بشهوة بغض النظر عن حلالها وحرامها انتهت انتهى تعب الطائعين فنسوه لكن الله لم ينساه وهكذا انتهت لذائذ المتنعمين بشهواتهم وما بقي عندهم اليوم منه شيء لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم ينساه ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾[طه ٥١، ٥٢] فوالله لو اتعظ متعظ لو أراد متعظ أن يتعظ لاتعظ بيوم واحدٍ ناهيك عن أن يكون اثنا عشر شهراً قضاه فلو أراد متعظ أن يتعظ لقال : قد أكلت بالأمس وتهنأت بكذا وكذا فما أرى منه اليوم شيئاً في حياتي ولا على جسدي بمجرد مرور يوم واحد يحصل الإتعاظ فما بالك إذا كان شهراً كاملاً ورب العالمين يمهل ولا يهمل وأنت تطالع في هذا العام كم حصل فيه من تغيرات وتقلبات كم حصل فيه من حوادث السير لو تأملت في حوادث السير أيام عيد الأضحى فقد حصل من الموت قرابة سبعين نفساً من جراء السير هذا الذي علم وقرابة ثلاثمائة أصيبوا بجروح فلو تأملت على مدار العام أجمع فأنت نفس من هذه النفوس أنت شخص من هؤلاء الناس فلا بد من محاسبة لما مضى ولا بد من تجديد عهد واستقبال صحيح لما تستقبله من الزمان وإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عفوٌ كريم ، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر٥٣].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وانفعنا بسنة سيد الأولين والآخرين هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين .

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه :

معاشر المؤمنين :

اعتاد المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إقامة احتفال بهجرة المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تجديداً لتلك الذكرى العطرة ولم يكن هذا هو المقصد والهدف والغاية من هجرة المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذا يعتبر أمراً لا دليل عليه من كتاب الله ولا من سُنَّة رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولكن فات المسلمين أجمعين إلَّا من رحم الله الغاية من الهجرة فلقد هاجر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من بلد الكفر إلى بلاد الإسلام من مكة مهبط الوحي ومنبع الرسالة ومركز شعاع الإسلام في أوله فترك هذه البلدة المباركة قائلاً :{ والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي و لولا أني أخرجت منك ما خرجت[1] فيخرج مهاجراً إلى المدينة وكان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ثم بعد ذلك كانت الهجرة إلى المدينة وكانت الهجرة اختباراً وابتلاءً وامتحاناً فمن لم يهاجر ففي إيمانه دخن إلَّا أن يكون معذوراً كأن يكون كبير السن أو صغيراً أو امرأة لا تستطيع السير وحدها كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [النساء٩٨] لكن المقصود أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فارق موضع الشرك ولقد انتهت الهجرة

(١) صحيح: رواه أحمد(١٨٧٣٧، ومواضع) والترمذي(٣٩٢٥) والنسائي في الكبرى(٤٢٥٢) وابن ماجة(٣١٠٨) وابن حبان(٣٧٠٨) والحاكم(٤٢٧٠، ومواضع) عن عبد الله بن عدي بن الحمراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه النسائي في الكبرى(٤٢٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٧٠٨٩) والمشكاة(٢٧٢٥)

بفتح مكة كما قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية}[١].

فمن أعظم الدروس التي نستفيدها من الهجرة أن تهجر قلوبنا مواقع الريبة والنوايا السيئة وأن تهجر أبداننا المعاصي والموبقات فهذه من أعظم الهجرة كما قال ربنا: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾[المدثر٥]. فما كان يحول بينك وبين السير إلى الله من شخصٍ سيئٍ فاهجره أو فلمٍ قبيح أو مكان ريبة أو سفاسف أمورٍ فلا بد أن تستخدم له الهجرة فالهجرة هي الإنتقال من بلد الشرك إلى بلد التوحيد ومن بلد البدعة إلى بلد السُّنَّة ومن بلد المعصية إلى بلد الطاعة فهي بمعنى الإنتقال وهذا الإنتقال قد يكون بالبدن وقد يكون بالروح وأعظم الهجرة هي هجرة أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد تركوا الأهل والوطن والمال فشهد الله لهم بالصدق والفلاح كما ذكر الله ذلك في القرآن الكريم[٢] ثم من أعظم الهجرة هجر العوائق التي تعوقك عن السير إلى الله وهجر العوائد التي اعتدتها وهي محرمة فجعلتك بعيداً من ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإذا أردت أن تعلم معنى الهجرة اجعل رسول الله نصب عينيك قدوة وقيادة في سلمك وحربك في شؤونك كلها يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[الأحزاب٢١].

فليست الهجرة عبارة عن ترداد مديح لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فما ينفع هذا المديح أو أن يرفع رسول الله فوق منزلته فقد حذرنا من الإطراء ، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : { لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده

---

(١) متفق عليه: البخاري(١٥١٠، ١٧٣٧، ٢٦٣١، ٢٦٧٠، ٢٩١٢، ٣٠١٧) ومسلم(١٣٥٣) عن ابن عباس وأخرجه البخاري(٢٩١٤، ٣٦٨٧، ٤٠٥٨) مسلم(١٨٦٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾[الحشر٨] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾[التوبة٢٠]

فقولوا عبد الله ورسوله }[1] فرسول الله لا يرضى بالإطراء ولا أن يرفع فوق منزلته ولكن الغاية من ذلك متابعته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا قال الرسول قولاً أو أمرك بأمر سواء كان واجباً أو مندوباً فتابعته في ذلك فأنت من أعظم الناس محبةً فالمحبة هي بمعنى الإتباع قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران٣١].

يا مدعي حب أحمد لا تخالفه الخلف يحرم في دنيا المحبينا

فمن كان محباً بمعنى الحب الصحيح فالمحبة هي المتابعة فلو أن ولداً قال : إنه يحب أباه ثم بعد ذلك ما بالى بأوامر أبيه ونواهيه أيكون هذا محباً كلا والله بل إنه من أعظم العقوق وهكذا إن زعم الزوج أنه يحب زوجته ثم لم تر منه إلَّا الويلات ما كان ذلك بحب والله وإنما هو حب مزعوم ليس له صحة في الواقع

والدعاوي إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

فنسأل الله أن يوفقنا لكل ما يحبه ويرضاه وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى وأن يرينا الحق حقاً فيرزقنا اتباعه والباطل باطلاً فيرزقنا اجتنابه اللهم اجعلنا مستقبلين لعام جديدٍ مليء بالخير والرحمة والبركات يا رب العالمين اللهم إنا نسألك يا أله أن تجعل هذاالعام عاماً مباركاً على الأمة الإسلامية اللهم ارفع فيه منار التوحيد واخفض الشرك وأهله يا رب العالمين اللهم لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا هماً إلَّا فرجته ولا ديناً إلَّا قضيته ولا عسيراً إلَّا يسرته اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا

(١) رواه البخاري(٣٢٦١) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات اللهم دلنا على كل خير يا رب العالمين اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

عباد الله :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل ٩٠] .

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون وأقم الصلاة .

كان الفراغ من تخريج هذه الخطب بعد عصر السبت: ٢١/ صفر/ ١٤٣١هـ، الموافق: ٦/ ٢/ ٢٠١٠ م

تخريج

دارس بن حسن بن علي الوادعي

فما كان من صواب فمن الرحمن وما كان من خطإ فمن نفسي والشيطان ، والله ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منه بريئان.

فهرس

الخطبة الأولى : الإخلاص منجاة ٥
الخطبة الثانية : ١٦
الخطبة الأولى : علم الغيب ٢٠
الخطبة الثانية : ٣١
الخطبة الأولى : أهمية الصلاة ـ وبعض آداب الجمعة ٣٨
الخطبة الثانية: ٤٨
الخطبة الأولى : واستعينوا بالصبر والصلاة ٥٣
الخطبة الثانية: ٦٥
الخطبة الأولى : وجوب إخراج الزكاة ٦٩
الخطبة الثانية: ٨١
الخطبة الأولى : حقيقة الصيام وفضائله ٨٥
الخطبة الثانية: ٩٤
الخطبة الأولى : رمضان موسم لتجديد التوبة ٩٩
الخطبة الثانية: ١٠٩
الخطبة الأولى: كيف تصوم رمضان؟رمضان موسم لتجديد التوبة . ١١٤
الخطبة الثانية: ١٢٧
الخطبة الأولى :اغتنام العشر الأواخر بالأعمال الصالحة ١٣٢
الخطبة الثانية : ١٤١

الخطبة الأولى : حـق الوالديـن ١٤٦
الخطبة الثانية: ١٥٦
الخطبة الأولى : خطوات تحصيل السعادة ١٦١
الخطبة الثانية: ١٧٢
الخطبة الأولى : فضل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ١٧٦
الخطبة الثانية : ١٨٨
الخطبة الأولى : محبة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ١٩٤
الخطبة الثانية : ٢٠٣
الخطبة الأولى : من شمائل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ٢٠٦
بعض أمور جهلها المسلمون ٢٠٦
الخطبة الثانية: ٢١٨
الخطبة الأولى : أهمية الوقف ومنافعه ومصارفه ٢٢٤
الخطبة الثانية: ٢٣١
الخطبة الأولى : حفـظ المـال ٢٣٥
الخطبة الثانية: ٢٤٤
الخطبة الأولى : الذنوب هلاك الشعوب ٢٤٨
الخطبة الثانية : ٢٥٨
الخطبة الأولى : عواقب الذنوب والمعاصي ٢٦٢
الخطبة الثانية: ٢٦٧
الخطبة الأولى : أضرار القات ٢٧٠
أما الأضرار الصحية : ٢٧٣
وأما الأمراض النفسية: ٢٧٣

وأما التأثيرات العصبية: ٢٧٤
وأما الأضرار الإجتماعية للقات: ٢٧٤
أما الأضرار الإقتصادية: ٢٧٤
أما حكم الإسلام في أكل القات : ٢٧٦
الخطبة الثانية : ٢٧٨
الخطبة الأولى: قصة موسى مع فرعون وأقسام الناس في يوم عاشوراء .. ٢٨١
الخطبة الثانية: ٢٩١
الناس في هذا اليوم على ثلاثة أقسام : ٢٩١
الخطبة الأولى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ .. ٢٩٧
الخطبة الثانية: ٣٠٥
الخطبة الأولى : مواعظ من سورة الواقعة..... ٣٠٩
الخطبة الثانية: ٣١٤
الخطبة الأولى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٣١٦
الخطبة الثانية: ٣٣٠
الخطبة الأولى : وقفة مع توديع العام..... ٣٣٤
الخطبة الثانية: ٣٤١
الفهرس..... ٣٤٥